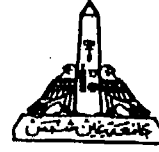


كليـــة الآداب
قسم علم النفس

دينـامية العلاقة بين إدراك الصور الوالدية والبنـاء النفسي لدى الأبنـاء غير الشرعيين

دراسة إكلينيكية مقارنة

رسالة

مقدمة من الطالبة

كرمن محمد حسن سويلم

للحصول على درجة الماجستير

في الآداب (علم نفس)

تحت إشـراف

أ.د. / سيد محمد عبد العال

أستاذ علم النفس بكلية الآداب

جامعة عين شمس

٢٠٠١



رسالة ماجستير

اسم الطالب : كرمن محمد حسن سويلم

عنوان الرسالة : ديناميية العلاقة بين إدراك الصور الوالدية والبناء النفسي لدى الأبناء غير الشرعيين [دراسة إكلينكية مقارنة]

اسم الدرجة : ماجستير

لجنة الإشراف : أ.د. سيد محمد عبدالعال

تاريخ البحث : / /

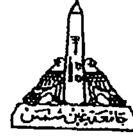
الدراسات العليا

ختم الإجازة

أجيزت الرسالة بتاريخ ٢ / ٨ / ٢٠١٠

موافقة م. د/ عميد الكلية ١٤/ ٨/ ٢٠١٠

با لتمرير موافقة مجلس الكلية /١٦/ ٧ / ٢٠١٠ موافقة مجلس الجامعة / /



وافق الأستاذ الدكتور / نائب رئيس الجامعة لشئون الدراسات العليا والبحوث

بتاريخ   /   /

<u>على تشكيل لجنة مناقشة :</u>

الطالبة : كرمن محمد حسن سويلم

<u>من السادة الأساتذة :</u>

١ - ***أ.د. فرج احمد فرج:*** أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس رئيساً

٢ - ***أ.د. سيد محمد عبدالعال:*** أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس مشرفا

٣ - ***أ.د. عبدالله السيد عسكر:*** أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية الآداب جامعة الزقازيق عضوا

الباب الأول

الإطار النظري

أولاً :مقدمة في مشكلة الدراسة:

الإنســـان هـــو ذلك اللغز الغائر في أعماق نفسه ... لغز الأسطورة... ومن هنا تأتي حتمية الاهتمام به ثم دراسته .

وإذا ما كان التصدي لمعرفة حقيقة من الحقائق المتشابكة لهذا اللغز هو تحدي حقيقي لقـــدرة الباحـــث إذا أراد أن يسير في اتجاه " سبر الأغوار " حيث أن طريق المعرفة محفوف بالمخاطر والعقبات ويتضح ذلك أكثر ما يتضح في مجال العلوم الإنسانية . فالمعرفة في واقع الأمر نضال ضد المجهلة وكفاح من أجل مغالبتها والظهور عليها ، هذا الكفاح وهذا النضال لابد وأن يدور في جبهتين :

أولاهما : عقل الباحث نفسه حيث يناضل ضد ما رسخ في ذهنه من أفكار وما استقر في عقله من سوابق الرأي والمعتقدات .

وثانيهما : زمانه ومكانه أي عصره وجيله ومجتمعه وطبقته .

ولا شـــك فـــي الارتباط الجدلي بين ما في داخل الباحث وما في داخل مجتمعه وعصره وطبقته ". (فرج أحمد فرج ١٩٧٥ : ١٣٩)

فلقد ظلت اللا بصيرة بحقيقة النفس هي العائق أمام فض المجهلة والمعرفة بأحوال الإنسان ... بما هو إنسان .

" ووجـــود الإنســـان لا يفهـــم بغـــير مفهـــوم " الديالكتيك " الذي يلزم عنه التواصل "بيـــن – الذاتـــي " intersubjective (بيـــن ذات وذوات أخرى) أي وجود الإنسان بما هو إنســـان. فالديالكتـــيك هـــو لب نظام التحليل النفسي بأسره ... لحمة الحياة النفسية وسداها ، فالآخـــر هو الأنا ، والوعي بالذات ليس شيئاً مسجوناً في كيان بيولوجي وإنما هو علاقة ... علاقة بآخر ... فالعلاقة بالآخر لا تكون كذلك إلا من حيث " أنا هو الآخر ".

(مصطفى زيور ١٩٨٦ : ٢٨ ، ٣٧)

وحيـــث أن بين الذات والآخر حركة انفصال واتصال لا متناهية ، بينهما رغبة حياة ورغبة موت ، تعلق ونفور ، بناء وهدم ، فان هذه الحركة هي ما يحول دون خلود الهوية أو خلود الآخر .

فالإنســـان إذن وبهذا المعني ليس فقط موضوعاً للبحث وإنما هو أيضاً موضوع للفهم ، يقوم على العلاقة بالآخر مانحاً لشرعية الوجود . فالوجود الإنساني الذي هو في جوهره وجود في العـــالم : أي وجود في حضرة الآخرين ومعهم ، وبينهم ، يمنح الرغبة الإنسانية معنيً إنسانياً (لا يمكـــن وجودهـــا خارجه) ، أو تصورها بمعزل عنه فهي رغبة في آخر تولد في وجوده

وتتخـــلق وتكتســـب ملامحها وقسماتها باعترافه وموافقته ، معني ذلك ببساطة أن رغبة الإنسان لا وجـــود لهـــا بـــدون موضوعها الإنساني أي بدون الآخر . ويجمل " فرج أحمد فرج " هذه العلاقة بقولـــه : " أنا لا أكون إلا في حضرة الآخرين ، أعلن لهم عن وجودي وأفرض عليهم هذا الوجود لأنتزع منهم اعترافاً بهذا الوجود فضمير المتكلم يقتضي المخاطب ". (فرج أحمد فرج د.ت : ٢)

وفي هذا المعنى: يقول سيد عبد العال : "... وإثبات الأنا لوجوده لا يستقيم بغير تغايره مع الموضـــوع ، بحثاً عن التمايز عنه كما لا يستقيم بغير مسايرته والتعيين به في الآن نفسه وذلك هو لـــب الديالكـــتيك الكـــامل الذي يحوي الشيء ونقيضه والذي يبدو سافرا بوضوح في أحوال النفس البشـــرية جميعاً حين نتعمق فهم مكوناتها ودينامياتها ، وهكذا يستحيل على الإنسان أن يعيش بغير علاقـــة مـــع آخر ، ولهذا شاءت الإرادة الإلهية أن تخلق "لآدم" عليه السلام " زوجة قبل أن يترك الجـــنة ، اســـتباقاً لمـــا ســـيقع ، ليقيم كل منهما مع الآخر علاقة بالموضوع تدرأ عنهما مشاعر " الاغـــتراب " بديـــلاً رمزياً عن العلاقة " المتسامية "، المتعالية " مع موضوع، الموضوعات جميعاً "الخـــالق تبارك وتعالي" ، تلك العلاقة التي انفصمت بالاغتراب الأول للإنسان الأول. (سيد محمد عبد العال ١٩٨٨ : ٤٠ ، ٤١)

وإذا ما كنا بصدد دراسة الصور الوالدية (... الآخر) وعلاقتها بالبناء النفسي لدي الأبناء " غيـــر الشـــرعيين " أي أننا في أعماق بحث يهتم بالأنا و الآخر. ولما كان الآخر شرطاً ضرورياً فـــي تحـــول البدني إلى نفسي.... على أن شعور الطفل بذاته فى أن واحد لشعوره بالأخر (بعبارة أخـــرى أنـــه بقدر ما يدرك الشخص ذاته يدرك ذات الأخر دون طغيان جانب على أخر). **(أحمد فائق** ٢٠٠١ : ١٠١) وإذا ما كانت الذات مرهونة بوجود الآخر (**عبد الله عسكر ١٩٩٤** : ٧٧) . وإذا مـــا كـــان الاعتراف والمهابة والمكانة وتحقيق الذات جميعاً تقتضي الآخر وتستلزم وجوده معـــترفاً بـــه و متقبلاً وموافقاً عليه فالذات فى نهاية المطاف لا تتفتح ولا تشعر بوجودها ولا تعي نفسها إلا من خلال وجـــود الآخــــــر

(**فرج أحمد ١٩٨٣** : ٧٠) آنذاك فإن موضوع العلم هو الإنسان عبر تلك العـــلاقـــة بيـــن الأنـــا – الآخـــر ، فهو إذن اقتراب من الأخر في كثرته وتبايناته في محاولة لرد الكثرة إلى وحدة النظرية التفسيرية أو القانون الفهمي كما يشير (**صلاح مخيمر ١٩٨٧** :١٣) .

وفـــي مقـــال " هـــنرى فـــالون " أثـــر الآخـــر فـــي نمـــو الشعور بالذات . ومن خلال الآخـــر ومقاومته للذات يتخلق الشعور بالذات من حيث الوعي بفعالية " الذات " وقدرتها وحدودها فـــي مواجهة الآخر (**أحمد فائق ٢٠٠١** :١٨٨) . فمن أكثر العوامل المؤثرة في تطور الطفل هي علاقته بوالديه التى تؤسس البناء النفسي على نحو من السواء أو اللاسواء .

ويعـتمد نمـو الوليـد بشـكل كلي على الرعاية الوالدية ، (وعلى الملائمة بين احتياجاته ورغباته من ناحيه والحب والضبط الاجتماعي من الناحية الاخرى التي يتلقاها.

وتـرى Nancy Chodorow أن السـمات الأساسـية لإحساس الفرد بذاته تنمو من خلال تلك العلاقة المبكرة ،حيث تحدد نوعية الرعايـة نمـو الذات والصـورة الذاتيـة Self image الوجدانيـة الأساسـية لـلطفل ، فغيـاب القلق الساحق ووجود الاحتضان والتغذية المسـتمرة ونمـوذج التفاعل المتماسك نسبياً ، يمكن الطفل من تنمية ما أسماه بينديك Benedek " ثقـة " وما أسماه ازيكسون وErikson " ثقة أساسية " والتي تكون بداية جوهرية للذات أو الهوية . فالتـبعية تعتبر أساسية للأطفال في مرحلة الرضاعة ويطلق فيربرن " Fairbairn " على المرحلة المـبكرة " الاعتماد الطفولى " ووصف معظم النشاط النفسي الطفولي بأنه رد فعل للشعور بالعجز helplessness . فلا يستطيع الرضيع التوافق بدون أمه ، لأنها تتصرف كأنا خارجية له ، توفر الـدفء والغـذاء ، ولـم يواجه في الواقع أنها شخص منفصل عنه. ويعتبر مبدأ الواقع في المقام الأول هـو هـذا الانفصـال . وطبقاً لـرأى Winnicott فإن تدعيم الأنا الذي توفره رعاية الأم يحمـي الرضـيع ويعطيه وهماً أن "أنا" الرضيع تعتبر مستقرة وقوية مع أنها في الحقيقة ضعيفة . وتـلك الحماية تعد ضرورية لتنمية الذات الحقيقية أو الذات المركزية . (True-self or Central Self) وتعتبر تهديدات نمـو الذات مصدر قلق جسيم (Major Anxiety) فـإن الرضـيع الـذي يواجه هذا القلق تنمو لديه " ذات زائفة " مبنية على أساس الاستجابة للاعتداء ، أما الذات الحقيقة فهي القدرة على مواجهة الذات كعنصر وجداني بين – شخصى فعال (Interpersonal). (Nancy Chodorow 1978 : 59-60)

وقـد بـرهن وينيكوت على أن نوعية استجابة الأم هي التي تمنح الرضيع هويته ، فالطفل يري صـورته معكوسـة في صوت الأم ونظرتها الفاحصة ، وفي أسلوب احتضانها له في عقلها مثلما الأمـر بين ذراعيها وفي لمستها. وفى الإدراك الواعي والمشاركة الوجدانية الصامتة التي تضفيها عـلى اسـتجاباتها لاحتياجات الرضيع ووسيلة تواصلها معه بشكل ودي . وأي خلل فى العلاقة أو تمـزق يصـيب الرضـيع بصدمة ويأس حيث يفقد إحساسه بالوجود ، إحساسه بالذات المستمرة ، ويسـتبدل المشاعر الحية بمشاعر غير نابضة (مشاعر نربطها بالاكتئاب) أو في شكلها المتطرف بالذهـان . فـالألم مـن الحرمان والتعتيم الوجداني يؤدي إلى اضطراب حاد في الحياة اللاحقة . (Rosalind Minsky 1996 : 115)

... " ومن خلال السلوك الحاضن للأم holding والذي يشير إليه وينيكوت وضع الأم لطفلها بين ذراعيهـا وضـمه إلى صـدرها فإنها بذلك تمنحه مؤازرة لأناه النامي مما يسمح للطفل بالبزوغ

تدريجيـاً عـن ذلـك الانصهار الأولي بينها وبينه حيث كان كلاهما شيئاً واحداً . Roslind).
Minsky 1996 :117)

ويـتفق فايز قنطار مع " وينيكوت بقوله " إن الطفل مع لحظات الميلاد يخرج إلى الوجود كائناً بيولوجياً ويبدأ بعد ذلك حمل من نوع جديد ، حمله بين ذراعي الأم وضمه إلى صدرها وهو الشـرط الإنسـاني لـبداية " الشـعور بالهوية " . وتوفر الأم للطفل أول فرصة للتعرض للوجود البشـري وللاتصال بالآخرين فمن خلال سلوك الأمومة يتمكن الصغير بواسطة حواسه من تكوين صورة عامة للوجه الإنساني وللانفعالات المختلفة التي تظهر في التعبير الوجهي ويتعلم الطفل مع الأم كيـف يمكـن أن يصـبح الابتسـام حدثاً اجتماعياً ويبدأ الطفل مع الأم تشكيل روابط التعلق ويكتسـب مـن خلال تجربته معها مدي تأثير سلوكه الاجتماعي وكيف ينظم بنفسه حالات اليقظة وحـالات العاطفة فالسلوك الأمومي يهيء للطفل من خلال الأقنية الحسية المختلفة تجربته الأولية في سياق الاتصال البشري . **(فايز قنطار ١٩٩٢ : ١٧٨)**

وبالنسـبة لسـوليفان (Sullivan) فـإن الحياة الإنسانية تبدأ بخبرة بين – شخصية، فإن الصيغة المبكرة " حلمة في الشفاه ، Nipple in Lips " تمثل بداية الوجود النفسي للإنسان .
.(Greenberg & Mitchell 1983 :   )

وتشـير إديث جاكوبسون " Edith Jacobson " مؤكدة أهمية تأثير الوالدين في البناء النفسـي بقولها : "يستثير تأثير الوالدين نمو الأنا حيث يقوم الوالدان بدعم السيطرة والكف الجزئي والانصـهار الجـزئي وتحييـد الدوافع الجنسية والعدوانية من أجل خدمة الأنا ووظائف العمليات الـثانوية ومـن ثم يسهمان على نحو كبير في التطور النفسجنسي ونضج المشاعر والتفكير والعقل والحـس الواقعي ويزيدان من استقرار العلاقات الاجتماعية والشخصية المكفوفة الأهداف ، وكذلك الـتوحد الراسخ بموضوعات الحب للأنا ، والأنا الأعلى ، فبصفة عامة فهما يدعمان الطفل للتفرد الـتدريجي وتقدمـه من الموقف الاعتمادي السيكوبيولوجي إلى نشاط الأنا المستقل الذي يمتد إلى النواحي الاجتماعية والثقافية والنضج الجنسي اللاحق للأنا .

وتستطرد **Jacobson** .. بقولها :

" ... إن أردنـا أن نصـل إلى أهداف التربية فلابد من توافر مناخ " الحب والرعاية " الوالدية مع إثـارة " ليـبيدية ، مـتوازنة ومشبعة . فالاستقرار الثابت يقوي الشحنات النفسية الليبيدية لكل من الموضـوعات والذات فالحب الوالدي يدعم ثبات الذات والموضوع والعلاقات الاجتماعية الصحية وعلاقـات الحـب والتوحدات الدائمة من أجل تكوين السواء للأنا، وللأنا الأعلى ويساهم الوالدان والمجـتمع بشـكل عـام في تطوير أنا معتمد على الذات. ومع الحب الوالدي لابد من الإحباطات الغريـزية والـتحريمات التي ترتبط بالمطالب الوالدية وكذلك المتطلبات الثقافية . التي تساهم في

الإحـــباطات الغريـــزية والتحريمات التي ترتبط بالمطالب الوالدية وكذلك المتطلبات الثقافية . التي تساهم في تطور الوظائف المستقلة إذ يتعلم الطفل منها أن يتخلى عن حفزاته الجنسية قبل الأوديبيـــية وتوقعاتـــه الطفلية الباكرة من الدعم والمساندة والحماية ولتحقيق ذلك لابد أن يمر الطفـــل بخبرات الحرمان المستمر، والأذى ، والإحباط وخيبة الأمل في والديه والتي تستثير مشـــاعر وجدانية ثنائية . " (Jacobson 1980 : 54 - 55)" وفى هذا المعنى يقول احمد فـــائق: من الواضح أن شعور الشخص بذاته مكافئ من حيث [القدر والكم] لشعوره بالآخر ، إلا أن عملية التطور وما تتضمن من مواقف إشباع وإحباط قد تعين الطفل على الوعي بالذات ، أي وعي بالآخر ، وقد تعوق هذه العملية . وأساس هذه العملية هو الحب والكره حيث يؤدي الكره إلى تمزق جوانب الذات في حين يؤدي الحب إلى التئام جوانبها ... ولذلك كان الشعور بالذات هو اكتساب صفات شخصية واضحة وإكساب العالم صفات أخرى مقابلة ، وسواء كان بـــناء الشخصية قائماً على الحب أو الكراهية فإن عملية التطور تعني اكتساب صفة واستبعاد صـــفة وكبـــت الصفة المضادة ، واكتساب العالم صفات ونفي الصفات المضادة عنه . لذلك يمكنـــنا القـــول بأن الشخصية الإنسانية هي اكتساب صفات وانتزاع أخرى عن الذات وتكون العلاقة بالآخر في هذه الحالة علاقة تكميل." (أحمد فائق ١٩٨٤ :٣٧٣)

إن غياب الأخر يشكل تهديداً حقيقياً للذات ، تهديداً حقيقياً بفقدانها وانهيار الوعي بها . ولـــيس غريـــباً أن نجـــد دراسات التحليل النفسي تصف لنا الأم – بوجودها المتقبل الراضي لوليدها – بأنها مانحة شرعية الوجود ، وأن قبولها لوليدها شرط لقبوله بعد ذلك لنفسه وحبها لـــه شرط لقدرته بعد ذلك على أن يحب نفسه ويحب الآخرين ويرى نفسه أهلاً للحب مستحقاً لـــه. إلا أن هـــناك (اتجاهات خطيرة) من الوالدين قد تعوق (بل وتوقف) عملية النمو السوي للطفل.

ويري معظم المحللين النفسانيين أن الكبر حصاد الصغر بمعني أن الاهتمام بالسنوات الأولـــي يـــؤدي إلى مراحل نمو سوية في البلوغ والرشد . والخلل الأسري يؤدي بالتالي إلى خلـــل فـــي المراحل اللاحقة ولئن صح القول فإن قدر الإنسان يكمن في أسرته ، وبالتالي في العلاقات التي تربط الطفل بالثنائي الوالدي ...

وهكـــذا نصـــل لآثـــار الحرمان من الوالدية على البناء النفسي و الاضطرابات التي يخلفها الحرمان وخاصة في إطار اللاشرعية . التي حرمت الذات أمنها وفرضت عليها الوجود غير المشروع .

البـناء ، على حين أن اضطراب أى من قطبى الرعاية الوالدية وعلي الأخص الأم في المراحل القـبل أوديبية ثم الأم والأب معاً في التطور الأوديبي ، إنما يؤدي إلى اضطرابات واختلالات في سلوك الطفل حيال الآخرين ، وتعد مرآه صادقة لإختلالات مماثلة في بنائه النفسي .

فإذا مـا كـان اخـتيار الباحث لموضوعه " الإنســـان " عبر تلك العلاقـــة بيـــن (الأنـا – الآخـر) وهو ما عبر عنه زيور بقوله :" ... إن الموضوع الأساسي لعلم النفس هو هذا الحـوار الديالكـتيكي بيـن الأنا والأنا الآخر بين (الأنا – أنت) ... حوار درامي لا ينفك صاعداً هابطـاً متأرجحاً تأرجح أحوال الإنسان ، مما يجعل مهمة الضبط العلمي عسيرة ... ولا ينقطع إلا بانقطـاع الحيـاة النفسـية كمـا هو الحال في المرض العقلي المستفحل ، حيث يحل محل الحوار الديالكـتيكي المسـتند إلى تعيين الذات بذات الآخر ... حوار اجتراري تتفادى به الذات الالتقاء الديالكـتيكي بذات الأخر ... ومن ثم فإن المحللين النفسانيين يرون أن أي دراسة في علم النفس لا تتخذ هدفها هذه العلاقة .. إنما تقع خارج المرمي .

(مصطفي زيور ١٩٨٦ : ٩٣)

وهكـذا يـتفاعل الانسان مع الآخر الداخلي وليس فقط مع الآخر في الواقع الخارجي هذا الآخـر الذي يعد التمثل النفسي الذي يؤثر بدوره على الحالة الانفعالية للفرد وسلوكه بشكل عام ، وتـتخذ هـذه الصـور عـدة أسـماء فـي نظـرية التحليل النفسي فهي تعد موضوعات داخلية Internalobjects أو الآخـر الوهمـي Illusory others أو استدخالات Interjects أو تشخصنات Personifications أو العالم المتأمثل representational world وتمثل هذه الصور الداخـلية بقايـا علاقـات مع أشخاص مهمة أثرت بشدة على الشخص وتم استدخالهم ولذلك فهم يشـكلون سـلوكيات وإدراكـات وردود أفعال الفرد . ولذلك يعكس مصطلح " العلاقة بالموضوع نظـريات تهـتم باكتشـاف العلاقة بين أشخاص واقعيين والصور المستدخله وبقايا هذه العلاقات وأهميتها في الوظيفة النفسية. (Greenberg & Mitchell 1983 : 11).

ثانياً تحديد المشكلة : موضوع الدراسة

إن الطـــرح لإشكالية الدراسة- لكي يكون طرحاً دقيقاً - يلزمه أن نحدد أي منطلق نظري نتبـــناه . وإن كان موضوع دراستنا هو **الصور الوالدية وعلاقتها بالبناء النفسي لدي الأبناء غير الشـــرعيين (مجهولـــي النسب) فإن الآخر يمثل حجر الزاوية في دراستنا حيث أنه يشكل البناء النفسي للذات من ناحية السواء واللاسواء .**

لقـــد أشـــار أوتو كيرنبرج **Otto. Kernberg** إلى أن هوية الأنا ليست إلا نتاجاً لعمليات الـــتوحد والاســـتدماج للآخرين . تلك العملية التي تقوم بدور حاسم في تكوين شخصية الطفل عن طـــريق تمثله خصائص والديه النفسية فتتشكل ذات الطفل على شاكلة الوالد ، كأن الصور الوالدية هـــي المســـئولة عـــن التكامل للوظائف التآلفيه للأنا ، وهو الأمر الذي أشار إليه " كيرنبرج " بأن الصـــور الوالديـــة الواقعية تستدمج في ذروة المرحلة الأوديبية ومن ثم فإن خطوة تكاملية أبعد في التطور يمكن أن تأخذ مكانها حيث تتأسس هوية الأنا. (Kernberg 1984:72)

كذلـــك أشار أوتوفينخل إلى Fenichel.O أن الأنا الأعلى هو وريث الأبوين ليس فحسب كمصـــدر للـــتهديدات والعقوبات وإنما أيضاً مصدر " للحماية " وكمورد " لأمن الحب " فلأن يكون الفـــرد فى علاقـــة طيبة أو سيئة مع أناه العليا يصبح من الاهمية بالقدر الذى كان عليه فيما مضى كونـــه فى علاقة طيبة أو سيئة مع أبويه والانتقال من الأبوين إلى الأنا العليا وهو من هذه الزاوية الشرط الضروري لاستقلالية الفرد. (أوتو فينيكل ١٩٦٩ : ٢٧٢)

فمـــن خـــلال عملية الاستدماج والتوحد يصل الطفل إلى مرحلة تقمص الوالدين تقمصاً يكـــاد يكـــون كـــاملاً فينشأ لديه ما يسمي ... " الأنا الأعلى " تمثل الصورة الوالدية المطلقة القدرة داخـــل الـــنفس . عند ذلك تقوم بين " الأنا والأنا الأعلى " علاقة شبيهة بعلاقة الطفل بوالديه بحيث يرتفع اعتبار الذات بقدر رضا الأنا الأعلى على الأنا وينخفض بقـــدر سخط
الأنا الأعلى على الأنا وامتهانه وتوجيه اللوم إليه . (مصطفي زيور ١٩٨٢ : ٢١٢)

وهكـــذا فإن " العلاقة بالموضوع " شرط ضروري لابد من توفره على الوجه الأمثل حتى تـــتاح للإمكانيـــات الداخـــلية التحقق الفعلي .. ومن ثم تتشكل صورة الذات والصور الوالدية ، بل والبـــناء النفسي بأكمله . وسوف نرى لاحقاً كيف أن النظريات المختلفة التي تناولت مفهوم العلاقة بالموضـــوع مع اختلاف تناولها ومعالجتها وتفسيرها لهذه العلاقات تتفق على شيء واحد وهو أن العلاقات الحميمة مع الأم أو الموضوع هي الأساس في نشأة ذات سوية .

وفيمـــا يتعـــلق بأهميـــة دور الأم في حياة الطفل يقرر بولبي J. Bowlby ١٩٨٠ أنه من الضـــروري لضمان الصحة العقلية أن يمارس الطفل [والحدث الصغير] نوعاً من العلاقة الحميمة المســـتمرة مع أمه (أو من يحل محلها بصفة دائمة أى مع بديل دائم للأم وهو الشخص الذى يتبناه

بصفة مستمرة) ، بحيث يجد فيها كل من الطرفين متعة و تحقيقا لاحتياجاته وإن هذه العلاقة الدافئة المتشـابكة المجـزية الـتي تقوم بين الطفل وأمه في سنوات حياته الأولي والتي تتنوع بطرق لا حصـر لهـا – اتصـاله بأبيـه وأخوتـه – هى الـتى تؤثـر عـلى نمـوه العقـلي والخلقي.
(J. Bowlby, 1980 : 8)

فـالطفل الرضـيع يشعر بوجوده على المستوى النفسي من خلال الرعاية الأمومية والتي بدونها لا يكون الطفل طفلاً إنسانياً . حيث يشكل هو وأمه وحدة متكاملة (في المرحلة الأولي) التي لا يمكـن لـلطفل أن يعبر فيها لفظياً فتكون عاطفة الأمومة هي المعبرة اللفظية عما يريد أن يعبر عـنه الطفـل وتكون – أي الأم – هي الأنا المساعدة التي تعمل على التكيف الضروري لحماية وحفـظ الحيـاة ورفع مستويات النمو وتطورها ومن خلال هذا الحب الأمومي يتمكن الطفل من تغـليب الجوانـب الليـبيدية عـلى الجوانـب الـتدميرية الموجهـة وعـزلها خارج حدودها .
(Winnicott, 1960 : 595)

ويرى كيرنبرج Kernberg ، أن مجموعة الذات – الموضوع " الجيدة " الأساسية تصبح النواة لنظام الذات في الأنا ، والمنظم الأساسي للوظيفة التأليفية للأنا الباكرة . وهذه المرحلة الثانية مـن اسـتدخال العلاقة بالموضوع تأتي إلى نهايتها حين تتفاضل صورة الذات وصور الموضوع عـلى نحو ثابت في نواة تمثلات الذات – الموضـوع الجيدة والتي تتكـون من خلال الخـبرات المشبعـة التي تشمـل الأم –الطفل .

ويـتزامن مع تطورات تمثلات الذات – الموضوع الجيدة ، تشكيل بدائي آخر من تمثلات الـذات – الموضـوع غيـر المتفاضـلة ، فإدماج خبرات الإحباط المؤلمة يشكل تمثلات الذات – الموضوع السيئة . (Kernberg, 1984 : 60–61)

ويرى وينكوت Winnicott : إن استمراريـة وثبـات الانشغـال بأمـور الطفـل " أي الـرعاية الأساسـية لـلطفل " إنما تفضي إلى " الاستمرارية في وجود الطفل بوصفه كائناً إنسانياً متفرداً الأمر الذي يؤدي إلى تشييد وبناء الذات Self. ويستطرد وينيكوت فيقول " إن تدعيم الأنـا بالرعاية الحميمة الأمومية يمكن الطفل الوليد من أن يعيش وينمو ... أما المريض فلم يقابل صدقا في الرعاية في طفولته. (Winnicott, 1960 :585)

و يـرى **صـلاح مخيمر** " إن الإنسان في أعنف حالات مرضه يبقي حريصاً على الوجود فـي العـالم بالمعني الفينومنولوجي ، أعمق حاجاته هو الوجود معترفاً به مقبولاً من الآخرين .. فالآخر بلغة الوجودية هو الخالق والنعيم ، كما يمكن أن يكون أيضاً في الحالات النقيضة هو القاتل والجحيم . (صلاح مخيمر ١٩٧٦ : ١٨ ، ١٩)

ومـن هـذه المنطـلقات النظرية صاغت الباحثة اشكالية هذه الدراسة اجرائياً فى صيغة التساؤلات التالية:

١- هل يختلف الأبناء الشرعيين عن غير الشرعيين فى ادراك الصور الوالدية ؟

٢- والى أي مـدى يختـلف البنـاء النفسـى لـدى كـل منـهما وبخاصـة فيما يتعلق بـ ...

أ- التخيـيل.

ب- ادراك الواقع.

ج- النمو النفسى - جنسى.

د- صورة الذات.

٣- مـا هى الميكانيزمات الدفاعية الغالبة لدى الأبناء غير الشرعيين وهل تختلف بينهم وبين الأبناء الشرعيين ؟

ثالثاً : أهمية الدراسة :

تكمن أهمية أي دراسة علمية في نقاط جوهرية يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - ظاهرة الدراسة ومدى ما تعكسه من جدة وحداثة .

٢ - الشريحة التي تتناولها الظاهرة موضوع الدراسة .

٣ - حدود الدراسة والمنهج الذي يتم من خلاله التناول لظاهرة البحث .

١- بالنسبة لظاهرة الدراسة :

أ- يعتبر إنجاب أطفال بشكل غير شرعي أمراً لا تقره شريعة السماء ولا أنظمة المجتمع ولا تجعلـه مشـروعاً، ومن ثم يصبح من العوامل الرئيسية التي تحرم الطفل من الرعاية الأسرية الطـبيعية خاصةً في المجتمعات المحافظة والمتدينة فالحمل غير الشرعي يعد سفاحاً و لا يعد أمراً مقبولاً في معظم المجتمعات بل وتعده غالبية المجتمعات وصمة عار تلحق بالمرأة ، وحال لصيقة بهـا طيلة حياتها ممتدة إلى أبنائها من بعدها وعادة ما يدفعها هذا الضغط الاجتماعي إلى التخلص من الوليد غير الشرعي وهي أمه التي أنجبته لأنه يمثل الدليل المادي على انحرافها وخطيئتها .

ب- ومن هنا تلجأ كثيرات من الأمهات اللاتي أنجبن أطفالا غير شرعيين إلى مختلف الوسائل للتخلص منهم سواء بالقتل أو بالرمي في الشوارع والطرقات أو بوضعهم أمام المساجد أو الكنائس و فى الساحات ، وهكذا يكون الإنجاب غير الشرعي مدعاة لحرمان الطفل من الرعاية في كنف أبويه الحقيقيين ويكون الطفل تبعاً لذلك في أمس الحاجة إلى من يقدم له ما يحتاجه من عناية ورعايـة . وقد لا يكون من السهل توفير أسرة بديلة لعدة اعتبارات أخلاقية واجتماعية منها كونه

الطفـل من الرعاية في كنف أبويه الحقيقيين ويكون الطفل تبعاً لذلك في أمس الحاجة إلى من يقـدم له مـا يحـتاجه مـن عناية ورعاية . وقد لا يكون من السهل توفير أسرة بديلة لعدة اعتـبارات أخلاقية واجتماعية منها كونه (مجهول النسب) وما شابه ذلك من النعوت التي قد تعـوق توفير الرعاية اللازمة للطفل بشكلها الطبيعي عند أمه أو إحدى أقاربه لأمه . فيوضع بإحدى دور مؤسسات الرعاية .

جـ - وإن كان الحرمان من (الأم أو الأب) نتيجة للموت أو الهجر أو الطلاق أو العمل ومـا يخلفه من آثار عكسية على الأبناء قد حظي بكثير من الدراسات ، إلا أن الأطفال غير الشـرعيين لـم يحظوا بقدر من الاهتمام والدراسة بما يتناسب مع حجم المشكلة ، وإن كانت هـناك جهـود علـى الساحة العربية تناولت دراسة الأبناء غير الشرعيين ، فإن حدود هذه الدراسات لم تتعد الدراسة المسحية والوصفية للأطفال مجهولي النسب (غير الشرعيين).

د- وترى الباحثة أن الحرمان من الوالدية يحمل معه مركبات شديدة التعقيد من شأنها أن تترك آثاراً بعيدة المدى على البناء النفسي للمراهق ، وأن هذه الآثار تشكلها عوامل عديدة من حيث السياقات المختلفة والتي تتشكل بدورها في ضوء الظروف الخاصة بكل طفل من حيث الجبلة النفسية واستعداداته الوراثية.

هـذا بالإضـافة إلى أن القوانين والتشريعات وبرامج حقوق الإنسان تتجاهل إعطاء اهتمام جدي ورؤية موضوعية لمشكلات هؤلاء الأطفال . وبخاصة طرق التعامل معهم.

٢- بالنسبة للشريحة التي تتناولها الدراسة :

" ليس للون الأبيض من دلالة إلا ضمن إطار من تصور الألوان ، وليس للسكينة من وجود إلا على أرضية من تصور الأصوات . وليس للنعومة المنسابة من معني إلا على وهاد مـن الخشونة وقاع من النتوءات . كذلك الحال بالنسبة إلى السوية النفسية فليس لها من دلالة ولا من وجود أو معني إلا بالقياس إلى اللا سوية وعلي أرضية من تصور اختلالات المسالك والأمـراض . كذلك فإن السوية واللا سوية مفهومان يستحيل أن يفهما إلا الواحد بالقياس إلى الآخر . (صلاح مخيمر ١٩٦٩ : ٥)

ولذلـك لجـأت الباحـثة إلى اختيار شريحتين ، الشريحة الأولي من المراهقين غير الشـرعيين المقيميـن بـإحدى دور الرعاية والشريحة الأخرى من المراهقين الذين يتمتعون بوجـود كـل مـن الأب والأم وتحـت رعايتهما رعاية حقيقية ونطلق عليهم " أبناء الأسر الطبيعية " .

فبالنسبة للأبناء غير الشرعيين تتضاعف لديهم خطورة الحرمان من الأبوة والأمومة ويشعرون بالنبذ وبوصمة العار الناتجة عن اللاشرعية وحذف النسب هذا بالإضافة إلى الفقدان الذي لا يصاحبه أي وسائل للتبرير والتبرئة على نحو مشرف كما هو الحال في الأشكال الأخرى من الحرمان الوالدي مما يجعل من الصعب جداً على الطفل أن يواجه هذا الحادث المؤلم والفقد الإضافي لاعتبار الذات . ويوجه هؤلاء الأبناء غير الشرعيين كافة طاقاتهم في الحقد والألم والسلوك الجانح تجاه المجتمع وبذلك يفقد عائد إنساني بشري في المجتمع وتهدر طاقة كبري من التنمية البشرية . (سميرة شندي ، ١٩٨٣)
(Bubber – Cinny, 1994), (Skillestad – Katherin, 1995 (Jones – Kim – Allen, 1992)

٣- بالنسبة لحدود الدراسة والمنهج :

إن كانت الدراسات القليلة التي تناولت الحرمان من الوالدين وآثاره على الأبناء قد اتفقت مبدئياً على أن هذا الحرمان له أثاره السيئة على الأبناء إلا أنها وقفت جميعها عند مستوى المسح والوصف والملاحظة لهذه الآثار دون محاولات الكشف عن الآثار العميقة التي يخلفها هذا الحرمان على أبنية الشخصية وخاصةً لدي المراهقين من الأبناء غير الشرعيين .

إذن فماذا عن الطبقات العميقة للذات والصراعات اللاشعورية التي تفجرها هذه الخبرة وما يمارس من دفاعات للاحتفاظ بقدر من الاتزان والتوافق النفسي؟

هذا ما نحاول الوقوف عليه في دراستنا الحالية وصولاً إلى مستوى التفسير الفاهم من خلال الأطر النظرية التحليلية والمنهج الوصفى الإستكشافى (الجاليلى ذو الطبيعة التحليلة التى تُستخدم الطريقة الإكلينيكية) فى محاولة لسبر أغوار النفس الإنسانية ورسم بانوراما الوجود الإنساني من خلال فهمنا لأعماق مستوياتهاوالبنا ءاتها فلا شك أن خبرة اللا شرعية خبرة سيئة بكل المقاييس ولها آثارها المدمرة التي تقتلع الأبناء من أعمق الجذور وتقذف بهم رياح الألم والحسرة في دنيا الألم والضياع ولن يستطيع هؤلاء الأبناء الإفلات من هذه الخبرة وإن أفلتوا منها فسيكون بالجهود المضنية على حساب الأجهزة الدفاعية وعلى الحالة المستقبلية لبنائهم النفسي ومن ثم فإن أهمية الدراسة تكمن في توجيه الانتباه إلى هؤلاء الأبناء الذين اصبحوا يزدادون يوماً بعد يوم. وبداخلهم تلك الصورة للذات والآخرين ويتزاوجون من بعضهم أو من آخرين من أسر عادية فتزداد المشكلة حيث يتوارثون جهازاً نفسياً مشوهاً شديد الاضطراب . فهم في أشد الحاجة إلى الرعاية والدعم المادي والمعنوي للتقليل إلى حد ما من الآثار الجارحة والمشوهة التي يخلقها الغياب الوالدى الذي يعصف كرياح عاتية بأرواح بريئة . وأن نوفر لهم نماذج القدوة الصالحة لتضعهم على الطريق السليم ونقيهم من الانحراف .

الفصل الثاني

اولاً: مفهوم العلاقة بالموضوع

ثانياً: أهم الإسهامات النظرية :

١- المدرسة الكلاسيكية (فرويد)

٢- المدرسة الإنجليزية (ميلانى كلاين)

٣- النظريات المعاصرة:

(ماهلر) ، (جاكوبسون) ، (كيرنبرج)

ثالثاً: تأثير الوالدية على نمو البناء النفسي

أولاً: مفهوم العلاقة بالموضوع :

تتميز نظرية التحليل النفسي في العلاقة بالموضوع بأنها نشوئية دينامية في آن معاً ، وبأنها تتضمن ضرباً من التوازي بين نضوج الحياة الغريزية وبنية الأنا Ego في ذات معلوم ، في وقت معلوم . وينزع جماع الشخصية دائماً إلى التكيف بدرجة متفاوتة .. والعالم الخارجي .

إن هذه النظرية دينامية إذ تعترف بأن جماع الشخصية قد ينكص أو يتقدم في أي آن كما تتطور العلاقات بالموضوعات باعتبارها مجرى من الطاقة الغريزية يوجه الأنا ويضبط حركتها نحو الموضوعات الخارجية . ونقول بتغيرات كمية وكيفية معاً في هذه العلاقة الدينامية ذات الطاقة الليبيدية .

وهي كذلك نشوئية ، لأنها تصف التطور السوي للعلاقات بالموضوعات وتبين أن الصور التي تلبسها الدوافع والأنا في حالة نكوص ترد تلك العلاقات إلى مرحلة تطورية أسبق ، ويعزز هذا النكوص أن يكون جزء كبير من الاهتمامات الغريزية قد سبق تثبيته في موضوعات وأساليب إشباع تميز تلك المرحلة من التطور حيث يميل النكوص إلى التوقف فالتثبيت يضع علامة وقوف للنكوص . وهو يضعف القسم المتطور من الشخصية ،و يمكن لصعوبة في ممارسة النمط الأعلى تطوراً في العلاقة بالموضوع أن تؤدي إلى التخلي عن ذلك النمط ، ومن هنا يكون النكوص . (مصطفي زيور ١٩٨٦: ١٤١ ، ١٤٢)

ويعرف أوجدون Ogdon نظرية العلاقة بالموضوع بقوله : " نظرية العلاقة بالموضوع ، " هي نظرية في العلاقات الشخصية المتبادلة وتوجه الانتباه إلى اللاشعور، فهي في الواقع نظرية في العلاقات بالموضوع الداخلية اللاشعورية في تفاعل دينامي مع الخبرة الراهنة للعلاقات الشخصية المتبادلة . وهذه العلاقات الداخلية تشكلها طبيعة العلاقات بالموضوع الأصلية ولكنها لا تتطابق معها وإنما تتعدل بفعل الخبرة التالية . وهذه العلاقة بالموضوع الداخلية يعاد تخارجها من خلال الإسقاط والتوحد الإسقاطي في كل العلاقات الشخصية المتبادلة . (Ogdon, T., 1982 : 227)

ويري حسين عبد القادر إن اصطلاح " الموضوع " يستعمل ليشير إلى أشخاص أو أشياء كالبيئة الخارجية التي تكون ذات دلالة سيكولوجية لحياة الفرد النفسية سواء كانت تلك الأشياء حية أو لا حياة فيها وعلي نفس المنوال فإن عبارة العلاقة بالموضوع Objectrelation ترجع إلى اتجاهات الفرد وسلوكه إزاء الموضوعات ولا شك أن المقصود بهذا المصطلح هو نوع العلاقات للفرد بالآخرين وطبيعة بناء هذه العلاقات وصفات هذه

العلاقـات مـن حيث الحيل الدفاعية المستخدمة ، وطبيعة العلاقة بين الأجهزة النفسية والفرد وعالمه. (حسين عبد القادر ١٩٧٤ : ٢٩)

ويوضـح جـان لابلانش ،ج ب بونتاليس " Laplanche, J.and Pontalis " أن مصطلح الموضوع فى الكتابات التحليلية النفسية قد يصادف منفرداً أو فى العديد من التعابير من مثل إختيار الموضوع ، حب الموضوع ، فقدان الموضوع ، علاقة الموضوع. "
فاختيار الموضوع يعنى فعل اصطفاء شخص أو نمط الاشخاص كموضوع للحب. حيث يجب التميـيز بيـن اختيار موضوع طفلي وبين اختيار موضوع مراهق حيث يشق أولهما الطريق للثاني.
وقد أوضح لابلانش و بونتاليس أن فرويد يرى انه هناك أسلوبين رئيسيين يتدخلان فى اختيار الموضوع ، نمط اختيار الموضوع بالإستناد ونمط الموضوع النرجسي.

اختيار الموضوع بالاستناد :

ينتقي موضوع الحب في هذا النمط من اختيار الموضوع على غرار الصور الوالدية باعتـبارها تؤمـن للطفل الغذاء والعناية والحماية . ويستمد هذا النمط أساسه من أن النزوات الجنسية تستند أصلاً إلى نزوات instincts حفظ الذات .

اختيار الموضوع النرجسي :

ويتم اختيار الموضوع في هذه الحالة على غرار علاقة الشخص بنفسه ، وحيث يمثل (الموضوع المختار) هذا المظهر أو ذاك من الشخص عينه.

فقد كان الدافع الأقوى الذى اجبر فرويد على الاعتراف بوجود النرجسية هو اكتشافه بـأن بعض الأشخاص ، وخصوصاً اللوطيين منهم .. يختارون موضوع حبهم.. على غرار شخصهم نفسه ، ويتعارض اختيار الموضوع النرجسي مع اختيار الموضوع بالإستناد ، فكون الأول لـيس مجـرد إعادة انتاج لعلاقة سابقة بل تشكيل لعلاقة الموضوع على غرار علاقة الشخص لذاته.

" أمـا العلاقـة بالموضـوع يمكن فهمها بمعني راسخ للمصطلح باعتبارها علاقات بيـن – شخصـية (علاقـة متبادلة متفاعلة) ، ولايتضمن فقط الطريقة التي يشكل بها الفرد موضـوعاته ولكـن أيضاً الطريقة التي تشكل بها هذه الموضوعات نشاطه . واتجاه "كلاين" يولـي اهـتماماً كبيراً لهذه الفكرة (الموضوعات المستدمجة المسقطة التي تمارس فعلها على الفرد) (تضطهده وتؤيده .. الخ) (الموضوع الجيد ، والموضوع السيئ).

ويشيع استخدام مصطلح علاقة بالموضوع كثيراً بالتحليل النفسي المعاصر للدلالة على أسلوب علاقة الشخص مع عالمه ، فهذه العلاقة هى نتيجة معقدة وكلية لشكل من أشكال تنظيم الشخصـــية ، ولمقاربـــه متفاوته فى درجة تخييلاتها للموضوعات ولشكل ما من أنماط الدفاع المفضلة.

وحيـــث نالت فكرة علاقة الموضوع منذ عام ١٩٣٢ أهمية متزايدة فى أدبيات التحليل النفسى حت صارت تشكل اليوم بالنسبة للكثير من المحللين المرجع الرئيسي.

ولـــم يعـــد المفهوم الحالي للعلاقة بالموضوع يدل على مراجعة لنظرية الغرائز لدي " فـــرويد " ولكـــنه تضمن تحولاً في التأكيد والأهمية . فمصدر الغريزة باعتبارها مادة عضوية تلعب دوراً ثانوياً وتتحدد مكانتها باعتبارها نموذجاً أو نمطاً أولياً . كما أدركها فرويد لذلك فقد اقـــترحا اســـتبدال مصـــطلح المرحـــلة واســـتخدام مصطلح العلاقة ، ذلك لأن مفهوم العلاقة بالموضـــوع يعـــد مفهومـــاً شمولياً وطبوغرافيا عند تطبيقه على تطور الشخصية وهذا التغير يســـاعد على توضيح أن الأنماط المتعددة من العلاقة بالموضوع يمكن أن تتحدد أو تتبدل في الفـــرد الواحـــد . حيـــث أن الهـــدف (الإشباع الجنسي لمنطقة شبقية معينة) قد تلاشي وأفسح الطـــريق للعلاقة. فيكون التحول بدلاً من الفمية إلى الشرجية إلى الأوديبية (أي من الطعام إلى البراز إلى القضيب) إلى علاقات خارجية حقيقة.

ويـــندرج هـــذا التطور كما بينه دانيال لاجاش فى حركه فكريه لاتقتصر على التحليل النفسي والتى تؤدى الى الكف عن اعتبار المتعضى فى حالة العزله ، بل إلى النظر إليه فى تفاعله مع المحيط.

فلا بد من أخذ العلاقة بمعناها المتشدّد : إذ يتعلق الأمر بعلاقة متبادلة متفاعلة ، لا تقتصر فقط على أسلوب تكوين الشخص لموضوعاته ، بل أيضاً على أسلوب تشكيل هذه الموضوعات لنشاطه هو.

(جان لابلانش و ج.ب بونتاليس ترجمة مصطفى حجازى ١٩٨٥ :٣٧٥-٣٧٦)

وقد أشار " فريدمان Fridman إلى أن نظرية " العلاقة بالموضوع في التحليل النفسي تطورت من خلال قاعدتين مختلفتين .إحداهما تقوم على أساس " الملاحظة " وتتضمن الملاحظات المباشرة لتطور الطفل وتتابع نمو الشخصية في إطار العلاقات الأسرية ومجال العمل مع الأسرة ودراسة أنماط التواصل وأدوار الأسرة وتأثيرات تفاعل الأسرة على الفرد .
أما القاعدة الثانية للمعطيات حول العلاقة بالموضوع يتم الحصول عليها من الموقف التحليلي الإكلينيكي . (Fridman & Leonard j ١٩٧٥ : ١٣٧)

ويعرف كيرنبرج " نظرية العلاقة بالموضوع " بقوله : " يمكن أن تشير نظرية العلاقة بالموضوع إلى إنه اتجاه أكثر تحديداً في ميتاسيكولوجيا التحليل النفسي ، ويؤكد على تكوين ونمو ثنائية ديادية* أو تمثلات ثنائية القطبية في البناء النفسى الداخلي . (صور الذات والموضوع) باعتبارها Reflection انعكاساً للعلاقات الأصلية (الأم – الطفل) وتطورها اللاحق في العلاقات الشخصية المتبادلة الداخلية والخارجية : الثنائية ، الثلاثية، المتعددة . ولكن الأمر الأكثر أهمية هو تزامن إقامة البناء (الذات)* ، المشتق من اندماج صور الذات المتعددة مع تمثلات الموضوع أو الموضوعات الداخلية المشتقة أيضاً من اندماج صور الموضوع المتعددة في تمثلات شاملة للآخرين ويؤكد أيضاً على أهمية الثنائية الأساسية أو طبيعة الثنائية القطبية في عملية الاستدخال وفيها نجد وحدة صورة الذات والموضوع تتأسس في سياق وجداني معين .

وبهـذا المفهوم فإن وحدات الذات الموضوع – الوجدان تعد محددات أولية لكل الأبنية العقـلية (id, ego and superego) ، ويشـير كيرنبرج إلى أن هذا التعريف لنظرية العلاقة بالموضـوع في (التحليل النفسي) يدل على اتجاه أكثر تحديدا في الميتا سيكولوجي في التحليل النفسـي ولكنه يتضمن مؤلفين ذوي وجهات نظر متباينة فيما يتعلق بنظرية الغرائز ، والنماذج البـنائية لـلعقل ، واتجاهات العلاج وهم أصحاب اتجاه سيكولوجيا الأنا (اريكسون جاكوبسون وماهلر) والمدرسة الإنجليزية (فيربرن ، وينيكوت ، بولبى وميلاين كلاين .

وفـي إيجاز يشير كيرنبرج إلى أن اصطلاح الموضوع في نظرية العلاقة بالموضوع خاص " بكونه موضوعاً إنسانياً " طالما أنه يعكس الاستخدام التقليدي للاصطلاح

الديادية: تشـير الى التواصـل الثنائي بين الأم والطفل والذي أطلق علية شبيتز عملية التشكيل Modling Process تتضـمن سلسـلة من التبادل بين شريكين: الأم والطفل ويؤثر كل منهما فى الأخر بطريقة دائريه وقد أطلق شبيتز إسم الدياد عليها ، وهذه العلاقة علاقة خاصة تتماسك بوسطة ضوابط وجدانيه قوية.

الذات: Self : إن مصطلح الذات الذى استخدمه هارتمان لأول مرة سنـة ١٩٥٠ فى مقاله " تعليقات على الـنظرية التحليـلية النفسية عن الأنا Ego " Psychoanal.s Child (٩٦ - ٧٤ V). ويشير الى الشخص كـاملاً متضمناً جسم وأعضاء وتنظيم النفس واجزاء هذا التنظيم. وهذا المصطلح تبعاً لهارتمان إنما يشير الى وصـف مساعد من حيث أنه يدل على الشخص بوصفه ذلك فاعل Subject الذى يواجه عالم الموضوعات المحيطة. ويتصل هذا المفهوم بمفهوم الأنا Ego من حيث أن الذات هى احدى الوظائف التكاملية للأنا وتتميز بأنها معطى معاش. والشعور بالذات هو الحالة النفسية فى أبسط صورها وفى الوقت نفسه الأكثر شمولاً الذى يحدث فى الشخصية من حيث هي موجودة (نفين زيور ١٩٨٥ :٣١)

في الميتا سيكولوجي في التحليل النفسي بأنه العلاقة بالآخرين . (Kernberg, ١٩٨٤ : ٥٨)

تكوين الموضوع

وعن بـروز تكـويـن المـوضـوع The emergence of the object construct ، فقـد أوضـحت ميلاين كلاين (Klein,M) ١٩٥٢ أن العلاقات بالموضوعات تبدأ بمجرد أن يسـتطيع الرضـيع أن ينفعل ، مع أن " الموضوع " على الأرجح يعتبر هو الذات الداخلية في المراحل المبكرة للنرجسية . وقد افترضت نظرية تقليدية عن الدافع أن العلاقات الأولي لتمثيل Representation الموضوع لابد أن تتولد في حالة الجوع . (Fenichel ١٩٤٥)

والـذي يوضـح " للأنا " أن هناك مصدراً للإشباع الذي لابد أن يكمن خارج الذات . وعـند ظهـور بدايات أكثر تميزاً للوظائف اللاحقة للأنا ، فإن تمسك الرضيع بحقيقة أنه لابد القيـام بشـئ مـا عـن طريق العالم الخارجي لتخفيف الضغوط يؤدي إلى أول اشتياق نحو الموضوع وإنه من الواضح أن مثل هذا الاشتياق له يمثل علاقة بالموضوع من النوع الفطري والـذي يـتواجد فقـط طالما كان الموضوع غائبا . وبظهور الموضوع (أو الإشباع) يختفي الاشـتياق (Longing) ، وهـذا الـتخمين ينطوي على أن علاقة الأنا نحو موضوع ما تعتبر علاقـة بالتمثل الداخلي Internal representation لهذا الموضوع بمعني أن توظيف الشحنة الليـبيدية (cathexis) للأنـا تعتـبر في الحقيقية أنا داخلية intra – ego وترتبط فقط بصـورة الموضـوع (image) الـتي تشعر الأنا أنها يمكن أن تشبع حاجة معينة . وتعتبر بالنسـبة للموضـوع الحقيقـي الخـارجي غيـر ملائمـة ، لأن الأنـا ترتـبط فقـط بتمثل Representation لـم يخفـف الضـغوط المحتملة . وقد يختار الفرد ذلك النوع من العلاقة بالموضـوع فـي محيـط النظرية الدافعية للتقدم للأمام وفرض أنه حتى يرتبط بالبالغ الأمين الحقيقي (الذي وصل مرحلة الحب الحقيقي في علاقته بالموضوع بموضوع خارجي) فإنه في الواقـع يرتـبط بذلك بالتمثل الداخلى Representation لحياة هذا الموضوع . ومن الناحية الـنظرية فإنـه يمكـن لمـثل هـذا الـتوجيه أن يرتـبط بفروض كلاين ١٩٣٧ باستدخال Interojection الأم الطيـبة فالعلاقات دائماً تنمو على نحو تصورات داخلية أكثر منها على نحو واقع خارجي .ففي البداية فإن " الأنا " بالكاد تواجه توتراً عند الجوع ، ولاحقاً مع الوعي بـأن الموضـوعات تـتواجد مـع احـتمال تهدئه هذا التوتر فإنه يتم خلق العنصر الخارجي Outside . وهكـذا فـإن جسـد الوليد له مظهرين داخلي وخارجي ويمكن اعتبار الجسد " الجسر " إلى علاقة بالموضوع .(Samuel , J.,١٩٩٥: ٤٢٩ : ٤٤١)

ولقد قرر فرويد بوضوح أن الاهتمام الكلي بالموضوعات الخارجية يتواجد فقط حين يمثلون وسائل الإشباع المحتملة أو تهديدات للأنا ومن تلك الزاوية فإن العلاقة بالموضوع تعتبر تعاملات تمثل تسوية عملية بواسطة الأنا. (جان لابلانش وج.ب بونتاليس ١٩٨٥:٣٧٧)

وقد عرف إبراهام ١٩٢٧ العلاقة بالموضوع بمعني بأنـــها ثنائيــــة المشاعـــــــر "Ambevalence" ورآهـــا تبرز بمجرد وجود اندفاع للتدمير أو المحافظة على الموضوع فهـــو يري النرجسية على أنها تعوق القدرة الحقيقية للعلاقة بالموضوع. ومن ناحية النمو فإنه يـــري أصل العلاقة بالموضوع قد تم تأخيره حتى المرحلة الشرجية حيث يتم موافقة الأنا على تكويـــن الموضوع ".كأن تميز الأنا كوجود يتوافق مع اكتشاف الموضوع ،هكذا فإنه يمكن أن يقال أن الأنا تتواجد فقط بقدر ما تتمايز عن الموضوعات التي تمت ملاحظتها أنها ليست أنا.

(Samuel, J. ١٩٩٥ : ٤٢٩-٤٤١)

وتقول ميلانى كلاين في ذلك الشأن " إن السبب في حاجة الطفل الدائمة إلى أمه معه ليســت ليقتـــنع بأنها لم تمت بل لينفي أنها أم سيئة " مهاجمة " ، أنه يطلب حضور الموضوع الواقعي لغرض هزيمة الخوف من استدماج الموضوع المفزع وأناه الأعلى.

(Klein, ١٩٥٧ : ٢٤٩)

وهكـــذا فإن " ذات " الشخص " وهويته " لها أصل مضاعف وتكيف مضاعف كلاهما يشتق من تجاربه العلاقية .

إن أحد تلك الأصول هو الخبرة الجسدية بين – الداخلية لتكامل الجسم والرعاية الأكثر داخـلية لــلذات ، وهـــذا الجوهـــر يشتق من إحساس وعواطف الرضيع الداخلية ، ويظل هو الأســـاس والـــنقطه الجوهرية للشعور بالذات والتي حولها يتم تأسيس إحساس بالهوية حيث أن نموهـــا لا يعتـــبر حتميا ولكنه يعتمد على شرط استمرارية التجربة وكما أوضح وينيكوت أن الطاقـــة الموروثة التى تواجه استمرارية الوجود وتكتسب بأسلوبها الخاص وبسرعتها المعهودة واقع نفسى شخصى تشكل الرضيع كشخص .

أمـــا الأصل الثاني فإنه يبرز من خلال التمايز عن عالم الموضوع فإن كل من حدود الأنـــا (الإحساس بالإنقسام النفسى الشخصى عن باقى العالم والأنا المتصلة بالبدن والإحساس بـــدوام الإنفصال البدنى والإرتباط غير المتوقع بالبدن) يبرزان من خلال تلك العملية ويقترح وينيكوت العلاقة الجيدة بين الرضيع والراعى ، تسمح للرضيع بتنمية إحساس بالذات المنفصلة ذات لا يعـــتمد وجودهـــا على وجود آخر .وفى نفس الوقت بينما يتم تنمية إحساس بالإرتباط الوثيـــق وتمشياً مع نمو الذات والتمايز عن الأم يتحقق إنخفاض التبعية ومن ثم فإن مبدأ الواقع يطـــغى على المستوى الوجدانى كذلك على المستوى المعرفى . فإن الطفل يصبح على دراية

أن أمه كائن منفصل ذو اهتمامات وأنشطة منفصلة عند هذه النقطة تبدأ قاعدة الإحساس بالفرد الوجدانيـــة . ففـــي حالات ألم الجوع يكون الوعي الأولي بأن هناك شيئاً خارج حدود الذات ويـــتطور الموقـــف بفعل ميكانيزم الاستدخال إلى إدراك صورة الموضوع . ثم تتطور العملية لـــتحديد الـــذات أو الوعي بحدود ومعالم الذات ويتم بناء الموضوع بصورة أكثر استقراراً داخل الذات حيث يمكن استبقاؤه كبديل داخلي لصورة الأم مع الطفل حتى في حالة غيابها .

ويشـــير كيرينـــبرج إلى أن العـــالم الداخـــلي مـــن تمثلات الموضوع الذي نلمسه في اللاشعور والتخييلات والشعور هو غير واقعي ولا يمثل العالم الحقيقي والناس الحقيقيين الذين كـــانت لديـــنا معهـــم علاقات حالية أو سابقة ولكنه يتلون بصور الموضوع الباكرة المستدخلة والمـــتعين بهـــا . وبمرور الوقت تأخذ صور الموضوع تنظيم في هوية الأنا النامية ، وتتعدل تمثلات الموضوع بتأثير هذا النمو للأنا النامية . (Nancy Chodorow ١٩٧٩:٦٧-٧٠)

ثانياً: أهم الإسهامات النظرية

١- المدرسة الكلاسيكية

فرويـــــد

عـــند إدخـــال فـــرويد للتوحد (١٩١٧ أ ، ١٩٢٣ أ) وتطور الأنا الأعلى البنائية من العلاقـــات المبكرة مع القائمين بالرعاية (فرويد ١٩٢٣أ) والكشف البنائي لأنماط العلاقات مع الآخرين والروابط ما قبل الأوديبية بالموضوع (١٩٢٠ب ، ١٩٢٥ أ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٣) وكل مـــنها يؤكـــد على الموضوع الذي يري على أنه كيان في الواقع ، وله دور هام في الاقتصاد النفسي .

يبدو الموضوع أول الأمر في كتابات فرويد في كتابه ثلاث مقالات فى نظرية الجنسية ... وتعـــريفه الأول للاصـــطلاح بسيط حيث يقول فرويد " دعنا نسمي الموضوع الذي يحدث منه جذب جنسي " الموضوع الجنسي.

(فرويد ١٩٠٥أ .طبعة ١٩٢٠ ترجمة سامي محمود على ١٩٦٣).

ولكـــن أثـــناء مناقشة فرويد للجنسية المثلية جادل فرويد بقوله "إننا يجب أن نرفض " التفســـير الخام بأن كل واحد يولد بغريزته الجنسية مرتبطة بموضوع جنسي معين " ويستنتج " أنـــنا معـــتادون على النظر إلى الارتباط بين الغريزة الجنسية والموضوع الجنسي على أنهما أكثر حميمية مما هما عليه فعلاً. (Greenberg & Mitchell ١٩٨٤ :٣٩-٧٣).

وفـــي كـــتابه" الغرائز وتحولاتها" ١٩١٥، تناول " فرويد " من منظور نشوئي علاقة الذات بموضوعها . إذ يقول : " مع البداية للحياة النفسية الباكرة ، نجد غرائز الأنا توجه إلى نفسها ويشـــتق منها الإشباع . وهذه الحالة تعرف بالنرجسية . وهذه الإمكانية للإشباع يطلق عليها اصطلاح الشبقية الذاتية ، والعالم الخارجي في ذلك الوقت يكون غير مشحون بأي اهتمام ولا يعني به إلا غرض الإشباع . وفي هذه الفترة فإن الأنا ترتبط بما هو لاذ والعالم الخارجي بما هو مهمل (أو مؤلم باعتباره مصدر للإثارة). (Freud 1915 : 77, 78)

ويرى فرويد " إن الأنا لا يكون بحاجة إلى العالم الخارجي ولكن نتيجة للخبرات فإن الموضوعات تبدو باعتبارها مصادر للذة ومن ثم تتمثلها الأنا في ذاتها (تستدمجها) ومن ناحية أخرى فإن الأنا تدفع ما يثير الألم بداخلها إلى العالم الخارجي (الإسقاط)" .

ويجمـــل فرويد القول " في بادئ الأمر ، فإن العالم الخارجي والموضوعات التي تعد مكـــروهه يكونـــون شيئاً واحداً وفي وقت لاحق عندما يكشف الموضوع عن نفسه باعتباره مصدراً للذة يصبح محبوباً ، ولكنه يدمج في الأنا ، ويمكننا أن نقول أننا نحب هذا الموضوع . وعلـــي العكـــس من ذلك عندما يكون الموضوع مصدرا لمشاعر الألم نجد ميلاً حاداً لازدياد المسافة بين الموضوع والأنا ... ونشعر بنفور من الموضوع وكراهيته ، وهذه الكراهية تزداد عمقاً إلى درجة الميل العدواني تجاه الموضوع مع رغبة في تحطيمه " .
(Freud 1915 : 78- 80)

ويرى كيرنبرج و ميشل أن التدفق عبر كتابات فرويد يبين أن العلاقة مع الموضوع الخارجـــي يـــتم تحقـــيقها تطوراً فإذا لم يكن الموضوع موجوداً منذ البداية فإنه يجب إما أن يكتشف أو يخلق .

وفـــي مناقشة فرويد لحالة هانز الصغير يقول فرويد " إن هانز حصل على اللذة من مـــناطقه الشبقية بمساعدة الشخص الذي رعاه (أمه) في الواقع وهكذا فإن اللذة أشارت إلى طـــريق اختـــيار الموضوع (فرويد ١٩٠٩ : ١٠٨) وهذه النقطة أشار إليها في مقاله عن " النرجسية " مع تعليق أن الأطفال الصغار " يحصلون على موضوعاتهم الجنسية من خبراتهم عـــبر الإشباع " (فرويد ١٩١٤ : ١٠٨) . ومن هذا يمكن تطوير صورة جيدة لنظرة فرويد عـــن تطور " علاقات الموضوع " ففي بدايات الحياة لا يكون الدافع الجنسي قد وجد بعد كقوة موحـــدة مـــنظمة محركة والطفل هو مخلوق له دوافع مكونة تعمل مستقلة .ومع إخراج هذه الدوافع الجنسية الجزئية عبر علاقاتها الانتقائية مع دوافع الإبقاء على الذات خارج جسد الطفل الرضـــيع (مـــن الاستبدال التدريجي للشبق الذاتي) ، يحصل الرضيع على عدد من الخبرات

المشــبعة والمحــبطة . وهذه الخبرات وبشكل خاص المشبعة تقوده إلى تشكيل صورة لماهية الإشباع .وارتباط هذه الإشباعات بالحالات التي تمت تحت الخبرة يــؤدي إلــى تشـــكيل الموضوع . (Greenberg, & Mitchell ١٩٨٣ : ٤٠)

وفــي" الموجــز في التحليل النفسي "يقول فرويد" ... وعسير علينا أن نقول شيئاً عن ســلوك الطاقة الليبيدية في الهو وفي الأنا الأعلى وكل ما نعرفه يتعلق بالأنا ، حيث تدخر في الــبداية كل الكمية المتاحة من الطاقة الليبيدية. ونسمي هذه الحالة بالنرجسيه الأولية المطلقة . ويــبقي هــذا الوضع حتى يبدأ الأنا في شحن تصورات الموضوع بالليبيدو ، فيتحول الليبيدو النرجســي إلى الليبيدو الموضوعي . ويظل الأنا طوال الحياة المستودع الكبير الذي ترسل منه الشــحنات الليــبيدية إلى الموضــوعات ، وكذلــك تســحب إليــه ثانية ، كما يصنع جسم بــروتوبلازمى بأقدامــه الكاذبــة . ولا يحدث إلا في حالة الانغماس الكلي في الحب أن تنتقل الكميــة الرئيســية من الليبيدو إلى الموضوع ، وأن يقوم الموضوع إلى حد ما الأنا . ولليبيدو طابع مهم للحياة ، هو تنقله أو السهولة التي ينتقل بها من موضوع إلى آخر . وبالعكس يحدث أحياناً أن يتثبت الليبيدو في موضوعات معينة تثبيتاً غالباً ما يبقي طوال الحياة .
(فرويد ، ١٩٤٦: ترجمة سامى محمود على ط: ٢٠١٩٩٨ -٢١)

ويشــير فرويد إلى طبيعة العلاقة بالموضوع في السواء بقوله أن النموذج الأرقى من الــتطور حيــث يمكــن أن نرى ليبيدو الموضوع في حالة العاشق يبدو الفرد أنه يهب ويمنح شخصــيته بأســرها هديــة وعــربون حب للموضوع المشحون ليبيدياً ولا يستطيع أن يحظى بتعويض إلا إذا صار محبوباً بدوره ...

ومتي كان الإشباع الحبي مستحيلاً ، فلا سبيل إلى إعادة إغناء الأنا إلا بسحب الليبيدو من الموضوع وارتداد الليبيدو الموضوعي إلى الأنا ، وتحوله إلى النرجسية.

ويضــرب مــثلاً بالأشخاص الذين أصيب نمو الليبيدو عندهم بانحراف – المنحرفون والجنســيون المثليون–بأنهم لا يختارون موضوعهم الحبي اللاحق وفق طراز الأم، وإنما وفق طــراز شخصهم بالذات ، ومن الواضح أنهم يختارون أنفسهم موضوعاً للحب معتمدين بالتالي نمطـــاً فـــي الاخـــتيار الموضـــوعي يمكنـــنا أن نســـميه نرجســـياً .
(Freud ١٩١٤ ٢٢-٢٣)

ويصف فرويد الشخص المصاب بالهستيريا ، أو بالعصاب الوسواسى ،بأنه يتخلى هو الآخــر ضــمن حدود مرضه ، عن علاقته بالواقع غير أن التحليل يدل على أنه لا يلغي أبداً علاقــته الإيروسية (الشبقية) بالناس والأشياء ، وإنما يحافظ عليها في خياله. إلا أنه يستعيض

مـن جهـة أولي عن الموضوعات الواقعية بموضوعات وهمية(متخيلة) من ذاكرته أو يخلط بيـنهما ، ويعزف من الجهة الثانية عن توجيه أنشطته الحركية لبلوغ أهدافه ذات الصلة بهذه المواضـيع وأمـا حالة الليبيدو هذه هي التي ينبغي أن نستخدم من أجلها – عن حسن معرفة ودراية – ذلك المصطلح الذي يستعمله يونج (انطواء الليبيدو) .

أما المريض بالبارافرينيا فأمره يختلف إذ يبدو وأن هذا المريض يسحب بالفعل ليبيدوه مـن الناس والأشياء في العالم الخارجي ، بدون أن يحل محلهم موضوعات أخرى في خيالاته . وإذا مـا حدث بعد ذلك هذا الاستبدال ، فإنه يبدو ثانوياً ، ومندرجاً في إطار محاولة للشفاء ترمي إلى إرجاع الليبيدو إلى الموضوع.(Freud ١٩١٤, ٣١)

وطي الليبيدو أو نكوصه تبرره بعض علاقات مع العالم الخارجي ويعني "فرويد" بذلك إحـباط بعـض الإشـباعات المـرغوبة.وهي تعني أن كميات الليبيدو التي يمكنها أن تصبح شعورية وتوجه نحو الواقع تناقص وتتضاءل ، بينما الجزء اللاشعوري والذي يحول بعيداً عن الواقـع ويقـوي التخييلات اللاشعورية للفرد يتزايد كثيراً ويجد الليبيدو طريقه دابرا من خلال النكوص ويبعث الحياة في الصور الطفلية . (Freud ١٩١٢, ٣١٥)

وبالنسبة لفرويد كما بالنسبة للمنظرين التحليلين النفسانيين (معظمهم) فإن علاقة التطور الناجح هي القدرة على وضع علاقات مستقره مع موضوع كامل . وبمفاهيم نموذج الدافع / البناء فإن تكوين الموضوع الكامل يعتمد على تكامل التيارات المستقلة للحوافز الجنسية للطفولة (وكل منها قد كون موضوعه الجزئي الخاص به) في تيار واحد للجنسية التناسلية التي يمكن بطبيعتها أن تصيغ موضوعاً كاملاً .

ويتوجه فرويد إلى مسألة الروابط الاجتماعية فى عدد من الإصدارات ، ففي (الطوطم والتابو ١٩١٢ – ١٣) قام بتطبيق مبادئ علم النفس الفردي له على تنظيم المجتمعات البدائية متتبعاً كثيراً من ممارساتها إلى جهود التحكم في العداوة غير الواعية والجهود المحارمية والانحياز المزدوج .

وتـأتي مناقشـة فـرويد الأكـثر شمولاً للعلاقات الاجتماعية للإنسان في (علم نفس الجماعى وتحليل الأنا١٩٢١) وهو يبدأ بملاحظة أنه في الحياة العقلية للفرد يكون شخص آخر دائمـاً داخلاً كنموذج ، كموضوع ، كمساعد ، كخصم ، وهكذا بداية أول علم نفس الفرد ،وهو فـي نفس الوقت علم نفس اجتماعي كذلك ، والانخراط الحتمي للآخرين على أية حال لايعني أن عـلم نفـس الفرد هو علم نفس جماعة بل بالعكس . ويقرر فرويد أن الغريزة الاجتماعية ربمـا لا تكون بدائية وغير قابلة للتشريح " وأن الظواهر الإجتماعية في الواقع يمكن تفسيرها كلية بمصطلحات علم نفس الفرد التي " تفحص الطرق التي يسعى بها الإنسان لأن يجد الرضا

والإشـباع لحفزاته الغريزية ، ونموذج الدافع قادر على أن يخبرنا بكل ما نحتاج إلى معرفته عن حياة الناس كأعضاء في جماعات .

وهناك مسألة أخرى هامة للمحللين النفسانيين ، ولكنها لم تثر بشكل واضح في الوقت الذي كان فيه فرويد يخلق بناءه النظري تم فهمها بأشكال مختلفة على أنها التطور من الاعتماد المطلق إلى الاعتماد الناضج . (فيربرن ١٩٥٢)

وإنجاز الانفصال والتفرد (ماهلر ١٩٦٨) وتطور الذات المتماسكة (كوهوت ، ١٩٧٧) وكل من هذه الإنجازات التطورية ، المتجذرة في الحركة من أبكر الفترات لاعتمادية الطفولة إلـى المراحل الأكثر تقدماً في العلاقات بالموضوع يبدو أنه يضيف إلى التحليل النفسي بعداً غائـباً فـي الـنموذج الأبكر وهو خط تطوري " أنا فرويد ١٩٦٥ ، مستغلاً تلك الخطوط المرسومة داخل نموذج الدافع .

وفـي عـدة أماكـن يؤكـد فرويد على الأهمية التطورية للحركة من الاعتمادية إلى الاسـتقلالية وهـو يقرر أن " مسيرة تطور الطفولة تؤدي إلى انفصال متزايد باستمرار عن الوالدين " (١٩٢٤ أ ص ١٦٨) وأن الانفصال هو مهمة تواجه كل فرد وتؤدي إلى صعوبات موروثـة في كل التطورات الجسمية (١٩٣٠ : ١٠٣) وقد عرض لذلك فيما قاله فرويد فيما وراء مبدأ اللذة عن لعبة " هنا وهناك " التي كان يلعبها حفيده الرضيع.

ففـي هذه اللعبة فإن الطفل بإلقائه واستدعائه للعبة صغيرة مربوطة بخيط فإنه أعاد خلـق خـبرة حضـور وذهاب أمه وذلك تحت سيطرته . ويرفض فرويد إمكانية وجود دافع مستقل للاتفاق . وهو يفسر اللعبة على أنها تمثل " الإنجاز الثقافي الضخم للطفل وهو إعادة " الاتحاد الغريزي " (١٩٢٠ : ١٥) . ولقد رفض الطفل جزئياً طلبه المشتق من الدافع بإحداث انعكاس من السلبية إلى الإيجابية . وهو ليس هي الآن هو المسيطر على عملية الترك . ولكن النشاط ليس غاية في حد ذاته بل هو مجرد آليه للتعامل مع ضغط ارتباطه الليبيدى . ومفهوم الإيجابـية والسـلبية رغـم انهما يشيران في كتابات فرويد إلى أهداف غريزية فهما يعطيان تفسـيرات بديلة لنفس الظواهر التي تتناولها النظريات اللاحقة بمفاهيم الاستقلال والاعتمادية .وهكذا فالطفل يقنع نفسه إما بأن يصبح مستكفيا ذاتيا .. أو بإعادة خبراته السلبية بصيغة فعالة للعـب ، وإن لـم يكـن فإنه يصنع أمه موضوعا وينصرف نحوها على أنه الشخص الفعال (١٩٣١ ص٢٣٦) وبـنفس الطريقة التي تصور بها ماهلر (١٩٦٨ ، ١٩٧٢أ) وجاكوبسون) ١٩٦٤اتوترا مستمراً بين التفرد المستقر وجذب إعادة الانصهار النرجسى مع الراعي المبكر . ويتحدث فرويد (١٩١٥أ) عن القطبية بين الأهداف الجنسية الفعالة والسلبية .

(Greenberg & Mitchell 19883: 40-49)

ويمهـد التوتر المبكر بين الأهداف النشطة والسلبية الطريق أمام الانفصال النهائي للطفل عـن اعتماده المبكر . وقمة مسألة الانفصال تنشأ مع الفترة التطورية الأكثر حرجا في الطفولة ، وحدوث وانحلال عقدة أوديب وبالنسبة لفرويد فإن تصاعد الروابط الأوديبية وتغلب التثبيتات المحـرمية ضروريين لوظيفة الاستقلال التالية لذلك . وفقط بالتخلي عن هذه التثبيتات يستطيع الطفـل أن يجـد في العالم الخارجي (أسرته) موضوعات جنسية ملائمة ومتاحة (١٩١٠ ب ، ١٩١٢ أ ، ١٩١٨أ) . وهناك مجادلات بأن صياغة عقدة أوديب تتعلق فقط بالتوتر فيما بين لنا أن نجـادل بأن صياغة عقدة أوديب تتعلق فقط بالتوتر فيما بين الاعتمادية المبكرة والاستقرار التالي فيما يتعلق بالاحتياجات الليبيدية ، ولكن هذا المنظور نفسه يتميز بنموذج الدافع / البناء . والحـركة مـن السـلبية إلى الإيجابيـة ، والانغماس في الموضوع الأوديبي هو الحركة من الاعـتمادية إلى الاسـتقلالية والـتي يعـزوها إلي الأسس التفسيرية التي يوضع على أساسها النموذج ". (Greenberg, & Mitchell :١٩٨٣: ٤٠ – ٤٩)

ويشير فرويد في مقاله "الحداد والميلانيكوليا" إلى طبيعة الميلانكولى بموضوعه على نحـو عميـق . فهـو يميـط اللثام عن ارتباط الليبيدو بشخص معين ويفضل خيبة أمل تتعلق بموضوع الحب فان العلاقة بالموضوع تتقوض .

والنـتيجة تصـبح غيـر سوية ، إذا انسحب الليبيدو من هذا الموضوع ويطرح على موضـوع جديـد ، ولكن شيئا مختلفاً تماماً وهو التخلي عن موضوع الحب أو الليبيدو الطليق ينسـحب إلى الأنا ويكون في خدمة إقامة توحد الأنا بالموضوع المهجور . ومن ثم فإن ظلال الموضـوع تسـتقر في الأنا وتُنتقد بواسطة وظيفة عقلية خاصة والصراع بين الأنا والشخص المحـبوب يـتحول إلى انشـقاق بيـن الوظيفة الناقدة للأنا ، والأنا كما تبدت بفعل التوحد .. ويصبح التوحد النرجسى بالموضوع بديلا عن الشحنات الايروطيقية .

ويقـول فرويد: "... وفقدان موضوع الحب يشكل فرصة جد ملائمة للثنائية الوجدانية فـي علاقـات الحـب ، كما تستشعر وتأتى إلى المقدمة والتي تعبر عن نفسها في شكل توبيخ الذات " .(Freud , ١٩١٧ :١٦١)

وتعذيـب الـذات كمـا يرى "فرويد" لاذ وممتع وهذا يدل على إشباع الميول السادية والكـراهية وكلاهمـا يرتـبط بالموضـوع وبهذه الطريقة ، يرتد كلاهما إلى الذات ، وتتجه الشـحنات الايروطيقية الشبقية للموضوع لدى الميلانكولى نحو مصير ثنائي جزء منها ينكص إلـي الـتوحد ، ولكن الجزء الأخير ، تحت تأثير صراع الثنائية الوجدانية يحول إلى المرحلة السـادية المـتاخمة لهـذا الصـراع ، وهذه السادية تحل لغز الميل إلي الانتحار ، إذ تنسحب

شـــحنات الموضـــوع إلي الأنا ، والتي تعامل ذاتها مثل الموضوع وتطلق على نفسها العداوة والبغضاء المرتبطين بالموضوع . إذ الأنا يغمر بالموضوع .

ومـــن ثـــم يتضـــح لـــنا كيف أن العلاقة بالموضوع في الميلانكوليا تتعقد بصراع الثنائية. (Freud 1917: 162 , 163)

وفـــى مقـــال فـــرويد "الأنـــا والهو ١٩٢٣" يقول فرويد: "... إن خلق الأنا نتاج وترسيب لشـــحنات الموضوع المهجور ويتضمن سجلا لاختيارات الموضوع السابقـــة(في الماضي) (Freud 1960: 39)

ويقـــول فـــي موضع آخر" ... إن آثار التو حدات الأولي في الطفولة المبكرة تظل عمـــيقة وباقية إلى الأبد ... وهذا يقودنا ويعود بنا إلى الوراء إلي أصل ونشأة الأنا المثالي ، فـــوراء هذا الأخير يكمن أول وأهم التو حدات وهو التوحد بالأب ، والذي يحدث في تاريخ باكـــر من حياة كل شخص " ... ويستطرد "فرويد" قائلاً "وليس الأنا الأعلى مجرد اثر خلفته الاختيارات الباكرة للموضوع بفعل الهو ، ولكنه يمثل أيضا تكوينات عكسية مشحونة ضد هذه الاختيارات .(Freud 1960 :44)

بمعنى آخر "نشأة الأنا الأعلى من شحنات الموضوع الأولي في الهو أي من عقدة أوديب نفسه" . (Freud 1960: 60)

ومـــن ثـــم ترتبط أصل كل من الأنا والأنا الأعلي برواسب العلاقات بالموضوع في الماضي .

وفى بحثه عن علم النفس الجماعي وتحليل الأنا فقد أخذ فرويد في الاعتبار أهمية هذه العملـــية خاصة فيما يتعلق بالتشكيلات الجماعية . فيرى فرويد أن الشخص الذي تحت التأثير المغناطيسي سوف يتبع بلا وعى المنوم المغناطيسي وكذلك الشخص الواقع في الحب فإنه يتبع المحبوب ، وكذلك الجماعة ستتبع قائدها بدون تردد .

فما هو شائع لكل من العمليات الثلاثة هو أن الموضوع (المنوم) المحبوب ، القائد ، قد احتل مكان الأنا المثالية . فلقد توحد كل من الجماعة والعاشق مع الموضوع المحبوب. وقد تم بـــناء عقـــدة أوديـــب على أساس هذا التوحد ، بالنسبة لولد صغير توحد مع أبيه ، أعجب به ويحاكيه . ولكن يوجد شكلين مختلفين لتلك العملية :

الاختيار الموضوعي للأب .

التوحد (الذاتي) مع الأب .

ففـــي الحالة الأولي تم اختيار الأب كموضوع وكان الطفل سيحب أن يمتلكه ،أو بلغة المرحلة الفمية ، "يأكله" .

وفى الحالة الثانية فإن الطفل الصغير سيحب أن يكون مثل أبيه . وفى كلتا الحالتين فإن الأنا المثالية تركب على عملية التوحد ، في الحالة الأولى كموضوع يجب استدماجه أو دمجه ، وفى الحالة الثانية كنموذج يستحق المنافسة . ولكن حتى في شكله الأصلي فالتوحد والاستدماج interjection يعتبران متناقضان ambivalent فقد ترقى الرغبة في أكل شخص ما عن طريق المشاعر الرقيقة أو المشاعر العدائية ، بمعنى آخر ، فإن دافع الموت والليبيدية كانوا متحدين بشكل دائم من البداية وكان التكوين الأصلي للإنسان متناقضا أو مزدوجا . وإن الشكل الأساسي للتوحد الموضوعي (الرغبة في امتلاك شخص ما) أو التوحد الذاتي (الرغبة أن تكون مثل شخص ما) يعتبر متكررا في تشكيل كل مجتمع . عندما يقدم قائد الجماعة كأنا مثالية أو أنا عليا وكجزء أساسي من الأنا فإن الأنا المثالية (الأنا العليا) تعتبر قادرة على الدخول إلي العديد من الأنماط المختلفة للعلاقة مع الأنا ويعتبر البحث في تلك الأشكال المختلفة للعلاقة مهمة تحليل الأنا . فإذا مثلا تتطابق "شئ ما في الأنا" مع الأنا المثالية ، فان النتيجة هي الشعور بالنصر ، ولكن إذا كانت العلاقة بين هذين الاثنين متوترة ، فقد ينمو شعور بالذنب أو حتى بالنقص . وبعيدا عن عملية التوحد ، فقد حاول فرويد القيام برواية أكثر تفصيلا عن نمو الأنا العليا من الأنا في كتابه "الأنا والهو". وقد تمت الإشارة إلى أن العلاقة بين الأنا وتشكيل الشخصية يعتبر رد فعل لما يسببه الكبت . فالأنا العليا تنمو من الأنا كاستجابة للأب . وقد لا يجب أن تكون هكذا (مثل أبيك) – بمعنى أنها لا تفعل كل ما يفعله . وهكذا فإن الأنا العليا يتم تكوينها بشكل ثنائي . dualistically .

(Dieter wyss translated by: Gerald Onn :1966)

٢- المدرسة الانجليزية

ميلانى كلاين

إن إسهامات ميلانى كلاين لا تشكل مدرسة جديدة في التحليل النفسي وإنما تعتبر تطويرا ومواصلة للاتجاه الكلاسيكي في التحليل النفسي ، حيث تدربت م. كلاين على يد ك.أبرا هام كذلك فإن مقالاتها الأولى ١٩١٩ تعتبر تأصيلا ومواصلة لاتجاهات هذا المحلل وغيره من المحللين مثل فرينزى وجونز .

وتعد ميلانى أول محللة نفسية تعمل في مجال الأطفال وقد ركزت اهتمامها على السنوات الباكرة جدا من حياة الإنسان . وظهرت أولى مطبوعات كلاين في التحليل النفسي عام ١٩١٩ . وقد كانت هناك فجوة (gap) في أبحاث وممارسات التحليل النفسي قبل هذه الفترة . فاهتمام فرويد بدراسة البالغين والبحث عن المعني وراء الأعراض العصابية لديهم قد أدى إلي فروض متشابكة وغير واضحة عن الحياة الانفعالية لدى الطفل . وفى الوقت الذي بدأت كلاين العمل مباشرة مع صغار الأطفال وتركيز اهتمامها على المراحل جد المبكرة في الطفولة متتبعة ما سوف يحدث بالراشد من أعراض ، ظلت نظرية فرويد عن الطفولة مجرد استنتاجات جمعها من ذكريات وتخيلات البالغين .

لقد أقامت كلاين من ١٩١٠ إلي ١٩١٩ في مدينة بودابست وفى هذه الفترة كانت في غاية الانبهار بكتابات فرويد وشاركت فرينزى في العلاج بالتحليل النفسي وبناء على مقترحاته بدأت ممارسة مبادئ وأساليب التحليل النفسي لعلاج الأطفال الصغار .وبعد فترة بدأ ظهور اهتمام المحللين النفسيين بتقارير أعمال ميلانى كلاين في مجال التحليل النفسي . فدعاها كارل أبرا هام للعمل في معهد برلين للتحليل النفسي وعندما توفى أبرا هام عام ١٩٢٥ انتقلت للعمل مع ارنست جونز في إنجلترا واستمرت هناك إلى وفاتها ١٩٦٠ .

وقد أدت آراء كلاين إلي انقسام في مجتمع التحليل النفسي البريطاني والجمعية الدولية للتحليل النفسي بين مؤيد ورافض لأعمالها . فبالرغم من أن أعمالها كانت تبدو كامتداد لنظريات فرويد بدون أن تتضمن أي تجديدات أساسية إلا أن هناك من أتهمها بتشويه وحذف أساسيات في نظريته وممارسات التحليل النفسي . وقد بدأ هذا الانقسام بعد خلاف بين أنا فرويد وكلاين فقد حدثت علاقة معادية بينهما تتعلق بطرق علاج وتحليل الأطفال . وفى عام ١٩٣٠ اصبح الانقسام في شكل انقسام أيديولوجي في مجتمع التحليل النفسي البريطاني .

واصبح هناك مجموعتين مجموعة (A) تابعة لأنا فرويد ومجموعة (B) تابعة لكلاين ومجموعة أخرى لم تنضم إلي إحدى المجموعتين أمثال وينيكوت .

(Greenbarg & Mitchell 1983 :119 , 20)

ويقول فريد مان "تعد ميلانى كلاين من الناحية التاريخية أهم الشخصيات التي وجهت انتـباه التحـليل النفسـي إلى العلاقات الباكرة بالموضوع .... ولكن وجهات نظرها خلافية ويدور حولها كثير من الجدل .

ويضـيف فـريد مـان Friedman أن الكتاب الكلانيين استخدموا اصطلاح العلاقة بالموضـوع لـلدلالة على علاقات تخيلية، والتي تطبع اصطلاحهم "الموضوع الداخلي" الذي يختـلف عـن تمـثلات الموضوع والذي يعد خريطة عقلية للموضوع الخارجي وهذا يجعل الخبرات العقلية مع أشخاص حقيقيين في حياة الرضيع النامي لا تتوافق مع أفكار كلاين .
(Friedman ١٩٧٥ :١٣٨)

مراحل تطور تفكير كلاين :

لقد تطور تفكير كلاين من مرحلة إلي أخرى تبعا لتطورها العلمي كما يلي :

المرحلة الأولي : تمركزت حول أثر اللذة والمعرفة الجنسية .

المرحـلة الـثانية : تمركزت حول محاولة الطفل السيطرة على مواقف الحصر الاضطهادي ليأمن أخطار التدمير والثأر .

المرحلة الثالثـة : انتقال حاسم لرأي كلاين من نموذج دافع / بناء إلي نموذج علاقة / بناء حيث التركيز على الحصر الخاص بتدمير الموضوع ومحاولة ترميم الموضوع لجعله "كلا" مرة أخرى من خلال الحب ويصبح الحب هو القوة الدافعة داخل الشخصية وهكذا لم يعد الموضوع مجرد أداة لتحقيق الإشباع لكنه أصبح كيانا "آخر" بقيام الطفل بالحفاظ على العلاقة الشخصية والحميمة به .

المرحلة الرابعة : محاولة لتوازن وتجميع أعمالها السابقة في الاكتئاب ورأب الصدع (الإصلاح) باهتمام عميق بنظرتها الأولي عن العمليات البارانوية .

المرحلة الأولي : تميزت الكتابات الأولي لكلاين بتركيزها على المصادر الليبيدية Libidinal issue أكثر من تركيز فرويد نفسه في أعماله . فقد لاحظت كلاين وجود الدوافع النفسجنسية التناسلية والأوديبية في كل أنشطة الطفل ، فالجنس لدى كلاين يعنى التناسل .

وقد كانت في هذه المرحلة ترى أن كافة أنشطة الطفل (أنشطة الأنا) وكافة الاهتمامات مـا هي إلا رموزا جنسية ترمز للتناسل وتدل على الجماع أي أنها لها دلالات جنسية . وترى أن التطور الليبيدى يرتبط بدافع المعرفة لدى الطفل ، وهذا يرتبط بالرغبة الاستطلاعية . وقد

كانــت كلايــن ترى أن الطفل مكتشف شديد الشغف . و هذه الرغبة وظهور غريزة المعرفة وضعف الحصيلة اللغوية للطفل "للتعبير" يؤدى إلى إحباط وثورات عارمة .

وتعــد كافــة أشــكال الكفــوف لــدى كلايــن في هذه المرحلة ناتجة عن مخاوف الخصاء Castration Fears والخــوف مــن العقاب عقب المعرفة أو لكل إشباع جنسي، حيث ترى كلاين أن كل الأمراض النفسية تنتج عن كبت مظاهر الجنسية الطفلية .
(Greenberg & Mitchell 1983 : 122)

وهنا نجد من الضروري عرض وجهة نظر كلاين في **العقدة الأوديبية** ،حــيث تقول كلاين" .. في رأيي أن عقدة أوديب تولد خلال السنة الأولي من الحياة ، وتشرع في النمو لدى الجنسين تبعا لخطوط مشابهة . والعلاقة بثدي الأم هي أحد العوامل الأساسية التي تكيف النمو الانفعالي والجنسي" .

وتستطرد كلاين : إن البحث عن مصادر إشباع جديدة يشكل جزءاً من حركة الليبيدو نحو الأمام .

فالإشــباع المحسوس في ثدي الأم يتيح للرضيع أن يوجه رغباته صوب موضوعات جديــدة . وصــوب عضو الذكر الأبوي أول الأمر . ويمنح الإحباط الذي يعانيه الرضيع في علاقــته بــثدي الأم ، هذه الرغبة الجديدة مع ذلك دفعة خاصة . ويجب ألا ننسى أن الإحباط منوط بعوامل داخلية وبتجارب واقعية على حد سواء . فثمة ضرب محتوم من الإحباط الذي يمارسه الثدي ، ولو في الظروف الأكثر ملائمة . ذلك أن ما يرغبه الطفل في الواقع إنما هو إشباع غير محدود . ويقود الإحباط الذي يمارسه الثدي أولئك الصبيان والبنات إلي أن يتحولوا عنه . ويحرض فيهم الرغبة في ضرب من الإشباع الفمي يؤمنه عضو الذكر الأبوي . فالثدي وعضو الذكر هما إذن الموضوعان البدائيان للرغبات الفمية لدى الأطفال الصغار .

ويصوغ إشباع الطفل الصغير والإحباط الذي يعانيه علاقته بثدي طيب محبوب وبثدي سئ مكروه . وضرورة مواجهة الإحباط والعدوانية التي تنجم عنه هي عامل من العوامل التي تقود إلي إضفاء المثالية على الثدي الطيب والأم الطيبة وتقود بصورة موازية إلي تعزيز الكره للــثدي الســئ والأم الســيئة والخــوف مــنهما ، تلك الأم التي تصبح النموذج الأصلي لكل الموضوعات المضطهدة والمرهوبة .(كلاين ١٩٤٨ ترجمة وجيه أسعد ١٩٩٦ ب : ٢٣٦)

وينتقل الموقفان المتعارضان من ثدى الأم إلي العلاقة الجديدة بعضو الذكر الأبوي ، ويــزيد الإحــباط المعانــي فــي العلاقة السابقة تلك المتطلبات والآمال أمام المصدر الجديد. وتضاعف خيبة الأمل المحتومة التي تساهم بها هذه العلاقة الجديدة تلك الموانع أمام الموضوع

الجديـد ، وذلـك يـؤدى دورا أساسـيا في عدم استقرار المواقف الانفعالية ومراحل التنظيم الليبيدى.

وبما أن الطفل الصغير يستدخل ، في ظل غلبة الليبيدو الفمى موضوعاته منذ ولادته ، فإن للصور الذهنية البدائية مثلا في عالمه الداخلي . فالصور الذهنية المثالية لثدي الأم ولعضو الذكر الأبوي تستقر داخل أناه وتكون نواة أناه العليا ويقابل استدخال الثدي الطيب والسئ والأم الطيبـة والسـيئة ، استرجاع عضو الذكر الطيب والسئ والأب الطيب والسئ . فتصبح هذه الصور هي النماذج الأولى للوجوه الداخلية التي تحمى وتعين من جهة ، وتنتقم وتضطهد من جهة أخرى وتلك هي التوحدات الأولى التي تصوغها الأنا .

وتؤثر العلاقة بالشخوص الداخلية ، على أنحاء كثيرة ، في علاقة الطفل ذات المشاعر الثنائـية بأبويـه بوصفهما موضوعين خارجيين ، وتلقى بتأثيرها على أنحاء كثيرة . ذلك أن استدماج الموضوعات الخارجية يقابله ، في كل مرحلة من المراحل ، إسقاط الوجوه الداخلية علـى العـالم الخارجي ، وهذا التأثير المتبادل هو ركيزة العلاقة بالأبوين الواقعيين كما أنه ركـيزة لـنمو الأنا العليا . ونتيجة لهذا التأثير المتبادل ، الذي يفترض توجها صوب الخارج وصـوب الداخـل ، تكمـن فـي أن يستقر ترجح دائم بين الموضوعات والأوضاع الداخلية والخارجية وتتعلق هذه الترجحات بحركة الليبيدو بين مختلف الأهداف والموضوعات، فتطور العقده الأوديبية ونمو الأنا العليا مرتبطان إذن ارتباطا وثيقا .

(كلاين ١٩٤٨ ترجمة وجيه أسعد ١٩٩٦ ب : ٢٣٧)

المـرحلة الثانية:حدث تحول كبير وانتقلت كلاين من التأكيد على النواحي الليبيدية إلى التأكيد علـى المصادر العدوانية Aggressive issues والسبب في هذه النقلة هو تأثر كلاين بمقال فرويد ١٩٢٠ عن ما وراء مبدأ اللذة والذي أوضح فيه أن هناك لدى الإنسان ميولاً بيولوجية لتدمير الذات وأطلق عليها دوافع الموت . أي أنه ذو مصدر مشتق وليس من مظاهر الليبيدو أو غرائـز حفظ الذات ، وفى أوائل ١٩٣٠ أصبحت كل كتاباتها عن أهمية العدوان ولم تهتم بالدوافع الأخرى . (Greenberg & Mitchell 1983 : 123)

وقـد تحولت رؤيتها وآرائها من رغبة الطفل الليبيدية في معرفة محتويات جسد الأم إلى وصفها لها على أنها ميول للتحكم والامتلاك والتدمير لما بداخل جسد الأم وتحولت كذلك أفكارهـا مـن وصفها لعقدة أوديب على أنها مصدر اللذة المحرمة والخوف من العقاب إلى الصراع من أجل القوة والتدمير وبالتالي الخوف من الثأر .

المرحلة الثالثة :وتمتد هذه المرحلة من أعمال كلاين من منتصف عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٤٥ حيـث عادت إلى المصطلحات الليبيدية وكانت أعمالها الأولي عن المسائل الليبيدية تؤكد على

نظرية الدافع / البناء الكلاسيكية والتركيز على إحساسات اللذة الجسمية والإحساسات الجنسية وأصبحت معالجتها لهذه الموضوعات في هذه المرحلة تتعلق بالانفعالات الأكثر تعقيدا لمشاعر الحب والرغبة في رأب الصدع (الاصلاح) .

وتشير Segal 1979 إلى أن وفاة طفل "كلاين" ١٩٣٢ قد سبق مرحلة التعديل وتناولها للحب وللفقـدان ورأب الصـدع . فعلـى الـرغم من أنها ذكرت باختصار هذه المفهوم (الإصلاح Reparation) فـي عـام ١٩٢٩ إلا أن هذا المفهوم لم يأخذ وضعه ويصبح من اهتمامات كلاين وكذلك يتساوى مع مفهوم العدوان إلا بعد أن قامـت كلايـن بصـياغتـها لمـفهـوم Depressive anxiety الحصر الاكتئابى الطفلى ١٩٣٥ .

ولقـد وصـفت "كلايـن" في أعمالها المبكرة المخاوف الأساسية للطفل على أنها ذات طبيعة بارانويـة as paranoidin nature حيـث يحـاول الطفل الابتعاد عن أخطار الموضوعات السـيئة الداخلـية والخارجـية عـن طـريق جعل صورهم منفصلة . ومنشطرة عن الذات والموضوعات الجيدة . ولقد أطلقت كلاين على هذه المرحلة مصطلح الوضع الشبه فصامي – بارانوى . The paranoid – Schizoid position

"وترى كلاين (١٩٣٥) أن في الربع الثاني للسنة الأولي من الحياة يطور الطفل قدرته على استدخال الموضوعات كاملة وذلك في مقابل تجزئة وانشطار الموضوعات وهى مرحلة هامة جدا بالنسبة لنمو الطفل الذي يصبح عند تلك النقطة قادرا على تحقيق التكامل للإدراكات المنشـطرة السـابقة لـلأم وإدراك أن هناك أما واحدة فقط بملامح جيدة وسيئة وتصبح الأم الواحـدة تلـك هدف لغضب الطفل وهى تكون صورة واقعية وخارجية وانعكاس للموضوع الداخلي – في أثناء انغماسه في تخييلاته الشريرة الحاقدة وهذا يتم في قنوات الإحباط والحصر التي تربطها كلاين بالإحباطات الناتجة عن الفطام.

(Greenberg & Mitchell 1983 :125)

وتطلـق "كلاين" مفهوم الحصر الاكتئابى على الرعب والخوف المقترن بموت ونهاية الموضوع الكامل الذي يخشى الطفل من أن يدمره وهكذا فإن هناك فرقا بين الحصر الاكتئابى والحصر الشبه بارانوى .حيث يتضمن الحصر الشبه بارانووى خوفا من تدمير الذات آت من الخـارج أمـا الحصر الاكتئابى فيتضمن مخاوفا من موت الآخرين على المستويين الداخلي والخارجـي وذلـك في فترة تخييلات التدمير التي يخلقها عدوان الطفل ذاته ، وكنتيجة لهذا الغضـب المنبعث في وقت الإحباط الفمى يتخيل الطفل أن عالمه خال وداخله مستنزف وأنه بمثابة قوقعة خالية .ويحاول الطفل حل حصره الاكتئابى ومشاعر الذنب الشديدة المصاحبة له عن طريق رأب الصدع (الإصلاح) حيث يتم إصلاح الأم عن طريق تخييلات ترميمية تعمل

على خلق الأم التى دمرها مرة أخرى . وهكذا فهو يستعين بتخييلات القدرة المطلقة السحرية Phantasied omnipotence فـي خدمة الحب والإصلاح . كما تؤكد كلاين على أن الطفل يهتم بالآخرين بالفعل في فترة الوضع الاكتئابى ، ليس نتيجة تكوين عكسى أو نتيجة اعتمادية علـى الموضـوع ولكن تعبيرا عن حب وأسف حقيقي وفعلي والذي تطور بناء على امتنان حقـيقى وفعلـى لما تلقاه من حسن معاملة من أمه وفى هذه المرحلة تنتقل كلاين من نظرية الدافـع / البناء إلى نظرية العلاقة / البناء حيث ترى أن حصر مصير الموضوع ومحاولات استعادته وتكميله مرة أخرى بالحب هي القوة الدافعة داخل الشخصية .

وهـى تـرى أن محاولات إنقاذ الموضوع المحبوب وإصلاحه واستعادته تكون في حالات الاكتئاب مصحوبة بيأس حيث يشك الأنا في قدرة تحمله إجراء هذه المحاولات ، التى تعتـبر عوامل لكل الإعلاءات Sublimations وكل تطور للأنا . فالموضوع ليس فقط أداة لإشباع الغريزة ولكنه أصبح أيضا "الآخر" الذي يحافظ الطفل على علاقات شخصية معه .

المـرحلة الـرابعة :تمـتد المرحلة الرابعة والأخيرة من أعمال "كلاين" منذ أن نشرت مقالها ١٩٥٤ المعنون بـ "Notes on some schizoid mechanizms" لقد كانت هذه المرحلة محاولـة للتوازن وتجميع أعمالها عن الاكتئاب والإصلاح باهتمام عميق بنظرتها الأولي عن العملـيات الـبارنووية .وتناولـت مناقشـات كلاين عمليات الانشطار حيث أكدت على أن انشطارات الموضوعات تستلزم انشطار مماثلا في الأنا .
(Greensburg & Mitchell 1983:1265-130)

وتـرى كلاين .... أن الأنا الأعلى يبدأ مع بداية الحياة نفسها وأن تكوينه يستمر عبر سنوات طويلة وأن ما يعنيه فرويد بالأنا الأعلى هو المرحلة الأخيرة في نشأة الأنا الأعلى أما أصول الأنا الأعلى فهي ذلك الجزء من غريزة الموت التى يقوم الأنا بإسقاطها – حماية لنفسه – علـى العالم الخارجي ويكون أول موضوعاتها هو ثدى الأم . ويسهم الإحباط – ومن قبل صدمة الميلاد التى تستثنى مشاعر اضطهادية – في إذكاء حدة هذه المشاعر العدوانية ويؤدى إسـقاط هذا العدوان الأولى بالإضافة إلى العدوان المستثار بفعل الإحباط إلى تحريف صورة الموضـوع الجزئـي وتصوره كمصدر للعدوان والتدمير . كما يؤدى ابتلاعه إلى إدماج هذه التخيـيلات الاضـطهادية التدميرية بالداخل ، وعملية إدماج الموضوع الجزئي (الثدي) الذي يدمجه الطفل بداخله لا كما هو في حقيقة أمره وانما كما يتخيله بفعل ميوله التدميرية الناجمة عـن إسـقاط جـزء من غريزة الموت إلى الخارج . ويرتبط هذا الأنا الأعلى هنا بالمرحلة المسـماه الاضطهادية ، فهى اضطهادية من حيث نوع المخاوف التى تستثار وانفصامية من حيـث نـوع العملـيات الدفاعـية التى يستخدمها الأنا في مواجهة هذه الضروب من القلق

الاضطهادى . أما من حيث الموضوع فهو موضوع جزئي بمعنى أن الثدي ينقسم إلى قسمين قسم سئ وأخر طيب وأن الأول مرتبط بالمخاوف التدميرية وبمشاعر الإحباط التى تذكى حدة هــذه المشــاعر وتنشطها كما أن الثاني مرتبط بمشاعر اللذة والرضا كما أنه بشكل ما تسميه كلايــن بالنقطة المركزية في نمو الأنا . ويلعب هذا الموضوع الطيب دورا حاسما في عملية النمو الليبيدى وفى تكوين العلاقة بالعالم الخارجي .

والقــوة المحركة هنا هي القلق ، والأنا الأعلى هنا يستثير القلق الاضطهادى ويصبح موضوع هذا القلق هو الشخص نفسه ومحتويات جسمه .

العدوان :

ترى كلاين أن هناك تداخلاً دائما بين الدفعات الليبيدية والعدوانية تناظر الانصهار بين غرائــز الحــياة والمــوت . كذلك يحدث توازن بين الدفعات الليبيدية والعدوانية في حالات التخلص من الجوع والتوتر . وعندما يتعرض الطفل لحالات حرمان سواء من مصادر داخلية أو خارجية يحدث اضطراب في التوازن مما يعزز الدفعات العدوانية .

وترى كلاين أن هناك إحساسا يمكن أن نسميه الشره Greed ينتج من تبادل الاتزان بيــن الليبــيدو والعدوان والذي يعد أساسا ذا طبيعة فمية وان أي زيادة في الإحساس بالشره Greed تقوى الإحساس بالإحباط ثم بالتالي الدفعات العدوانية .

ونجــد الأطفــال "العدوانيين بالفطرة" يزداد لديهم حصر الاضطهاد والإحباط والشره Greed ممــا يسبب صعوبة لدى الطفل على تحمل الحرمان والتعامل مع الحصر وبالإضافة لذلك قد يسبب حصر الاضطهاد في حالات أخرى كفوف عن التغذية Feeding inhibitions ... وتعــد خــبرات الإشباع والإحباط المتكررة بمثابة مثير قوى للدفعات الليبيدية والتدميرية وللحــب والكراهــية أيضا . فبقدر ما كان الثدي مشبعا يكون محبوبا وجيداً ، وبقدر ما كان مصــدراً للإحباط يكون مكروها وسيئا . ينبع ذلك التناقض من عدم تكامل الأنا ومن عمليات انشطار الموضوع في الأنا .

وفــى حــالات الإحباط والكراهية يبرز دور "الثدي" المكروه في دفعات الطفل ذات الخصائص الفمية التدميرية . ففي تخييلاته التدميرية destructive phantasies يقوم الوليد بعــض وتقطيع وإبادة الثدي فهو لديه شعور بأنه سيهاجمه بنفس الطريقة . كذلك عندما تقوى الدفعــات التدميرية الخاصة بمنطقتى التبول والتبرز يكون لدى الطفل شعوراً بأن هذه المواد سامة ومدمرة أيضا . ونجد أن التخييلات السادية لدى الطفل مرتبطة بمخاوفه من المضطهدين داخليا وخارجيا مثل الثدي "السئ" المنتقم .

وبمـــا أن الهجمـــات التخيلية على الموضوع مرتبطة أساسا بالإحساس بالشره فيعد الخـــوف من شره الموضوع object's greed باتباع عملية الإسقاط عاملا أساسيا في حصر الاضطهاد سيلتهمه الثدي السئ بنفس الطريقة الشرهة التى كان يرغب هو في التهامه بها . (Klein 1970 :198-201)

الاكتئاب :

فى هذه المرحلة يخطو الطفل خطوة بالغة الأهمية من حيث النمو النفسى ، حيث نمو الأنا ونمو وظائفه المختلفة مثل التكامل والوعى والقدرات العقلية والعلاقة بالعالم الخارجي . وفى نفس الوقت يتقدم التنظيم الجنسى لدى الطفل فتزداد ميوله البولية والشرجية والتناسلية . ومع النضج ونمو الخبرة وتناقص السادية يبدأ ظهور عمليات تأليفية تكاملية يكون من نتيجتها ظهـــور الشـــعور بوحدة الموضوع . أى أن الطفل يبدأ فى الشعور بأنه لايوجد إلا موضوع واحد يحس حياله بالحب كما يحس حياله بالكراهية . وأن الدمار الذى كان يقصد به الجوانب الســيئة مـــن الموضـــوع يصـــيب كذلك الجوانب الطيبة منه . وبالتالى ينشأ حصر الاكتئاب ومشاعر الذنب ، أى أن مركز الثقل فى الاهتمام أو الخوف ينتقل من الخوف على الذات من الموضـــوع إلى الخوف من الذات على الموضوع . وفقدان الموضوع المحبوب الذى لا غنى عنه يزيد الإحساس بالشره الذى يجد الطفل أنه خارج نطاق السيطرة عليه وأنه مدمر ويسبب خطرا على الموضوعات الحبيبة إليه سواء الداخلية أو الخارجية . أى أن الآخر – الموضوع الكلى – سيبدأ احتلال مركز الثقل وبذا يصبح الوضع الاكتئابى حاسما فى ظهور مشاعر الإثم . ومـــن ثـــم الرغـــبة فى التفكير والإصلاح واستعادة الموضوع ، أى ظهور نوع جديد من العمليات الدفاعية تهدف جميعها إلى تجنب الموضوع وحمايته من خطر المشاعر العدوانية .

وكمـــا أن الأســـاليب الدفاعية الغالبة فى الوضع الأول هى الأساليب التفتيتية والتفريقية والـــتى تـــؤدى إلى تفتيت الأنا والمشاعر والموضوع دون إحداث تعديل حقيقى فى المشاعر والتخيـــلات المســـتثارة فإن الأساليب الدفاعية المستخدمة فى هذا الوضع يمكن تقسيمها إلى فئتين :

الفـــئة الأولـــى : فـــئة الأساليب الإنكارية وهى أساليب تهدف إلى إنكار ما حدث للموضوع الداخلى الطيب من دمار دون حدوث محاولات جديدة لتعديل المشاعر التدميرية الموجهة إلى الموضوع ، كما يمكن أن ترتد الأساليب الدفاعية الإنكارية إلى الجانب الطيب من الموضوع بقصـــد إنكار طيبته وهذه الأساليب الدفاعية تكشف عن عدم قدرة الأنا على مغالبة المشاعر التدميرية والعدوانية وتهدد بالارتداد النكوصى إلى الوضع السابق وتدعيمه .

الفئة الثانية : فئة الأساليب الإصلاحية التعويضية وهى تشتمل على تلك المعادلات الخاصة بالمغالبة التدريجية لآثار العدوان في محاولات تخليص الموضوع الطيب من آثار العدوان عن طريق استعادته تخييليا وحمايته من الأخطار الناجمة عن المشاعر العدوانية .ويؤدى النجاح في هذا المضمار إلى فتح الطريق إلى التخلص من ضروب القلق المبكر ذى الطابع الذهانى وفتح الباب أمام أساليب الدفاع العصابية الحوازية وبالتالي التقدم إلى طريق السواء عن طريق العلاقات الخارجية المشبعة بالموضوع الفعلى الخارجي .

"إن الوضع الاكتئابى وما يظهر فيه من ميكانيزمات دفاعية إصلاحية تعويضية ومـــا يســـتثيره من مشاعر الإثم وما يتسم بوحدة الموضوع يمكن اعتباره بداية ظهور الأنـــا الأعلى بصورة أخرى مماثلة للأنا الأعلى في المفهوم الفرويدى التقليدى . بعبارة أخـــرى بدايـــة التبادل بين الموضوعات الخارجية والموضوعات الداخلية بقصد تعديل الأخيرة وتجريدها وتحديدها من طابعها الاضطهادى البالغ العنف مما يؤدى إلى حدوث تطوير جذرى في الأنا الأعلى يجعله قريباً من الأنا الأعلى التقليدى .

(كلاين ترجمة وجيه اسعد ١٩٩٦ب:٢٤٠)

الوضع الاكتئابى :

تشير " هانآ سيجال "(Hanna Segal) إلى أن الوضعية الاكتئابية كما تصفها ميلانى كلاين ، هى التى يبلغها الطفل عندما يعترف أن أمه وأشخاصا آخرين – أباه على وجه أخص – هـــم أشـــخاص واقعيون ، و أن علاقاته بالموضوعات يطرأ عليها عندئذ تحول أساسي فهو يدرك الموجودات الكلية ، في حين أنه كان من قبل يشعر بوجود الموضوعات الجزئية ويدرك موضـــوعا كـــليا ، طيباً وسيئاً في وقت واحد ، بدلا من موضوعات "منشطرة" طيبة على نحو مـــثالى أو مضطهدة على نحو لا يقاوم . والموضوع الكلى محبوب أو مستدخل ، ويكون نواة أنـــا متكاملة . ولكن هذه الكوكبه الجديدة تتيح المجال لوضع جديد من الحصر : ففي حين كان الطفل من قبل يخشى أن يرى الموضوعات المضطهدة تهاجم الأنا ، فإن ما يخافه الآن ، على وجـــه الخصوص ، هو أن يفقد الموضوع المحبوب في العالم الخارجي وفى داخل نفسه . ولا يـــزال الطفـــل ، فـــي هـــذه المرحلة ، تحت سيطرة الاندفاعات الشرهة والسادية التى يتعذر ضبطها.

وموضـــوع الحـــب لديـــه ، فـــي هذه التخييلات ، عرضة باستمرار لهجمات شرهة وحقـــودة ، مدمـــرة وممزقة ، وليس موضوع هذه الهجمات هو الموضوع الخارجي فحسب، ولكـــنه الموضـــوع الداخلى أيضا . وذلك كما لو أن كلية العالم الداخلى كانت قد وجدت أيضا

مدمـرة ومحطمـة . وثمة أجزاء من الموضوع المدمر يمكنها أن تصبح مضطهدة . ويعانى الفـرد مشـاعر الخوف من اضطهاد داخلي ، والأسف على الموضوع المحبوب والمفقود ، والإثمية لأنه هاجمه . وذكرى الوضع الجيد حيث كانت أنا الطفل تحتوى على كلية موضوع الحـب ومعايـنة أن هـذا الموضوع كان قد فقد من جراء هجماته الخاصة ، يتيحان المجال لعاطفة حادة من الخسارة والإثمية والرغبة أيضا في ترميم الموضوع وخلقه مجددا خارج الأنا وداخلهـا ، وهـذه الرغـبة فـي الترميم والخلق الجديد موجودة في أصل الإعلاء والإبداع اللاحقين.

وفـي هـذه المـرحلة أيضـا يكتسب الطفل حس الواقع الداخلى . فإذا كانت ذكرى الموضـوع هـي ذكـرى موضوع كلى ، فإن الأنا تجد نفسها ملزمة بقبول ثنائية" المشاعر الخاصـة بها إزاء الموضوع ، وتعتبر نفسها مسئولة عن الاندفاعات والأضرار التى ألحقتها بالموضوع الخارجي والدا خلى . إن الاندفاعات وبعض الأجزاء من ذات الطفل الصغير كانتا تسقطان على الموضوع من قبل ويرافق ذلك ، بوصفه لازمة ، تكون صورة مزيفة للموضوع ، وتقـى الطفل اندفاعاته الخاصة وغياب التمايز بين الذات والموضوع الخارجي على الغالب أيضا – ويشهد الطور الاكتئابى على العكس ، ظهور حس بالواقع الداخلى ، يليه حس بالواقع الخارجي .

والتخييلات الاكتئابية لا تولد الرغبة في الترميم والإصلاح ولا تحرض تطورا لاحقا إلا بمقـدار مـا تكـون الأنا قادرة على أن تتحمل الحصر الاكتئابى وان تحتفظ بحس الواقع النفسى . وإذا لم يؤمن الطفل بقدرته على الترميم فإن الموضوع الطيب – الخارجي والداخلى – يكون محسوسا بوصفه مفقودا مدمراً ، على نحو نهائى وتتحول الأجزاء المدمرة إلى أجزاء مضـطهدة ويبدو الوضع الداخلى أنه لا مخرج منه . وتصبح أنا الطفل تحت رحمة العواطف التى يتعذر تحملها ، عواطف الإثمية والخسارة ، وتحت رحمة الاضطهاد الداخلى .

وعلـى الأنـا أن تلجـأ – لتحتمى من اليأس الأكمل – إلى آليات الدفاع العنيفة وهذه الآليات الدفاعـية – الـتى تحميها من العواطف الناشئة من فقدان الموضوع الطيب – تكون منظومة الدفـاع الهوسية والسمات الأساسية للدفاعات الهوسية هي نفى الواقع النفسى ، والقوة الكلية ، والنكوص الجزئي إلى وضع ذهانى هذائى و إلى دفاعاته : التصدع وإضفاء الصفة المثالية ، والـنفى ، والـتوحد الإسـقاطى ، الخ وهذا النكوص يعزز الخشية من الاضطهاد وذلك يقود بدوره إلى تعزيز القوة الكلية . (هانآ سيجال ترجمة وجيه اسعد ١٩٩٦أ :١٨٩ –١٩١)

وترى كلاين أن مع تحول اهتمام الطفل إلى موضوعات أخرى غير ثدى أمه مثل أجزاء من جسمها هي أو موضوعات أخرى من حوله أو أجزاء من جسمه هو يبدأ مع هذا عملية أساسية

فــي نمــو الإعـــلاء Sublimation والعلاقات بالموضوع فيتحول كل من الحب والرغبات (الليبيدية والعدوانية) وكذلك الأحصره من الموضوع الأول والمتفرد وهو الأم إلى موضوعات أخـــرى ووجــود اهــتمامات جديدة يعد بمثابة تعويض عن العلاقة بالموضوع البدائى . هذا الموضـــوع الــبدائى لــيس الموضوع الخارجي فحسب ولكن الثدي الجيد المستدخل أيضا . (Kelin 1970 : 224)

وتشــير هــيمان Haman "عندما يرضى الطفل ، فقد حصل على أثداء طيبة يحبها ويمكــن أن يأكلها. أنه يبتلعها ويكون معها وحدة ويذهب إلى النوم مع موضوعاته المحبوبة . أمـــا إذا لــم يكــن عالمه مشبعا وخبر فيه استمرار الجوع فترات طوال ، فإنه يستدمج تلك الجوانــب السيئة المحيطة ويعيش في عالم من خيالاته مكفهرا . وإن محاولة الطفل استدماج الأثــداء الطيــبة وإبقاءها ، وإسقاط ألمه والأثداء السيئة التى لم تكن ناجحة تشعره باضطهاد الأثداء الرديئة "التى في داخله" .

فالأم الطيبة التى يستدمجها الطفل لتكون له عالمه الداخلى تصبح صورة الذات فإدراك الطفل لذاته يقوم أولاً على استدماج الآخر بحيث يكون ذلك الاستدماج بداية لشعور ما ، فنمط العلاقة بالأم في الربع الأول من السنة الأولي أساسه استدماج المسقط المستدمج أصلا وتكوين وحدة بين الذات والآخر. (أحمد فائق ١٩٨٢ :١٨١)

وتقول نيفين زيور : "لقد تضمنت آراء كلاين في النمو النفسى للطفل علاقة بدائية بالموضوع تــتكون بســرعة مــنذ بداية لحظات الحياة خارج الرحم ، وهاهى ترى أن الخبرات القديمة للرضاعة تتضمن وجود أنا ذى قدرة منذ الميلاد كما تضم شذرات من التكامل وخاصة القدرة على الشعور بالحصر وبناء الدفعات والتخييلات . (نيفين زيور ١٩٨٨ :١٣-١١)

وتقول كلاين مشيرة إلى أهمية العلاقة بموضوع ثابت آمن : "إني أرى أن الموضوع الطيب الثابت الآمن ، والمحتوى لحب راسخ مطمئن آمن يعطى الأنا الشعور بالثراء والامتلاء ويســمح باستثمار الليبيدو خارجا وإسقاط للأجزاء الطيبة من الذات على العالم الخارجي دون الإحســاس بالخواء وبالعكس فالأثداء المأخوذة في كره تشعره أنه أمر مدمر يصبح نمطا لكل الموضــوعات الداخلــية السيئة وتدفع الأنا إلى انضمام اشد وتصبح ممثلة لغريزة الموت في الداخل .

وتستطرد كلاين مؤكدة أنه كلما زادت شحنة ثدى الأم – بحيث تتوقف كمية الشحنة على اندماج العوامل الخارجية المتمثلة في سلوك الأم ، والعوامل الداخلية المتمثلة في حياة الطفل الخيالية التى على رأسها طاقة الحب بأهميتها العظمى – كلما استقر في قرار الطفل نموذجا للموضوعات الطيبة واستدمجت بأمان تلك الأثداء الطيبة. (Klein 1957 : 310 – 312)

اللعب :

وقـد ابتدعت " كلاين طريقه في العلاج تتناسب مع طبيعة الحياة النفسية للطفل حيث أن قدرة الطفل اللغوية تكون غير مكتملة وبالتالى لا يستطيع أن يصف إحساسه العميق وبناء على ذلك لا يصلح معه منهج التداعى الحر .

ويخدم اللعب دورا رئيسيا في الحياة النفسية للطفل حيث يمثل اللعب أشكال المخاوف والأمنـيات اللاشـعورية العميقة للطفل وعلى الرغم من أن الطفل يلعب بمفرده إلا أنه يقوم بأدوار متعددة . ووجدت كلاين أن ملاحظة وتفسير هذه الأدوار وتحديدها والربط بينها يساعد الطفـل علـى كفـاح واختراق الصراعات المختلفة والعلاقات مع الآخرين والتعيينات الذاتية المتباينة مزودة بسلاح تفسير اللعب .

وتقـول كلايـن : إن الجهود التى يكررها الطفل في ألعابه من أجل السيطرة على قلقه تسـتدعى أيضا بنظرها ضبط الإثارات عن طريق إحداث حالة من القلق عند الشخص وهذه الإزاحة باتجاه الخارج لأخطار غريزية وداخلية تدفع الطفل لمواجهتها بشكل أفضل وتسهيل عملية التغلب على الخوف الصادر عنها .إن إزاحة القلق ذى المصدر الداخل – نفسى باتجاه العـالم الخارجي يرافقه تحويل باتجاه الخارج لغريزة التدمير وسيكون من آثارها تزايد أهمية الموضوعات لأنه من خلال العلاقة بهذه الموضوعات سوف تنشط من الآن وصاعدا النزوات والدوافع الإيجابية . وسوف يجد الطفل إذن في موضوعاته مصدرا للأخطار ولكن أيضا ملاذا يحميه من القلق كلما كانت هذه الموضوعات .

فمن أجل التغلب على القلق يكرس الطفل القسم الأكبر من طاقته النفسية بحيث تصبح هـذه المهمة شغله الشاغل . والموضوعات التى تثير اهتمام اللاوعى الطفلى بمقدار ما تولد القلـق أو تـزيله . والى هذا الجانب أو ذاك يرجع حصول النقلة بشكليها السلبى والإيجابي ، وتتجلى النقلة السلبية عند الطفل الصغير منذ البداية وغالبا من خلال الخوف الصريح ، لكنها عـند الطفـل الأكبر سنا لا سيما في مرحلة الكمون سوف تأخذ شكل الحذر والتحفظ والنفور فالطفل في كفاحه ضد الخوف من الموضوعات الأسرية يميل عادة إلى إزاحة هذا الخوف إلى موضـوعات أكـثر بعـدا لأن الإزاحة تشكل بالنسبة له وسيلة لإبعاد القلق من خلال تجسيد الصورة السيئة للأبوين في هذه الموضوعات .

لهـذا السبب نلاحظ أن الطفل العصابى الذي تحت وطأة التهديد الدائم بالخطر والذي يتوجس باستمرار خطر الأهل السيئين ويشعر بالقلق كلما كان في حضور أناس غرباء .
(كلاين١٨٤ ترجمة عبد الغنى الديدى ١٩٩٤ :١٩-٤٥)

فالأنـــا بـــنظر كلايـــن يشـــكل عالما داخليا مكونا من الصور المستدخلة التى تتفاعل باستمرار مع الأشخاص الواقعيين في العالم الخارجي من خلال آليات الاستدخال والإسقاط . وأن القلـــق الذي يشعر به الأنا ناجم بشكل أساسي من السادية التى يوجهها ضد موضوعاته ، وأن مهمـــة الأنا الأساسية هي في التحويل التدريجى للقلق الطبعى الذهانى إلى قلق عصابى ، وذلك عبر مراحل النمو المختلفة . وهكذا يعتبر القلق ، بنظر كلاين حافزا للنمو بشرط أن لا يكون مفرطا في شدته . فالقلق الأولي الذي ينبغي تجاوزه هو من النوع الذهانى ، وهو إذا لم يـــتعرض للــــتعديل فســـيكون الأســـاس فـــي نشـــوء الذهـــان عـــند الـــبالغ. (كلاين ترجمة وجيه أسعد ١٩٩٦ب :٢٤٢)

الحسد والشره :

تفرق كلاين بين الحسد والشره .

أولا : الحسد Envy

الحســـد هـــو إحساس بالغضب من امتلاك واستمتاع شخص آخر بشئ مرغوب فيه فتكون الدفعة الحاسدة في أخذ هذا الشئ وإفساده . وترى كلاين أن أول موضوع يوجه نحوه الحســـد هـــو الثدى . حيث ترى بالنسبة للرضيع أن الرفاهية (الراحة) داخله تأتى أساسا من خـــلال الفم والرضاعة ، حيث تكتسب عملية الأخذ والعطاء أهمية عظيمة كوسائل لدفع أذى أو طـــرد ألـــم ومخاطر المشاعر العدائية التابعة ويرتبط هذا الاندفاع نحو استغلال شئ جيد بهـــدف زيـــادة مشـــاعر الـــراحة الداخلية على العملية العقلية المعروفة الاستدماج . وإذا ما اضـــطربت علاقـــة الطفـــل – الأم تزداد مشاعر الحسد لدى الطفل . وترى كلاين أن زيادة مشـــاعر الحســـد تـــدل على قوة الخصائص البارانوية والفصامية عند الطفل فيمكن اعتباره مريضا .

ثانيا : الشره Greed

تقـــول كلاين إن هناك مقياس ما للشره بشكل لا شعورى داخل كل فرد . وإنه يمثل ســـمة للرغبة في الحياة ، سمة تمتزج وتنتشر في الحياة الخارجية مع حافز للتحول للعدائية ، والنزعة التدميرية خارج أنفسنا نحو الآخرين وبهذا فإنها تستمر وتدوم بلا وعى طوال الحياة وبطبيعـــته الخالصة فإنه يعتبر دائما ولا يشبع أبدا ولكونه شكلاً من أشكال الدافع للحياة ، فإنه يتوقف فقط بالموت !! إن الرغبة أو الطمع في الأشياء الجيدة ممكن أن يرتبط بأى ولكل نوع من أنواع الممتلكات المادية الجيدة ، الهبات النفسية أو البدنية ، الامتيازات والمميزات ، ولكن بجانب الإشباع الحقيقى الذي قد يحققوه في أعماق عقولنا فإنهم في النهاية جميعا يمثلون شيئا

واحدا فإنهم يمثلون براهينا لنا– إذا حصلنا عليهم – أننا خيرون وأننا مغمورون بالخير ولهذا فإننا جديرون بالحب أوالاحترام والشرف ، هكذا فإنهم يخدمون كبراهين وتأمين ضد مخاوفنا من الفراغ داخلنا، أو اندفاعاتنا الشريرة التى تجعلنا نشعر بالسوء تجاه أنفسنا والآخرين كذلك.
(Klein 1967 : 25 - 28)

وتـــرى كلايـــن أن هناك سببا أساسيا للشعور بالألم نتيجة لفقدان شئ ما وهو أنه بلا وعى يمثل الفكرة المضادة أننا قد تم حرماننا باعتبارنا غير مستحقين للأشياء الجميلة وبالتالى يتم إدراك مخاوفنا العميقة فإنه عندما يرى شخص – الذي يعتمد إحساسه بالأمان بدرجة كبيرة على شرهه وشعوره بأنه لديه أو يستطيع أن يحصل على ما يريد – أن شخصا ما لديه أكثر ممـــا لديه ، فإن ذلك يهز إحساس تلك الذات الدفاعية بالأمان ، ويشعر بأنه فقير كما لو كان لديه القليل من الخير بداخله . فإن دفاعه الوقائى اللاواعى لا يختفى فقط ولكنه يعيش في وهم أن الآخرين الذين لديهم الكثير لابد أنهم سرقوه وسلبوه مما يجعله يشعر بفقدان الأمان . وهذا ســبب أن الشـــعور بالحسد يتسم بالمرارة والشدة على الذين يواجهونه . فإنهم يشعرون أنهم مجـــبرون علـــى أن يخضـــعوا للسرقة والاضطهاد . فإذا اعتبرنا أن خبرات الحرمان تزيد الإحســـاس بالشره وحصر الاضطهاد وأن في عقل الطفل تخييلات عن الثدى الذى لا ينضب نجد أن الشعور بالحسد ينبع من عدم إطعام الطفل بالشكل الكافى فيشعر الطفل بأن الثدى الذي حــرمه الإشباع سيئ لأنه يحتفظ باللبن والحب والرعاية فيكرهه الطفل ويحسده ويتجه الحسد إلى إفساد الموضوع الجيد البدائى بالهجمات السادية . والثدي المهاجم بهذه الطريقة يفقد قيمته فقد أصبح سيئا مما يصعب على الطفل استعادة الموضوع الجيد المفقود .

وترى كلاين أن علاقة الحب المستقرة بين الرجل والمرأة التى قد تتواجد في الزواج الســـعيد . تنطوى على ارتباط عميق ، والقدرة على التضحية المتبادلة والمشاركة في الحزن وأيضـــا في المتعة وفى المصالح وكذلك في المتعة الجنسية . وترى أن المرأة إذا ما كان لها اتجـــاه أمومى نحو الرجل ، فإنها لا تشبع رغباته المبكرة (بقدر الإمكان) فيما كان يرغبه من أمه هو ، وفى الماضي لم يتم إشباع تلك الرغبات ولم يتخل عنها يوما ما ، والرجل الآن لديه أم خاصة به ، مع شعور بالذنب بسيط نسبيا .

وتقـــول كلايـــن " أن كراهـــية الأشخاص الذين لا تتفق معهم يعتبر أسلوباً مباحاً من أساليب التنفـــيس ، وممكـــن أن يكـــون بـــناء بالفعل بالنسبة لمشاعر الكراهية ، والعداء ، والاحتقار والازدراء ، إذا لم يبلغ حد التطرف. وإن تلك العواطف مع أنها يتم استغلالها بأساليب البالغين ، فإنهـــا فـــي قـــاع ما نمارسه في الطفولة عندما نكره الأفراد الذين نحبهم في نفس الوقت (آبائنا). حتى في تلك الأثناء فإننا كنا نحاول الإبقاء على حبنا نحو آبائنا ونحول الكراهية نحو

الآخريـــن وأشياء أخرى ، وهذه عملية تعتبر غاية في النجاح عندما ننمى العمل على استقرار قدرتـــنا علـــى الحب ونمد نطاق إهتماماتنا وعواطفنا وكراهيتنا في حياة البلوغ وكأمثلة " فإن عمل المحامين والسياسيين والنقاد يرتبط بخصوم منافسين ، ولكنه بأساليب مشروعة ومفيدة ، وأحـــد الأســـاليب العديـــدة التى يتم فيها التعبير عن العداء بشرعية هو ما يحدث في الألعاب الرياضية ، والتى فيها يهاجم الخصم بمشاعر مشتقة من مواقف وجدانية مبكرة . وهكذا فإنه توجـــد عدة أساليب مباشرة والتى فيها يجد العداء والبغض تعبيراً لدى الأفراد الذين في نفس الوقت يتميزون بالعطف والقدرة على الحب. (Klein 1967 : 29 –31)

٣-النظريات المعاصر

نظرية مـــاهلـــــر

قدمـــت ماهلر(Mahler) لنظرية التحليل النفسى إسهامات نظرية وعملية عديدة، فقد اهتمـــت بالعلاقـــات الـــباكرة بالموضوع حيث تلاقت مع ميلانى كلاين والمدرسة الإنجليزية واهتمت أيضا بسيكولوجية الأنا فتلاقت مع " هارتمان" وإتجاه سيكولوجية الأنا، كما نجدها قد اســـتخدمت منهج الملاحظة المباشرة من خلال الدراسات الطولية وهو أيضاً إسهام يحسب لها فتلاقـــت أيضاً مع " شبيتز" Spitz بإكمال المنهج الذى يؤكد على ما يذهب إليه منهج إعادة البناء في نظرية التحليل النفسى. وكان من الواضح في كتابات ماهلر أن الميلاد النفسى للفرد وتطور علاقات الموضوع متداخلان، حيث كانت تعتبر أن التطور السوى ليس تأسيس جنسية بدائية عقب حل " عقدة أوديب" وإنما هو حركة التطور من اللاتفاضل في العلاقة السمبيوزية بين الطفل – الأم إلى تحقيق الهوية الفردية الثابتة.

وقد استخدمت للتعبير عن هذه العملية مصطلح" الإنفصال – التفرد" . وتعكس عملية الإنفصال – التفرد جانبين متكاملين: الانفصال الذى يخرج فيه الطفل من حالة الإنصهار مع موضوع الحب الأول ، والتفرد الذى تتأكد فيه الصفات الفريدة الخاصة بالطفل وتتطور. وأن الشكل الذى لا مثيل له لعملية الإنفصال – التفرد الطبيعية هى الإتاحة العاطفية للأم (الراعى الأول) بينما ينفصل الطفل ويتفرد.

وبيـــنما تتفق ماهلر في الأساس مع إيريكسون على أنه في الوضع الأمثل يتعين على الـــراعى الأولى أن يستوعب حاجات الطفل فإنها تلفت الإنتباه إلى حقيقة أن قدرة الطفل على التكـــيف وحاجته إلى الإشباع تضع مسئولية التأقلم على الطفل، فالطفل عند ماهلر ليس مجرد كائـــن يتصـــارع من أجل الغريزة وإنما هو شخص عليه أن يوازى بين رغبته في الإستقلال

وبين الإستسلام للإلتحام الذى خرج منه. وتتمتع نظرية ماهلر بالبساطة فى التعبير مما جعلها من أكبر النظريات التى تلقى الضوء على الطفولة المبكرة بعد توصيف فرويد للعقدة الأوديبية. فعملية الانفصال – التفرد التى تصفها ماهلر تشكل سلسلة من المراحل المرتبة زمنياً، وكل منها يؤدى إلى إنجازات كبرى في مراحل الإنفصال – التفرد والعلاقات المدخلة بالموضوعات.(Ede .G.goldstein ١٩٨٤ : ١٠٣ – ١١٩)

وترى ماهلر... أن الشعور بالهوية قد يتم تعريفه بوصفه " الشحنة الليبيدية المتماسكة لصورتنا الذاتية المتفردة المتميزة. وأنه يمكن تتبع بدايته من أول عامين من العمر– الوقت الذى يبرز فيه الطفل – بمعنى يفقس hatches من الغشاء(السمبيوزي السوى).

وتقول ماهلر عن الإحساس النهائى بالهوية " ... فإننى أميل للتأمل في تمييز صورة الجسم عن صورة الموضوع (الأم) ، باعتبارها قلب العملية.

وتستطرد ماهلر وتقول "... لتشكيل بنية ، فإنه من الضرورى وجود تبادل إيقاعى متوقع Predictable لتجارب الإشباع والإحباط. وأن قابلية التنبؤ بهذا الإيقاع المرتبط بإتاحة الموضوع المحبوب تضع الأساس لتنمية ثبات الموضوع كما يراه هارتمان.

(١٩٥٢-١٩٥٣) ". (Mahler ١٩٧٤ : ٣٠٩)

المرحلة الذاتوية السوية (The Normal autistic phase)

أثناء الأسابيع الأولى من الحياة يبدو الوليد غير مستجيب نسبياً تجاه كل المحفزات مع فترات من النوم تزيد كثيراً على فترات اليقظة. وتميز ماهلر هذه المرحلة على أنها " ذاتوية" وتشير إلى أن الرضيع يؤدى وظيفته كنظام مغلق مع انعزال معقول عن الحقيقة الخارجية. وتذكر استخدام فرويد ١٩١١ مصطلح " بيضة الطائر" كنموذج لهذا النظام السيكولوجى المنغلق على نفسه.

إن الحماية الأكثر تبكيرا للرضيع ضد الغزو البيئى الذى لا يمكن التعامل معه من جانب الجهاز النفسى المتبقى تعطيه حقيقة أن أعضاء الحس والأطراف مصطلحات بنائية، تكون غير يقظة ولا حتى تعمل. ويكون الطفل مهتماً فقط بإرضاء احتياجاته مع تخفيض التوتر ويعمل طبقاً لمبدأ إشباع الرغبة الهلوسية أكثر من تحديد موقع المصادر الممكنة للإشباع في العالم الخارجى. ويفتقد الوليد القدرة على أن يكون واعياً بالموضوعات الخارجية مما يشير إليها وتكون خبرته مقصورة على الاحتفاظ بالاستقرار الفسيولوجى وخبرات من الإحباط والإشباع الذى يمكن بالمثل أن يكون حقيقيا أو هلوسيا.

(Greenburg & Mitchell ١٩٨٣: ٢٧٤)

ولقد أشار ريبل Ribble ١٩٤٣ أنه عن طريق الرعاية الأمومية فإن الرضيع يظهر بالتدريج ميلاً فطرياً للخروج من حالة الخمول والنكوص الحشوى الى وعى حسى متزايد بالبيئة وفيما يتعلق بالطاقة أو الشحن الليبيدى يحدث إزاحة من داخل الجسم إلى السطح الخارجى للجسم (جرينيكر ١٩٤٥، ماهلر ١٩٥٢). وفى هذا الصدد تقترح ماهلر تمييز مرحلتين داخل مرحلة النرجسية الأولية (مفهوم فرويدى) فخلال الأسابيع الأولى للحيـاة خارج الرحم، تسود مرحلـة من النرجسية البدائية المطلقـة من سماتـها افتقار الرضيـع إلى الإدراك بدور الأم وتلك المرحلة التى تسميها ماهلر "الذاتوية السوية" تعادل مرحلة اللاتفاضل بتعبير كل من "هارتمان وكريس ولوفنشتاين" وتعادل مرحلة اللاموضوع Objectless عند " شبيتز" ويتبعهما مرحلة الوعى المبهم بأن إشباع الحاجة لا يمكن توفيره عن طريق الفرد بذاته ولكنه يأتى من عنصر خارج الذات.

إن مهمة المرحلة الذاتوية هى تحقيق تعادل الإتزان النفسى للكائن الحى داخل البيئة الخارجية، عن طريق آليات فسيولوجية جسمية نفسية سائدة. فإن الوليد يجلب معه للعالم الخارجى أداة الإستغلال الذاتى الأولى (هارتمان ١٩٣٩). ففى المرحلة العادية تطيع الأجهزة الأولية للإستقلال الذاتى القواعد الخاصة بنظام الإحساس العام بالجهاز المركزى للأعصاب، فرد الفعل نحو أى مثير يتجاوز عتبة الإدراك في أسابيع الذاتوية السوية يعتبر شاملاً ومنتشراً ومتوافقاً. (Mahler et, al., ١٩٧٥,: ٤٢)

بداية المرحلة السمبيوزية:

ومن الشهر الثانى تبدأ المرحلة الثانية وهى السمبيوزية الحقة حيث ما تزال حالة النرجسية البدائية ولكنها ليست بالشكل المطلق الذى كانت عليه. فخلالها يبدأ الطفل في الوعى المعتم بأن تلبية حاجاته تأتى من موضوع جزئى ملبى للحاجة ولكنه مازال داخل حدود وحدته الثنائية السمبيوزية مع الأم ذات القدرة المطلقة والتى يبدأ في توجيه الليبدو لها.ومن الواضح أن الرضيع يعتمد بالكامل على الشريك السمبيوزى خلال مرحلة التكافل فإن التكافل له معنى مختلف تماماً للشريك البالغ في الوحدة الثنائية فحاجة الطفل تعتبر مطلقة ، أما حاجة الأم للرضيع فتعتبر نسبية.

ويعتبر مصطلح Symbiosis في هذا المحيط مجازيا فهو يعكس المفهوم البيولوجى ولا يصف ما يحدث بالفعل في علاقة نفعية مشتركة بين فردين منفصلين مختلفين. إنه يصف تلك الحالة من اللا-تفاضل والإلتحام مع الأم والذى فيه لم يتم تفاضل الأنا (I) مع اللا- أنا (not I) وفيها يسقط الرضيع أى إدراك مؤلم خارج حدود الوحدة السيمبيوزية بمفهوم فرويد "أنا اللذة الخالصة" والتى تتضمن جشطلت الأم الشريكة خلال فترة تقديم الرعاية.

ومـــن النادر جدا أن يتلقى الرضيع أية مثيرات تأتى من خارج المحيط السيمبيوزى. فالطاقــة الليبيــيدية المستثمرة في (الأنا – الهو) غير المتفاضلين بعد ، مازالت تحتـــوى على خلــيط من الليبيــدو والعــدوان غيــر المــحدد. ويشير كل من
(كــريس ١٩٥٥، خــان ١٩٦٣، ١٩٦٤) إلـــى أن الشـــحنة الليبيــيدية المستثمرة في العلاقة السـيمبيوزية تمـــنح الوليد حاجزاً من المثيرات وتحمى الأنا الأولية من الصدمات في مرحلة مبكرة. (Mahler et,al 1975 : 44)

والشـــكل الجوهرى " للتكافل " هو ذلك الإلتحام الهلوسى أو الهذائى ذو القدرة المطلقة (النفسجســمية) مع تمثلات الأم وبشكل خاص بهذاء الوحدة الثنائية بين فردين هما في الأصل منفصلان بدنياً وتلك هى الآلية التى ترتد الأنا اليها في حالات الإضطراب الذاتوى والإختلال الذهانى والتى وصفتها ماهلر وجوز لنر ١٩٥٥ باسم ذهان الطفولة السيمبيوزى.

وحيـــث يولد الكائن الإنسانى وليس لديه الإمكانيات اللازمة لحماية حياته، فإن العلاقة الوجدانـــية بين الأم وطفلها حتى التى تكمل دور الأنا الأولية وداخل هذا الإطار من الاعتماد الفسيولوجى والسيكوبيولوجى على الأم يحدث التفاضل البنائى الذى يؤدى إلى التنظيم الفردى التكـــيفى (أى الأنـــا ووظيفة الموائمة) وتقول ماهلر نحن ندين لعبقرية شبيتز(spitz) بمعرفة الكثـــير مـــن خلال الشهرين أو الشهور الثلاثة من الحياة كيف ييسر الإدراك الحسى لطبيعة متصلة إدراكية دخول الطفل مرحلة سمبيوزية ملائمة.

ومع تتابع الألم – اللذة تحدث فواصل لتمثلات الأنا البدنية Body Ego داخل الإطار السـيمبيوزى ، وهذه التمثلات هى صورة الجسم (شيلدر ١٩٢٣ وماهلر ١٩٦١) عندئذ فإن تمـــثلات الجسد المتضمنة في الأنا الأولية تتوسط ما بين الإدراك الحسى الداخلى والخارجى. ويتشكل الأنا تحت تأثير الواقع من ناحية، والدفعات الغريزية من ناحية أخرى. ويحتوى الأنا الجسمى على نوعين من تمثلات الذات:

أولا:الجوهر الداخلى بصورة الجسم مع حدودها والتى تستدخل لتفصل الجسم عن الأنا.

ثانـــيا: القشــــرة الخارجية المحتوية علي آثار الخبرات الحسية والتى تساهم في تكوين حدود الذات الجسمية body self (بيرجمان ١٩٦٣).

وهناك خطوة هامة في التطور فيما يخص " صورة الجسم" وهى انتقال الشحن الليبدى بيـــن الإدراك الحســـى الخــــارجى، وتشـــير ماهلر إلي أنها لم تدرك أهمية هذا التحول قبل الدراســـات النفســـية التحليلية عن (ذهان الطفولة المبكرة) حيث تدرك الآن أن التحول الكبير للشـــحنة شــــرط جوهـــرى لتشكيل الأنا – جسم، والخطوة الموازية للسابقة هى إسقاط الطاقة العدوانـــية غير المحايدة الهدامة خارج حدود الذات – الجسم فالمشاعر الداخلية للرضيع هى

التى تشكل جوهر ذاته، ويبدو أنها تبقى النقطة المركزية للإحساس بالذات والتى يبلور حولها الإحساس بالهوية. (جرينيكر ١٩٥٨ ، ماهلر ١٩٥٧، روز ١٩٦٤-١٩٦٦) ورد فى ماهلر (Mahler et., al , ١٩٧٥:٤٥)

ويساهـم العنصر الإدراكى الحسى – اللحـاء الطرفي أو القشرة الخارجية للأنا كما أسماها فرويد – بشكل أساسى فى تمييز الذات عن العـالم الموضوعى ، ويكـون هذان النوعان من البنيان النفسى الداخلى الهيكل العام للذات . (شبيجل ١٩٥٩)

وتتكون عمليات التنظيم والتكوين عن طريق تعاملات الشريكين أو الطرفين في العلاقة الديادية السمبيوزية. تلك التكوينات التى تبلورت عن الإطار الثنائى للوحدة السمبيوزية تعد بمثابة الهيكل الذى ترتبط به كل التجارب قبل وجود تمثلات كلية وواضحة لدى الأنا الخاصة بالذات المساعدة للطفل، وترى ماهلر أن السلوك الحاضن للأم واهتمامها الأمومى الأولى بمفهوم وينيكوت (١٩٥٨) هو المنظم السمبيوزى. (Mahler et al : ١٩٧٥ ٩٥)

المرحلة السمبيوزية: The Normal Symbiotic Phase

تتميز المرحلة السمبيوزية بتركيز الطاقة النفسية الوجدانية الإدراكية المتزايدة على مثير والذى نحن (الملاحظين البالغين نتعرف عليه بوصفه قادم من أصول خارجية، فالطفل يبدأ إقامة مجرد خلايا معزولة للذاكرة ولكنها ليست متميزة بعد عن الداخل والخارج خاصة لدى شخصية الأم، ولكنها كجزء من وحدة ثنائية مزدوجة مع من لم يتم تفرده بعد. (Mahler et al ١٩٧٥ : ٤٨)

فأثناء المرحلة السمبيوزية السوية يبدأ الطفل في ترتيب الخبرة ويساعد هذا بشكل خاص فى نضج الوظائف المستقلة للأنا وخاصة الذاكرة ، والخبرة تقسم في البداية إلى جيدة أى لذة وسيئة أى ألم وهذان لهما علاقة كما في المرحلة الذاتوية بالإبقاء على التوازن . وتتشكل الذاكرة للجيد وللسيء داخل النسيج الغير متميز للأنا والهو، ومن منظور العلاقات بالموضوع فإن المرحلة الذاتوية بلا موضوع والمرحلة السمبيوزية ما قبل الموضوع .

وفيما يتعلق بتوزيع طاقة الدافع فإن كلتاهما تقعان في إطار حقبة فرويد من النرجسية الابتدائية ، والمرحلة السمبيوزية حرجة بالنسبة لتطور إحساس الفرد بالنفس والآخرين، لأنها الفترة التى توضع فيها الأصول الخبروية للذات والموضوع. وهذه هى المرحلة الأولى التى فيها بالنسبة لماهلر يبدأ الحديث عن الطفل بمصطلحات نفسية. (Greenberg & Mitchell ١٩٨٣ : ٢٧٤)

وتقول نيفين زيور ملخصة المرحلة ....:

وتعد المرحلة الذاتوية السوية ومرحلة السمبيوز السوى المرحلتين الأوليتين في النمو وتتميزان بغـياب التفاضل بين الطفل والعالم الخارجي.إلا أن هناك فرقاً بين المرحلة الذاتوية والمرحلة السمبيوزية من حيث الوعى بالموضوع الجزئى، حيث يغيب تماماً في المرحلة الأولى، بينما يمكـن اعتبار مرحلة السمبيوزى ما قبل الموضوع (شبيتز١٩٦٥) وهاتان المرحلتان تنتميان إلى المرحلة النرجسية الأولية وعلي ذلك فلا نتوقع رؤية عمليات التفاضل أثناءها وإنما نتوقع التفاضـل ابـتداء من المراحل التى تليها حيث تبدأ عمليات التفاضل بين تفاضل الأنا والأبنية (التركيـبات النفسية الأخرى) وبالمثل تفاضل بين تمثلات الذات وتمثلات الموضوع. (نيفين زيور ١٩٨٨: ١١٣ ، ١١٤)

فالمـرحلة السـمبيوزية " للوحدة الثنائية" " الأم – الطفل" لها أهمية قصوى في بناء الإحساس بالهوية ففى الحالة السمبيوزية تعمل أنا الأم من أجل الطفل وتقوم الأم بالوساطة بين الطفـل وبيـن العالم الخارجي. والمشاعر التى يمر بها الطفل مع الأم تشكل محور إحساسه بـالذات. ويطلـق على هذه الفترة بداية القدرة على الاستثمار في شخص آخر ويدرك الطفل المـزيد عن العالم عما قبل رغم أنه لا يتحقق من أن المحفزات تنشأ بشكل واضح من خارج ذاته والإطار السمبيوزى.

وتشـير ماهلـر إلـى أن الإنفصال عن الموضوع يحدث من خلال الشحن الليبيدى والتوحد الجزئى والشحنات الليبيدية للجسم ولموضوع الحب الإنسانى الذى يمهد الطريق لنمط من العلاقة بالموضوع مكتملة النمو والتى تقوم على نضج الأنا التى تتحرك على نحو متواز لـبلوغ التناسلية الأولية . كما تشير إلى أن تطور العلاقة بالموضوع الذى يقوم على تفاضل الوحـدة الثنائـية السوية الأم – الطفل يطابق تطور العلاقة بالموضوع لتفاضل كل من الذات والموضوع.وتستطرد ماهلر مشيرة إلى أن مبدأ الإنجازات السيكولوجية يمتد من الشهر الرابع إلى الشهر السادس والثلاثين من خلال عملية الإنفصال – التفرد والتى تتضمن أربعة مراحل فرعية : هى التفاضل – المران – التقارب – دوام الموضوع. (Mahler 1960 : 548)

الانفصال – التفرد

مرحلة التفاضل

مـن أربعـة وخمسـة أشهر إلى عشرة أشهر تبدأ أولى مراحل الإنفصال ، والتفرد بالعملية التى تسميها "ماهلر" الفقس Hatching وأثناء هذه المرحلة يبدو أن ميل الرضيع إلى صهر نفسه مع جسد أمه قد إنهار أمام تفضيله لمواقف أكثر نشاطاً ومحددة بذاتها. ويبدأ الطفل في استشكاف الأم أثناء هذه الفترة (فيجذب شعرها وملابسها)، وبعد فترة وأثناء عملية التمييز

يبدأ الطفل في البحث عن ما وراء مجال الأم/ الطفل باحثاً ورادا على محفزات تأتى من بعد. ويبدأ لديه نمط مسح العالم الخارجي والعودة إلى الأم. وهكذا يوضح الفارق بين الأم وغيرها وفــي الــنهاية أثناء المرحلة الجزئية للتفاضل يبدأ الرضيع أول أجازة من طفولة (الحجْر)، الســلبية فيــنزلق مــن حجر أمه إلى الأرض ولكن يبقى قريباً من قدميها وبينما تجرى هذه الــتطورات السلوكية تحدث تغيرات ذات مدلول مع القدرات الناشئة للأنا ، تغيرات في علاقة الطفل بالعالم الموضوعى. ويحقق الطفل القدرة على التفرقة بين المشاعر الخارجية المحسوسة والمشاعر الداخلية وهذا يسمى للمرة الأولى بتفرقة حسية واضحة بين الذات وبين الموضوع والدليل الرئيسى لهذه القدرة الجديدة هى ظهور القلق تجاه الأغراب عند سن ستة شهور.
(Greenberg et al 1983 : 274 – 276)

ويبدأ الطفل الرضيع في الفصل لتمثل الذات عن تمثله لأمه (الموضوع) رغم أن هذه الــتفرقة المبدئــية تحــدث أولاً فــيما يتعلق بصورة الجسم عند الطفل وفى فترة تصبح فيها الموضوعات المعبرية هامة. أى موضوعات بديلة للأم من خلال تداعيها الواقعى معها (مثلا بالشــم واللمس) تحدث في حوالى ذلك الوقت. وغالباً ما يبدأ الطفل في تقمص السلوك المميز لــلأم نحوه " فمثلاً يطبطب على نفسه وفى حوالى سبعة أو ثمانية أشهر يبدو أن الطفل يقارن الأم بصرياً مع موضوعات غير مألوفة فيما يسمى بنمط "التأكد الرجعى" Checking back أو الصــورة المســتدخلة لــلأم (وهــذا مــا يســمى بتعبــير بــوردى الفحــص المعتاد). Customsinspection كمحــك مقــارن ويفاضــل بينها وبين صفات الأشخاص الأخرى. ويصــاحب هــذه الأفعال ما يطلق عليه فيورر مصطلح إعادة الشحن الوجدانى emotional refueling وحسب ملاحظات ماهلر، فإن ظاهرة القلق الخارجى التى تم ربطها بهذه الفترة، هى مسألة فردية جداً وتحدث أحياناً قليلة.

وبيــنما توجــد فــروق فردية تؤثر على توقيت وطبيعة خبرة التمييز عند الطفل فإن شروط البنية الأمومية المحتوية في هذه المرحلة وجميع المراحل الأخرى يعتقد أنها عامل هام في تشكيل ناتج عملية الإنفصال – التفرد، وإذا أرغم الطفل على الخروج من السمبيوز مبكراً أو أبقى فيه لفترة طويلة ، فإن عواقب الإنفصال – التفرد سوف تكون سلبية. والأطفال الذين يفشــلون في تحقيق هذا التمييز الأولى للذات عن الموضوع أو الذين يتمسكون بتشدد سيكون علــيهم أن يــبقوا مثبتيــن فــي تمثلاتهم المدمجة للذات والموضوع وهى حالة تميز الإفراد الفصــاميين المزمنين وبالتبادل فإنهم يمكن أن يكونوا عرضة للإنتكاس إلى مثل هذه الحالات من الإندماج تحت تأثير الضغط ويمكن أن تتأثر كذلك الوظائف الهامة للأنا بشكل سلبى. فمثلاً

اختبار الواقع الذى يتطلب القدرة على تمييز الذات عن اللاذات والداخل عن الخارج والخيال عن الواقع سيكون معيباً. (Eda G. goldstein 1989 : 109-110)

وتقــول نيفيــن زيور : " وهكذا يمكننا أن نصف النمو السوى من هذا الوجه الفرعى الأول على أنه يتم خلال مسارين متداخلين رغم أنهما لا يسيران دائماً بنفس السرعة ولاعلي نفــس الــدرب، أحدهما هو التفرد الذى يعنى به نمو الاستقلال بين –نفسى .intrapsychic ونمــو الإدراك والذاكــرة والمعرفة ، وبالمثل اختبار الواقع اما المسار الثانى فهو الإنفصال ونعنى به الإبتعاد والتفاضل وتشييد الحدود الفاصلة ففى التلاحم بين الطفل وأمه وكل العمليات المسيدة سابقة الذكر تصل إلى ذروتها في تمثل الذات المستدخلة Self-represintation في مقــابل تمثلات الموضوع المستدخل وتنعكس مظاهر هذه العمليات الداخلية في سلوك الطفل الظاهر من خلال وعيه بالحدود الفاصلة بين جسمه وجسم الأم الذى يتوازى مع تطور وظائفه الإستقلالية (المعرفة – الإدراك– الذاكرة – اختبار الواقع) أى إدراك الوظائف التى يستخدمها الأنا كى تخدم تفرده. (نفين زيور ١٩٨٥ :١٢٥)

الإنفصال – التفرد

- **مرحلة المران**

تلــى مــرحلة التفاضل ما تطلق عليه ماهلر مرحلة المران وتستمر من الشهر السابع أو العاشــر إلــى الشهر الخامس عشر أو السادس عشر من حياة الطفل وتقسم ماهلر مرحلة المــران الــى جزئيــن (أ) مرحلة المران المبكرة وهى مرحلة متداخلة مع مرحلة التفاضل، وتتمــيز بالقدرة المبكرة للطفل على الحبو والتبديل والتسلق ويكون الطفل قادراً على الحركة بعيداً بمسافة عن أمه (ب) مرحلة المران الحقة وتتميز بالأداء الحركى القائم الطليق.

وفــى مرحلة المران المبكرة يكون الطفل قادراً على الحركة بعيداً بمسافة ما عن أمه رغم أن الأم مازالت تعامل على أنها نوع من أنواع " النقطة الثابتة التى يعود اليها لما تسميه ماهلــر إعادة الشحن الوجدانى ويسقط الطفل اهتماماته من الأم على الموضوعات غير الحية (الدمــى، زجاجة الرضاعة) في العالم، التى يمكن لأحدها أن يكون موضوعاً مرحلياً بمفهوم وينيكوت ١٩٦٥.

ومــرحلة المــران المــبكرة هى الإستعداد لثلاث تطورات هامة في وضع الإنفصال والــتفرد وهى: التفاضل الجسدى عن الأم ، إقامة نوع من الرباط مع الأم على أساس قدرتها علــى توفــير المشاعر وفى النهاية نمو وفعالية الوظائف المستقلة للأنا وهو نمو يحدث على أفضل وجه في اقتراب جسدى حميم مع الأم. (Greenberg et al 1983 : 276)

وفــي أثناء مرحلة المران المبكرة يشعر الطفل بالشد في نفس الوقت للعالم الخارجى ولــلأم ويمر الكثير من الأطفال بفترات وجيزة من حصر الإنفصال – فعلى الرغم من ابتعاد الطفل عن الأم إلا أنه يحتفظ بمسافة ما تمكنه من رؤيتها وسماعها. وبقدر ما تمنحه الأم من ثقة لطفلها بأنه أصبح قادراً على الإبتعاد عنها لفترات ينعكس على الطفل في إحساسه بالأمان كمـا يغـير ذلـك بعـض قدراتـه المطلقـة السحرية من أجل استقلال ونمو تقدير الذات. (Edag. Goldstein 1984: 112)

أما مرحلة المران الحقة فهى الفترة التى تحدد فيها ماهلر بشكل واضح حدوث "الميلاد النفسـى" حيـث تبدأ مع تحقيق الحركة القائمة. ويصبح حب الطفل للعالم المحيط في ذروته أو بعبارة جريينكر ١٩٥٧ " ارتفاع علاقة حبه مع العالم".

والخاصـية الأساسية لهذه المرحلة الفرعية هى الشحن النرجسى لأنا الطفل ووظائفه وبالمـثل للموضـوعات مـن حوله وإتساع اكتشافه للعالم الواقعى ولا يلقى بالاً للصدمات والسقطات وخبرات الإحباط. وتتوقع ماهلر أن الإنبهار في هذا الوقت ربما يكون نتيجة ليست فقـط للقـدرات المـتزايدة بسرعة بل أيضاً لهروبه من الإنغماس السمبيوزى مع أمه . وهى تفـترض أن الحقيقة التى تلاحظ غالباً بأن خطوات الطفل الأولى بالحتم تتخذ في إتجاه بعيدا عـن أمه مما يشير إلى الميل الكامن نحو الإنفصال الذى يحدث في هذه المرحلة من التطور المستقل. (Mahler, M 1974 : 95-97)

ورغم الانطلاق السريع للوظائف المنفصلة أثناء المرحلة الفرعية للمران الحقة إلا أن ردود أفعال الرضيع الجديدة تجاه أمه لا تبين أنه يتقبلها على أنها شخص منفصل وهو مازال يعاملها على أنها " القاعدة " ولذلك يعود إليها على فترات لإحتياجه إلى التزود العاطفى.والتقدم لهذه المرحلة الفرعية يحتاج إلى ردود نوعية محددة من جانب الأم. حيث يجب أن تكون الأم راغبة في التنازل عن امتلاكها لجسم الطفل إذا كان للتطور أن يستمر بشكل مرضى. أى أن الطفل محتاج إلى مؤزارة أمه الوجدانية كى يحقق تلك الخطوات النمائية التى ينفصل فيها عن أمه ويؤكد ذاته وتفرده. (Grenberg & Mitchell 984 : 277)

وترجع أهمية هذه المرحلة إلى أن الطفل يؤكد إنفصاله أثناء هذه الفترة ويحصل على تمـثل داخلـى Internal Self-representation اكثر استقرارا. وفى نفس الوقت يقال أن تمـثلات الطفـل للـذات وللموضـوع "split" ، أى أن جمـيع الخبرات الجيدة عن الذات والموضوع تنفصل عن جميع الخبرات " السيئة" وهكذا فعندما تكون الأم محبطة تعطى خبرة كلها سيئة ، وعندما تعطى خبرة أنها محبة تكون كلها جيدة. وبالمثل فعندما يعاقب الطفل ربما يـرى نفسه سيئا رغم أنه يحاول مرة أخرى أن يخلص نفسه من هذا الشعور. وعندما يحب

ويكافأ من الممكن أن يرى نفسه جيداً. وهذه المرحلة الطبيعية Spilitting.(*)يتم التغلب عليها في المرحلة المتأخرة للاقتراب عندما تبدأ الذات الجيدة والسيئة والموضوع الجيد والسيء في الـتكامل Integration . وقبل هذا التكامل وحتى تطور ثبات الموضوع يتم اكتساب خبرة الذات والعالم بأشكال قطبية ومتراوحة .

وفـيما يتعلق بتطور وظائف الأنا فإن عملية التميز تؤكد القدرة الهامة لإختبار الواقع وتتطور الوظائف الذاتية عند الطفل بشكل واسع وكذلك إحساسه البادئ بالسيطرة ومفاوضاته مع دعم البيئة وتطور الوظائف الأخرى الأكثر تعقيداً للأنا.

(Eda G. goldstein 1984 :113)

الانفصال – التفرد

- **مرحلة التقارب**

إن اتسـاع عالم الطفل أثناء المرحلة الفرعية للمران وزيادة شعوره بالانفصال لا يتم بدون ثمن. فعند نقطة معينة في وسط السنة الثانية عادة بين خمسة عشر وثمانية عشر شهراً فـإن الطفـل الذى كان قادراً بشكل متزايد على العمل على مسافة من أمه يأتى ليتأكد من أنه على خلاف إحساسه المبكر النرجسى بالقدرة على كل شيء. إلا أنه في الحقيقة شخص صغير جـداً في عالم كبير جداً.وتبدأ المرحلة الفرعية للتقارب بتحقق الرضيع الجديد من أن الأم في الواقـع هى شخص منفصل وهى شخص لن يكون متاحا دائما ليساعده في التعامل مع عالمه الذى تضخم حديثا . (Greenberg & Mitchell 1983 : 278)

وبيـنما يستمر التفرد بسرعة كبيرة ويمارسه الطفل الى أبعد مدى، فإنه يصبح أكثر وعياً بإنفصاله ويستخدم كل أنواع الآليات لكى يقاوم انفصاله الحقيقى عن الأم. والحقيقة على أية حال أنه مهما كان الإصرار فى محاولة الرضيع لإرضاء الأم إلا أنهما لا يستطيعان العمل بكفـاءة كوحدة ثنائية أى أن الطفل لا يستطيع بعد الاحتفاظ بضلالاته عن القدرة الوالدية على كـل شـيء والـتى فـي أحـيان مـازال يـتوقع أنهـا ستسـتعيد حالـتها.

(Goldstein.G. Eda - 1984 : 114)

فبعد سيادة الحركة الطليقة، وبداية الإستدخال يجتاز الطفل الآن كل العوائق التى تقف في طريقه والتى لا يعيرها إهتماماً في مرحلة المران. فبجانب تطور مهاراته الأولية وقدرته المعرفية الإدراكية يحدث تفاضل واضح بين التمثلات النفسية للموضوع وتمثلات الذات وفى ذروة هذه الفترة قرب نهاية مرحلة المران، يبدأ الطفل في ملاحظة أن العالم ليس في حوزته

(*) splitting مـيكانزم الإنشـطار تلك الظاهرة الإكلينيكية الملحوظة لحدوث الشغف longing والغضب في نفس الوقت (تعريف ماهلر للثنائية الوجدانية).

وعليه أن يتواءم معه لأنه ضعيف وصغير وبحاجة إلى المساعدة. وفقدان الحس المثالى للذات والـتحقق من أن العالم ليس في حوزته يؤدى بالرضيع إلى ما تسميه ماهلر " بأزمة التقارب" التى تستمر من حوالى ١٨ إلى ٢٠ أو ٢٤ شهراً وهو وقت عصيب جدا ومؤلم والطريقة التى يحل بها الطفل صراعاته الشديدة اثناء أزمة التقارب تحدد كثيرا من ملامح التطور الشخصى اللاحق.

وأثناء أزمة التقارب يمر الطفل بخبرة الحاجة إلى المساعدة من الخارج ولكن في نفس الوقـت فـي خدمـة انفصاله وتفرده المكون ، فإنه يحتاج إلى إنكار أنها في الواقع تأتى من شخص آخر. وهذا يؤدى إلى صورة سلوكية يكون فيها الإحتياج الشديد والتعلق بالأم بالتبادل مـع سلبية شديدة بنفس القدر وصراع معها. وتتبادل المتطلبات والصراع الدراماتيكى وغالباً بتلاحق سريع.

وتصـف ماهلر الاتجاه السائد للطفل أثناء هذه الفترة على أنه " ثنائى التوجه" بسبب تفاعلاتـه الوجدانية المتصارعة ظاهرياً نحو أمه والتى تتبادل بين فترات الاحتياج الشديد و الرغـبات القويـة في الإنفصال . ويخاف الطفل من فقدان حب الأم تبعاً لإنفصاله عنها من ناحية والعودة إلى الإنجراف في المجال السمبيوزى الناشئ عن إحتياجه لها من ناحية أخرى.

"والمـرحلة الفرعية للتقارب وخاصة أزمة التقارب هى الوقت الذى يمر أثناءه الطفل بتغـيرات تطوريـة ونضوجية بالإضافة إلى تلك التى تشمل علاقاته بالأشياء وهى فترة من وظائف الذات المستقلة ، المتغيرة بسرعة والتى تؤكدها بشكل ملحوظ أكثر المكاسب السريعة في القدرة اللغوية وبظهور اختبار الواقع ، والطفل يصبح أيضا واعيا بالإختلافات التشريحية بيـن الجنسين وملاحظة هويته الجنسية، كذلك الوعى بالأب وهو عضو في الأسرة ليس هو الأم ولكنه يقف في علاقة خاصة متزايدة نحو الطفل. (Greenberg et al 1984 : 278)

إن الحل الإيجابي لأزمة التقارب يبدأ في تمكين الطفل من التغلب على انقسام عالم الـذات والموضوع وتنمى التمثل المتكامل للذات والموضوع. وهذه العملية ضرورية لإنجاز وتوكـيد ثـبات الموضـوع وتطويـر القـدرات التعاطفية وكلاهما ضرورى للحب الناضج للموضوع. وهذه العملية تستمر عبر المرحلة الفرعية التالية التى فيها توكيد أكبر للهوية ولوظائف الأنا. **(Eda .G.goldstein 1984 : 115)**

" وفـى النهاية ومن وجهة نظر نظرية التطور الليبيدى فإن الطفل يقوم بالتحول من المـرحلة الفمـيه إلى الشرجية.وتقدم التقارب يضع مجموعة جديدة للمتطلبات على عاتق أم الرضـيع . ومـن وجهة نظر ماهلر فإن بداية هذه المرحلة يمكن أن يكون تطوراً نكوصياً.

فالطفل الذى من شهور قليلة مضت ظهر عليه الإستقلال أصبح أكثر احتياجاً وقلقاً وطلباً.وهو محتاج لمساعدتها ولكنه يرفضها بطريقة معذبة بشكل ما.

إن مـــا تفعلـــه الأم ســـوف يعتمد على إتجاهاتها الواعية والغير واعية نحو كل من السـمبيوز والانفصـــال. وهناك أمهات ترحب بفرصة إعادة غمر الطفل في رعايتها وهكذا تعطل الدافع نحو الانفصال والأخريات يرفض الاعتماد الجديد للطفل على اعتقاد أنه "ولد كبر الآن" ولا ينظر إلى الإحتياجات الشرعية للمرحلة الجزئية.

وتؤكـــد ماهلر بشكل متكرر على أن رد فعل الأم في جميع المراحل الجزئية وخاصة اثناء التقارب يؤثر بشكل قاطع على النتيجة النهائية.
(Greenberg &Mitchell 1983 : 279)

وهكـــذا فـــإن من الأهمية القصوى أن تتواجد الأم بجانب طفلها في هذه المرحلة وليس تواجداً فيزيقياً فحسب وإنما وجودها العاطفى وتقبلها لثنائية طفلها الوجدانية بحيث تسمح له أن يحيد دفعاته الغريزية وخاصة نحو الأم بحيث تفقد تدريجياً السمة الوجدانية وتتحول إلى دفعات انجازية .

وتقول (ماهلر) أن استمرار الأم في تحييد الدفعات هو أمر بالغ الضرورة حتى يتسنى للأنـــا أن يصـــل إلى قدراته الوظيفية المثلى وبناء على مساعدة الأم واستعدادها يكون نجاح الطفل في محاولاته للتقليد والمحاكاة والإستدماج والإسقاط . وآنذاك يمكن للعلاقات بين الطفل والأم أن تخطـــو نحـــو التواصـــل اللفظـــى رغـــم ســـيادة السلوك الإيمائى في هذه الفترة.
(Mahler , M 1975: 35)

وتشـــير ماهلـــر بقولها: " أما عدم العطاء العاطفى المستمر للأم في مرحلة التقارب فـــيؤثر فـــي الطفـــل ويجعله أكثر إلحاحاً في محاولة التودد لها وفى بعض الحالات نجد هذه العملية تستغرق كثيراً من طاقة الطفل المتاحة من أ جل نموه ومن ثم تصبح غير كافية لتطور الكثير من الوظائف النامية للأنا". (Mahler , M 1972: 496)

الإنفصال – التفرد على الطريق نحو ثبات الموضوع

- **ثبات الموضوع الليبيدى**

إن مفهـــوم دوام الموضوع يشير ضمناً إلى أكثر من مجرد الإبقاء على تمثل الموضوع المحـــبوب الغائب، ولكنه يشير أيضا إلى اتحاد الموضوع الجيد والموضوع السيء في تمثل واحـــد وهـــو مـــا يتضمن أيضاً التحام بين الدوافع الليبيدية والعدوانية وتخفيف حدة الكراهية المتجهة بالموضوع كلما كانت العدوانية المندلعة شديدة" . (نيفين زيور ١٩٨٥ :١٥٦)

إن المهمة الأساسية لتلك المرحلة:

١- تحقيق الفردية في فترة حياتية معينة محددة.

٢- الحصول على درجة معينة من ثبات الموضوع وبقدر ما يتعلق الأمر بـالذات فإنـه يوجـد تشكيل هيكلى بعيد المدى للأنا، وتوجد علاقات محددة لإستدماج المطالب الوالدية التى تشير إلى تشكيل بشائر الأنا الأعلى.

فإن إقامة ثبات وجدانى للموضوع (هارتمان ١٩٥٢) يعتمد على الإستدماج التدريجي للصورة الداخلية الثابتة المشحونة إنفعالياً بشكل إيجابى للأم.

وهـذا – كـبداية– يسمح للطفل أن يتفاعل بشكل منفصل في بيئات مألوفة(مثلا في الغرفة التى يتعلم فيها السير) ، وبرغم الدرجات المتوسطة من التوتر وعدم الراحة فإن الثبات الوجدانى للموضوع سوف يتم بناؤه في المقام الأول على التحصيل المعرفى للموضوع الدائم، ولكـن كـل السـمات الأخـرى الخاصة بنمو شخصية الطفل تشارك في هذا التطور أيضاً (ماكديفيـت ١٩٧٢) أما المرحلة الفرعية الأخيرة (السنة الثالثة من العمر تقريباً) تعتبر فترة نمائية نفسية داخلية غاية في الأهمية وهى فترة الحصول على إحساس بالذاتية (حدود الذات) ويبدو أن تعزيزا بدائيا للهوية الجنسية يحتل مكاناً في تلك المرحلة أيضاً، ولكن ينطوى ثبات الموضـوع على أكثر من مجرد الحفاظ على التمثل الخاص بغياب الموضوع المحبب (انظر ماهلر ١٩٦٥ وماهلر وفيرر ١٩٦٦). ورد فى (Mahler , et. al. 1975)

كذلـك فإنه ينطوى على توحيد الموضوع " الجيد" والسيء" داخل صورة واحدة كاملة وهـذا يعزز إندماج الدوافع الليبيدية والعدوانية ويعالج الكراهية نحو الموضوع عندما يكون العداء شديداً.

وتعتـبر رؤيتها لثبات الموضوع الليبيدى ، مشابهة لحد كبير بل يعتقد أنها متطابقة، مـع وجهة نظر هرمز حتى مع اختلاف الصياغة. فقد أكد أن ثبات الموضوع لابد أنه يعتبر مـرحلة أخيرة في نمو علاقات الموضوع الناجحة . وأنه له تأثير خاص على مصير الدوافع العدوانية والعدائية . ففى حالة ثبات الموضوع، فإن حب الموضوع لن يرفض أو يتبدل لآخر إذا لم يستطع توفير الإشباع. وفى تلك الحالة، فإن الموضوع لا يزال يعتبر متطلعاً ولا يرفض ببساطة لغيابه. إن التأسيس البطئ للثبات الوجدانى للموضوع يعتبر عملية مركبة تتضمن كل سمات النمو النفسى.

وهكذا فإن التحديدات السابقة الجوهرية هى: essential perior determinations

١- الثقة والإيمان من خلال الإسترخاء الذى يحدث بإنتظام من توتر الحاجة والذى

يحـدث أيضا بسبب علاقة الحاجة – الإشباع المبكرة كما في المرحلة السمبيوزية ففى الدورة الخاصة بالمراحل الفرعية لعملية التفرد – الإنفصال ، فإن هذا التحرر من توتر الحاجة ينسب بالتدريج إلى إجمالى موضوع الحاجة – الإشباع (الأم) ومن ثم فإنه يتم التحول بواسطة وسائل الإستدماج إلى الصورة النفسية الداخلية للأم.

٢- الإكتساب المعرفى للصورة الداخلية الرمزية للموضوع الدائم (في إحساس بياجـيه) فـي مرحلتنا نحو الموضوع المحبب الفريد (الأم) وتوجد عدة مراحل أخرى مرتـبطة بالموضــوع مثل النضوج الدافعى الفطرى، طبيعة الطاقة الدافعة، الخضوع لإختـبار الواقــع، التســامح مع الإحباط والقلق وغيرهم، وأنه فقط بعد أن يشق ثبات الموضــوع طــريقه السليم، والذى طبقاً لتصور ماهلر العقلى لا يحدث قبل سن الثالثة (رأى ماهلر ١٩٦٥).

ويمكن استبدال الأم خلال غيابها البدنى على الأقل جزئياً بحضور صورة داخلية ثابتة تظــل مســتقرة نســبياً بصــرف النظر عن حالة الحاجة الغرائزية أو عدم الشعور الداخلى بالــراحة. وعلـــي أســـاس هذا الإنجاز، فإنه يمكن للإنفصال المؤقت أن يطول ويعتبر تحمله أفضل. فإن تأسيس دوام الموضوع والصورة العقلية للموضوع في رأى بياجية يعتبر ضرورياً ، ولكــن لــيس كافــياً، كشــرط أساســى لتأســيس الشــبات الليبــيدي للموضـــوع . (Mahler , et al 1975 : 110)

ويمكــن أن تستمر العمليتان بنفس السرعة وكل منهما تسهل إنجاز الأخرى أو ربما تكــون هناك تأخيرات نسبية كما يحدث عندما تكشف القدرة على الإبتعاد عن الأم عن القدرة علــى أداء الوظــائف بشــكل مســتقل (مثلا التحكم بشكل ملائم في التوتر في غياب الأم). (Mahler et al 1975: 110 , 4 , 112)

- **تحقيق التفرد** The achievement of individuality

إن كــل طفل له معنى خاص بالنسبة للأم، طبقاً لوهم عام أو محدد متصل بكل طفل بواسطة تلك الأم "وتقول ماهلر....لقد ثبت بالدليل أن الصغير يمثل بشكل عام جزء من جسم الأم وأحيــناً تــرى من أسلوب كلام الأم عن جسم طفلها وكيفية حمله معنى القضيب الوهمى بالنســبة إلــى الأم (ماهلر وفيورر١٩٦٣)وإذا ما كانت الأم موجودة مع إمداد جاهز لليبيدية الموضــوع ، وإذا ما كانت تشارك الطفل في مغامراته ، ومبادلته اللعب ، فإن هذا يساعد في نجــاح محاولاته في التقليد والدمج ، وتتقدم العلاقة بين الأم والصغير إلي حد نجاح التواصل اللفظى ، حتى ولو أن السلوك الإيمائى(بالإشارة) الناشط لايزال مسيطراً ويبدو أن المشاركة الوجدانية المتوقعة للأم تيسر الانتشار الوفير لعمليات تفكير الصغير ، ويبدأ في إدراك الواقع

ومحاكاتـــه في نهاية العام الثانى أو بداية الثالث ويبدو أن ظلية الطفل shadowing في سن ١٥-٢٠ شهر تعتبر ملزمة إلى حد ما ، فيما عدا في الحالات الخاصة بتلك الأمهات اللاتى ، تصـــبحن أنفســـهم ظلالا للطفل. وفى الحالات العادية فإن تظليل طفيف من قبل الصغير بعد عملية "الفقس" يشق طريقاً لتماسك الموضوع في نهاية العام التالى تقريباً على كل حال ، فكلما كانت الأم أقل عاطفية من فتره إقامة العلاقات الودية كلما زاد قيام الصغير بمحاولات للتودد إلـــيها. وفى بعض الحالات تستنزف تلك العملية الكثير من الطاقة المتوفرة للنمو بحيث قد لا تتبقى أى طاقة محايدة لارتقاء العديد من الوظائف الصاعدة للأنا.
(Mahler 1974: 315 – 317)

إن الطفـــل يـــتعلم التعبـــير عن نفسه لفظياً خلال تلك الفترة، لذا نستطيع تتبع بعض تغـــيرات عملـــية الإنفصال النفسية الداخلية عن الأم والصراعات التى تدور حولها من خلال المادة اللفظية التى نحصل عليها منه، بالتوافق مع مظاهر سلوكه. أما التواصل اللفظى، الذى بـــدأ خـــلال المرحلة الفرعية الثالثة، فإنه يتطور بسرعة خلال تلك المرحلة الرابعة الفرعية للإنفصال – التفرد وببطء يحل محل أساليب آخر للتواصل، ويصبح اللعب أكثر إيجابية (بدايـــات اللعـــب التخيـــيلى – الرمـــزى: نيفين زيور – وبناء المعتقد Believe) وتصبح الملاحظـــات الخاصة بالعالم الواقعى مفصلة واضحة متضمنة في اللعب ويوجد إهتمام متزايد بأقران اللعب وبالكبار غير الأم. ويبدأ تنمية الإحساس بالوقت مع قدرة كبيرة على التسامح في تأخـــير الإشـــباع وتحمل الإنفصال. إن مثل مفاهيم " لاحقا" أو غداً ليست فقط مفهومة ولكنها أيضا تستخدم بواسطة الطفل في هذا العمر.

وهكذا ، فإن المرحلة الرابعة الفرعية تحدد سماتها بإيضاح الوظائف المعرفية المركبة (التواصـــل اللفظى، التخييل Fantasy ، واختبار الواقع) حيث أنه خلال تلك الفترة الخاصة بالتميـــيز الســـريع للأنا، من حوالى ٢٠ أو ٢٢ شهر إلى ٣٠ أو ٣٦ شهر، فإن التفرد ينمو بسرعة (إيسكالونا ١٩٦٨) (Escalong 1968) " فيكفى أن نشير إلى أن تأسيس صور عقلية للذات بوصفها منفصلة عن صور الموضوع يمهد السبيل لتشكيل الهوية الذاتية.

ففى الحالات المثالية، خلال النصف الثانى من السنة الثالثة، يستمر التوظيف الليبيدى بغـــض الـــنظر عـــن غياب الرضا السريع مع المحافظة على التوازن الوجدانى للطفل خلال الغـــياب المؤقـــت للموضـــوع. وخلال فترة السمبيوزى السوى normal symbiosis فإن الموضـــوع المدمـــج نرجســـياً كـــان يشـــعر أنه جيد بمعنى متآلف harmonic مع الذات السيمبيوزية ، بحيث يصبح للتوحد الأولى مكان إيجابي للحب. فإنه كلما كان الاتجاه الوجدانى للموضوع المحبب أقل ثباتاً وأكثر تطفلاً ، كلما كان المدى الذى به يبقى الموضوع أو يصبح

unassimilated .واستدماجا سيئا لجسم غريب. وفى محاولة لإخراج هذا الاستدماج السيئ، فـإن مشتقات الدافع العدوانى تظهر ويبدو أنها تنمى نزعة متزايدة نحو التعرف على الصورة الذاتـية مع الإستدماج السيء أو على الأقل للتشويش على الإثنين فإن ظهر هذا الموقف على السـطح خلال مرحلة التقارب الفرعية، فقد يكون العداء غير مكبوت بنفس تلك الطريقة التى تتناول غرس أسلوب "الموضوع الجيد" ومعه الصورة الذاتية الجيدة.

(Mahler. M ,1972: 496-499)

وسـوف يـتم التعبير عن ذلك بنوبة الغضب المزاجية المبكرة الشديدة، وبالمحاولات الزائدة لإجبار الأم والأب على التعامل كآنات شبه خارجية.

أى باختصـار قـد يحـدث ازدواج عظـيم يستمر لتشويه النمو الطبيعى نحو الثبات الوجدانى للموضوع والنرجسية الثانوية السليمة.

وتلك هى العواقب الخاصة بهؤلاء الأطفال والذين شعروا أن إحساسهم بالضعف أدى إلـى انكمـاش مفاجئ في إحساسهم السابق بقدرتهم الكلية وأيضاً بالقدرة السحرية المشتركة للآباء (جاكبسون ١٩٥٤) وإن هؤلاء الأطفال الذين في العام الثالث بشكل خاص أظهروا ميلا لفصـل عالم الموضوع إلى جيد و سيئ والذي يعتبر وجود الأم بذاتها (بولبى ١٩٥٨) والأم بعد الإنفصال (ماهلر ١٩٧١) دائماً مخيباً لآمالهم .

وترى ماهلر وباين وبرجمان١٩٧٥ أن الشروط الأساسية للصحة النفسية تتوقف على القدرة الموجودة والمستمرة للطفل على الإحتفاظ بتقديره لذاته في إطار الثبات الليبيدى النسبى للموضوع. ففى المرحلة الفرعية الرابعة المفتوحة النهاية فإن كل من الأبنية الداخلية Inner structures (الثـبات الليبيدى للموضوع – الصورة المتخيلة عن الذات المبنية على أساس الـتوحد الحقيقى للأنا) ينبغى أن تأخذ فرصتها. وعلي أية حال فماهلر تعتقد أن كل من تلك الأبنـية يمـثل بدايـة عملية نمو متطورة. كما ينبغى على الأم المستدخلة والصورة المتخيلة المسـتدخلة أو التمثل النفسى للأم المستدخلة أن تكون موجودة لكى توفر الراحة للطفل في أثناء الغياب الجسدى للأم.

إن أول أساس للاستقرار وجودة التمثل المستدخل هو علاقة الأم– الطفل كما نراها في التفاعل اليومى بين الأم والطفل حيث أنها تبدو نتيجة للمراحل الثلاثة السابقة.

وتـرى ماهلر .. أن التهديدات الموجهة لثبات الموضوع الليبيدى والإنفصال الفردى تنتج من مصادر عديدة (ضغط نضوج الحافز، الذى يواجه الطفل بمهام جديدة بينما يتقدم نمو المـرحلة الإستية مع المطالب التى يستلزمها التدريب على التواليت. وبمجرد دخول المرحلة

النضــجية فــإن الطفــل يصبح أكثر إدراكاً للفروق الجنسية التشريحية ويواجه قلق الخصاء وتوترات متنوعة).

وتضــيف ماهلــر:إن الصــدمات التراكمــية (أنظر خان ١٩٦٤) في المرحلة الإستية والقضيبية قد تشكل عائقاً في طريق ثبات الموضوع وأيضاً في طريق التماسك المبدئى لفردية الطفل.. إن تلك الأحداث السابقة والمتطورة تحدد أسلوب الفردية والثبات الوجدانى للموضوع حيــث يمكن مواجهتهم بسهولة عن طريق الكفاح بخصوص التدريب على التواليت، والوعى بالفروق الجنسية التشريحية وبحلول العام الثالث، تولد في حياة كل طفل مجموعة معينة تتكون نتــيجة لمواجهة الشخصية الرائعه للأم، وقدرتها على الأمومة، والتى إليها يستجيب وتنسحب تلك الاستجابة إلى الأب والي المجموعة العائلية للطفل.

وهكــذا فإن ردود فعله تتأثر بشدة الأحداث الجارية مثل المرض، التدخلات الجراحية الحوادث، الإنفصال عن الأم أو الأب، أن مثل تلك الأحداث تؤلف قدر كل طفل وهى الجوهر الذى منه تتشكل مهام وأهداف حياته بشكل خاص. (Mahler et al 1975 : 113 : 119)

وبذلك فإن المهمتين الرئيسيتين لهذه المرحلة الفرعية هما تحقيق الفردية وتحقيق ثبات الموضــوع . كمــا أن هوية الجنس ووظيفة الأنا الأعلى تتقدمان أيضا أثناء هذه الفترة التى تســتمر عبر السنة الثالثة. وهذه النقطة النهائية اختيارية نوعاً ما، حيث أن العملية قد تستمر لبعض الوقت وأثناء هذه المرحلة يبدو الطفل مرة أخرى قادراً على أن يكون وحده إلى درجة أكــبر مــن الســابق بدون قلق غير مبرر بخصوص أحوال أمه.وهنا فقط يبدو الطفل محولا للوجود الخارجى لأمه إلى وجود داخلى.واستيعاب الطفل للأم الذى يبقى سائلاً لبعض الوقت يبدأ في السماح للطفل بالسعى وراء التعبير الكامل عن فرديته وأداء وظيفته بشكل مستقل دون أن يشعر أو يخاف من الانفصال أو التخلى أو فقدان الحب . والإنجاز النهائى لثبات الموضوع يعنى القدرة على الإحتفاظ بتمثل عقلى إيجابي للموضوع في غياب الموضوع (أو في مواجهة الإحــباط) . وكذلك يشمل أيضا توحيد الموضوع " الجيد " و " السيء" في تمثل واحد إجمالي وهذا يؤكد إندماج الدوافع العدوانية والليبيدية ويزيد من كراهية الموضوع عندما يكون العدوان شديدا. وفى حالة ثبات الموضوع لن يتم رفضه أو استبدال موضوع الحب بغيره إذا كان لا يوفــر الإشباعات وفى هذه الحالة يكون الموضوع مطلوبا وليس مرفوضا (مكروها) على أنه غــير مشــبع ببســاطة لأنه غائب.ومع تحقيق ثبات الموضوع وإنجاز شعور أفضل بالهوية الفــردية أثــناء هذه المرحلة فإن بناء الأنا يحقق مستوى عالياً. بينما تجرى عملية تحسينات مستمرة بعد ذلك وهذا البناء للأنا يصبح محور الأداء الوظيفى الصحى

(Mahler et al 1957 : 110)

عملية الإنفصال –التفرد

والتطور المناظر لعلاقات الموضوع

المرحلة	السن (تقريبا)	علاقات الموضوع
ذاتوية	الميلاد – شهر واحد	هناك حالة من اللاعلاقية أو حالة غير متميزة أولية (بلا موضوع)
تكافلية	شهر واحد – ٤ أو ٥ شهور	تكون صورة الطفل عن نفسه وعن أمه منصهران ، ولا يكون هناك ذات موضوع منفصل .وهناك تمثل منصهر للذات – الموضوع تتكون فيه جميع الخبرات "الجيدة" أو الممتعة وتطرد جميع الخبرات "السيئة" أو اللا لذة .
الانفصال – التفرد التميز	٤ أو ٥ –٨ شهور	هناك بدء التميز للذات عن الموضوع من خلال تميز صورة الجسم عند الطفل عن صورة جسم أمه
الممارسة	٨ –١٥ شهر	مع استكشاف نشاط الطفل للفرص الجديدة للعالم الحقيقي ،يكون هناك تميز إضافي لصورة الذات مما يؤدى إلى جميع التمثلات "الجيدة" للذات والموضوع وجميع التمثلات "السيئة" للذات والموضوع .
التقارب	١٥–٢٤ شهر	يعود الطفل إلى الأم بطلبات جديدة لردها على تفرده . وهناك تكامل لجميع الجوانب " الجيدة" و"السيئة" لتمثيل الذات إلى مفهوم متكامل وتكامل مناظر لجمع صور الموضوع "الجيدة" و"السيئة" في تمثل إجمالي للموضوع يؤدى إلى ثبات الموضوع.
على الطريق نحو ثبات الموضوع	٢٤– ٣٦ شهر	يكون الطفل قادرا على الاحتفاظ بتمثل عقلي مستقر للأم سواء كانت موجودة أم لا ، وبغض النظر عن الاحتياجات أو الإحباطات .

ب- نظرية جاكوبسون

تعتبر جاكوبسون Jacabson من أكثر الذين سبروا أغوار التحليل النفسى الميتاسيكولوجى من بين كل المنظرين لنظرية الغريزة / البناء بعد فرويد.

لقد كان هدف جاكوبسون عبر كتاباتها هو إدماج وجهة النظر الاقتصادية مع علم فينومينولوجية الخبرة الإنسانية. Phemomenology of humen experienceحيث أن هذه الخبرة تؤكد على دور العلاقات مع الآخرين، ولإنجاز هذا الهدف اختارت استراتيجيتين نظريتين متكاملتين.

أولا: ركزت الانتباه على خبرة الإنسان بذاته في بيئته على ما أسماه ساندلر وروز بنيلات ١٩٦٢ (العالم المتأمثل) represntational world ويكون مشتقاً من المعطيات السيكوبيولوجية، ولهذا يرتبط بنظرية الدافع / البناء فالعالم المتأمثل لدى جاكوبسون له قوانينه الخاصة والذى يفسر-على أكمل وجه- تحليليا كلا من الظواهر السوية والمرضية . وقد توازى أهم أعمالها " الذات والعالم الموضوعى" ١٩٥٤ ، ١٩٦٤ مع كتاب " علم نفس الأنا ومشكلة التأقلم" لهارتمان، مما يشير إلى توكيد جاكوبسون على التنظير الفينومينولوجى ومحاولتها مزج التفسير الفينوميولوجى مع التفسير الميتاسيكولوجى الكلاسيكى.

ثانيا: تفنيد (مراجعة) المبادئ الاقتصادية ذاتها، سواء كان باعتبار الحاجة إلى توسيع مفهوم الفمية لتعديل ما يقصد بالتوتر وتفريغ الشحن ، أو بمراجعة تعريف مبدأ اللذة حيث أنها قد وصلت إلى استنتاجات بأن نظرية الطاقة يجب أن تكون متزامنة مع تتابع العلاقات بالموضوع.

ونتيجة لتعرض جاكوبسون لكل أساسيات نظرية التحليل النفسى فقد كان العمل (الإجمالى) لجاكوبسون أكثر ارتباطا بنظرية الدافع / البناء بعد فرويد.

الذات والعالم الموضوعى

في موقف نموذجي اتجه إليه منظرو التحليل النفسى مرات ومرات، إن الطفل الذى يشعر بالجوع يبدأ في الصراخ. والنموذج المثالى هو أن الأم تسمع ا لصراخ فتلبى حاجة طفلها، فيرضع الطفل من ثديها فيهدأ ويصبح في حالة من السرور. هذه حالة وهناك حالة أخرى يمكن للأم أن تكون غير مهيأة فيزيقياً أو انفعالياً فيستمر توتر الطفل حتى يأتيه إشباع الحاجة أو حتى يكون قادراً على استخدام آلية داخلية لإحداث إشباع مؤقت . أما الحالة الثالثة فيمكن للأم أن تستجيب ولكن لأسبابها الخاصة ترد بشكل غير ملائم بمعنى أن تكون استجابتها

غير ملائمة، حيث يعتمد إشباع جوع الطفل أو عدم إشباعه ورد فعله السلوكى للموقف على خصائص الموقف وعلي تشكيلة من العوامل التكوينية والتطورية . ويؤكد فرويد (١٩١٥) بشدة على الحاجة والدافع المتضمن والتقلبات الخاصة بهذا الدافع. حيث يؤدى الإشباع إلى خفض التوتر وتحقيق خبرة اللذة . فإن الخبرات المتكررة للإشباع لها دور في التطوير بتمهيد السبيل لاختيار انتقائي للموضوع في النهاية . أما بالنسبة للإحباط فرغم إحداثه لمشاعر عدم الإشباع إلا أنه يلعب دورا تطوريا هاما على نفس درجة أهمية الإشباع فهو يؤدى إلى توكيد مبدأ الواقع وإلى التفكير الواقعى بدلاً من تحقيق الأمنية بشكل هلوسى. مما يؤدى إلى تطور الأنا.

ويقدم سوليفان Sullivan (١٩٥٣) فهماً بديلاً وهو يشر إلى جانبين متوازيين في الموقف ولكنهما في الأساس غير متعلقين ببعضهما.

أولا: احتياج الرضيع البيولوجى (وبكلمات سوليفان : المتعلق بالمنطقة) وكونه مشــبعا أو غير مشبع ، هذا الأمــر ليس وثيق الصلة بالناحية النفسية ولكنــها تؤدى إلى علاقة من نوعية خاصة وفريدة بين ذات الطفل وأمه .

ثانياً: النغمة الانفعالية لرد فعل الأم (خاصة وجود أو غياب القلق وكذلك الغضب ...الخ) و فضلها عن المدى الذى يتم لحده إشباع الاحتياج البيولوجى مما يسهم بشكل مؤثر في تشكيل الشخصية.

ورد فعل الطفل الرضيع على هذه النغمة الانفعالية يشكل الأساس لعملية الشخصنة المبكرة personification ، كما أنها أساسية في تنظيم " نسق الذات" وتنظيم الشخصية بشكل عام. فالعلاقة المبكرة بين الرضيع وأمه هى هكذا علاقة بيولوجية واجتماعية في نفس الوقت. وكما أشار كلا من (Hartmann 1939و Schefer 1976) فإن البيولوجى والاجتماعي والنفسى ليسوا أجزاء متفرقة من الشخصية ولكنها منظورات بديلة لرؤية الموقف ككل. (Greenberg & Mitchell 1983: 307)

ومن حيث وجهة نظر جاكوبسون فإن خبرة الرضيع باللذة أو اللالذة أو بالإشباع أو الإحباط تعد أساس العلاقة بأمه، وبهذا المعنى يكون وضعها سليماً مع النموذج دافع/بناء . كما ذهبت جاكوبسون أبعد من ذلك في اقتراحها الخاص بأن خبرات اللذة اللالذة تؤدى إلى حدوث تفاعلات نوعية وحرجة تطورياً نحو الموضوع (الأم) . ومع حدوث خبرات الإشباع واللا إشباع تتشكل صور الأم المشبعة الجيدة والأم المحبطة السيئة . وتكون هذه الصور

بدايات العلاقة بالموضوع الداخلية، وبهذا المعنى تتفق آراء جاكوبسون مع المنظرين لنموذج العلاقة / البناء.

أما الأم التى لا تستجيب بشكل مناسب لحاجة طفلها تؤدى إلى إحباطه وخيبة أمله ، فالإحباط يشير إلى متطلبات الدافع بينما خيبة الأمل تشير إلى نوعية العلاقة الناشئة بالموضوع ، وتؤدى خيبة الأمل إلى نقص قيمة الموضوع لأنها تؤدى إلى إزالة طاقات الدافع العدوانى في المواقف المحبطة.

وهكذا ترتبط خيبة الأمل بالإحباط ولكنها ليست مطابقة له. فنقص قيمة الموضوع له بدايات فسيولوجية تظهر في استجابة الاشمئزاز إلى الرغبة في لفظ الموضوع والانفصال عن الموضوع غير المريح وخبرات اللذة مثل خبرات اللالذة تنشأ عنهما اتجاهات نوعية نحو الموضوع ، وإن كانت خبرات اللذة تؤدى إلى تضخم قيمة الموضوع وإلي الرغبة في امتلاك المصدر القوى للذة وإلي الرغبة في الاندماج معه.

وهكذا فإن السياق الحتمى للإشباع والإحباط يؤدى إلى عواقب مشتقة من الاتجاهات نحو الموضوع وبالإضافة لهذا فإنه يؤدى إلى تتابع من الأهداف الموجهة نحو الموضوع (امتزاجا مع وانفصالا عن) مما يحتاج إلى حياة دينامية خاصة بها ولا تعتمد نسبياً على متطلبات الدافع التى هى مؤسسة عليها وراثياً. وهكذا تفهم سلسلة الأهداف الموجهة للموضوع بلغة إحباط وإشباع الدافع، فهى تمثل عمليات فيما بين الكائن الحى وبيئته بمفهوم هارتمان Hartmann 1939 وهى تفاعلات بين " الذات والموضوع".

(Geenberg & Mitchell 1983 : 309)

مفهوم الذات" لدى جاكوبسون:

لقد اتخذت جاكوبسون موقفاً تقليدياً متحفظاً فى تعريفها المحدد للذات . ففى أول ما تم نشره لها عن هذا المصطلح استخدمت تفرقة هارتمان (١٩٥٠) ما بين الأنا كنظام عقلى والذات التى تشير إلى تمثل داخل الأنا.(Jacobson : 1954 : 85)

وقد أكدت جاكوبسون على هذا الاستخدام في عملها الأخير مؤكدة أن " الذات" هى مصطلح وصفى مساعد يشير إلى الشخص كفاعل وليس (كذات) في تمايز عن عالم الموضوعات المحيطة به. (Jacobson : 1980 :6)

وهى ترى أن تقلبات الذات والموضوع وعلاقتهما المتبادلة لا تعتمد فقط على أفعال بل أيضا لها تأثيرها الخاص على نمو الأنا. حتى قبل إدخال هارتمان لمصطلح " الذات" في

نموذج الدافع / البناء فإن تفرقة جاكوبسون " ١٩٤٦ " فيما بين الإحباط وخيبة الأمل تضمنت أن النوعيات الخاصة من علاقات الموضوع لها تأثير جذرى على التكوين البنائى النفسى.

وبعد ثمانى سنوات ومع تباينها لاستخدام هارتمان قالت جاكوبسون إن تأسيس منظمة الأنا يبدأ مع اكتشاف ونمو التمايز بين عالم الذات والموضوع".(Jacobson 1954 : 85)

وبمرور عشر سنوات أكدت جاكوبسون أن " الأنا " لا تستطيع أن تكتسب موضوعا مع موضوع الحب إلا إذا أصبحت الصفات التى نالت الإعجاب بهذا الموضوع مستدمجة داخل صور الذات المرغوبة لدى الطفل.(Jacobson 1980 : 51)

وتوضح هذه القضايا أن كلا من الأنا (وكذلك الأنا الأعلى) من جانب ، وصور الذات وصور الموضوع من جانب آخر، لها تأثير متبادل على تطور كل منهما وترى جاكوبسون إن النضج أن يشبه المرء والديه ولا يمكن أن يشبه المرء والديه إلا إذا خبر والديه (أو نواح منهما) بوصفهما محبوبين وأن يكون لديه كذلك إحساس كائن بذاته مثلهم.

ويعد عالم الذات والموضوع الوسيط هوالذى من خلاله تمثل العلاقات بالآخرين وتصبح مفيدة من أجل التغير البنائى. وتعد الدلالة السببية الوظيفية التى تعزو لها جاكوبسون العلاقات بالآخرين واضحة في مناقشتها للأمراض النفسية الحادة، حيث أوضحت الخصائص المرضية للاضطرابات الوجدانية ، والحالات البينية والأذهنة، كما ميزت بين الأنواع المختلفة حيث فرقت بين الاكتئاب كمرض أولى وبين الاكتئاب في حالات الفصام، وعبر زملة أعراض ذهانية حيث يمكن أن يشخص على أساس الكيفية التى تتجمع بها تمثلات الذات والموضوع.

وحيث يعتمد النمو السوى والمرضى على الكيفية التى تتكون بها صور الذات وصور الآخرين وفى رأى " جاكوبسون" فإن التثبيتات لا ترتبط بشكل الإشباع بل بشكل العلاقة بالموضوع، حيث أن الأساس هو مدى صلابة واستقرار وواقعية وانفصال الذات و الموضوع في وقت الإحباط بشكل قاس ومبكر قبل التماسك والتفاضل والاستثمار الغريزى لتمثلات الذات والموضوع فيؤدى إلى التحقير العدوانى للموضوع وبالتالي إلى تحقير مماثل للذات التى لم تتفاضل بعد. ومع تحقير متزايد للآخر وانصهار وكراهية تمثلات الذات والموضوع ، إلى الحد الذى تترسخ فيه صور الذات والموضوع المؤمثلة كنوع من الأنا المثالى وبداية تكوين الأنا الأعلى. حيث يتكون الأنا الأعلى من تمثلات قديمة (أركية) للذات والموضوع معاقبة ومؤلمة بشدة، وهذه التطورات يمكن أن ينشأ عنها مرض نفسى (إكتئاب) أو مرضى ذهانى.

أن هذه الاعتبارات هى ما تمثل الأهمية الوظيفية للذات والموضوع وعلاقات الموضوع في نظرية جاكوبسون فتتابع تمثلات الذات والموضوع وتتابع نمو الأنا والأنا الأعلى تتداخل بشكل كبير. ويتم فهم النمو ليس فقط من خلال اعتبار الحالات الغريزية Instinctuatstates ونضج الأنا ولكن أيضا من خلال مراحل العلاقة بالموضوع.
(Greenberg & Mitchell 1983 : 308-310)

من النرجسية إلى تكوين الهوية

تحدثنا جاكوبسون عن مفهوم النرجسية الأولية بقولها " يبدو أن مفهوم النرجسية الأولية اصطلاح مناسب لوصف مرحلة الطفولة المبكرة السابقة على تطور صور الذات والموضوع وتلك المرحلة التى لا يعى فيها الطفل الوليد شيئاً خلاف خبراته الذاتية من التوتر والراحة، وكذلك الإحباط والإشباع، ولكن ينبغى أن يبقى واضحاً في أذهاننا أن هذا المصطلح لا يحمل أى مرجع للتفاضل البنائى أو الطاقة وما يناظره من بناء وشحن تمثلات الذات والموضوع".**(Jacobson 1980 : 15)**

وقد وضح هذا التعريف كل صعوبات الصياغة الأساسية لفرويد ، وهو يشمل أحدث تعريف للنرجسية عند " هارتمان" والذى تناول فيه مفهوم شحن الذات أكثر من مفهوم شحن الأنا. وتجنب مشكلة العدوان من خلال تحرير مفهوم النرجسية من أى إيحاءات مرتبطة بالطاقة ، فهذا الجانب الأخير هو الذى يختلف فيه عن جاكوبسون. حيث في عمل جاكوبسون لم تعد النرجسية الأولية مجرد تقلب غريزى ولكن هذا المفهوم مأخوذ بشكل مباشر من حالة تعلقه بالموضوع عند الرضيع . وهذا يتفق مع أول استراتيجيتين نظرتين عند جاكوبسون وهو إعادة صياغة مفاهيم نموذج الدافع / البناء في إطار الخبرة والعلاقة أكثر منه في إطار ميتاسيكولوجى كلاسيكى. (Gneenberg & Mitchell 1983 : 311)

وحتى في ضوء هذه المراجعة تبقى مشكلة في الرؤية الكلاسيكية للحالة العقلية الأكثر تبكيراً ، ما هو الهدف الأصلى للدافع العدوانى وكيف يستطيع الطفل تجنب تحطيم نفسه؟ وتطبق جاكوبسون على هذه المشكلة استراتيجيتها النظرية الثانية وهى تعديل الافتراضات الخاصة بالطاقة حيث " افترضت حالة أساسية من اللا تفاضل في الطاقة والتى لها صفات ليبيدية أو عدوانية تحت تأثير المثيرات الخارجية للنمو النفسى وانفتاح وزيادة نضج مسارات تفريغ الشحن في الخارج. (Jacobson :1980 : 13)

ويمثل هذا الافتراض تحول جوهرى يوازى مفهوم " هارتمان ١٩٤٦" عن حالة اللاتفاضل التى ينبع منها الأنا والهو. وعلي أى حال فإن هذا المفهوم من الأساسيات النظرية

أكثر منه مفهوم خاص " بهارتمان " لأنه يشير إلى تأثير البيئة المباشر على أكثر الخصائص الأساسية للدافع الغريزى. (Gneenberg & Mitchell 1983 : 312)

" وتصرح جاكوبسون" بأن الأقطاب المجمعة للشحن الليبيدى والعدوان تتشكل حول نوى آثار ذا كـروية غير متعـرف عليهـا وغير متصلـة بعـد (أى غير منظمـة بـعد). (Jacobson : 1980 : 52)

وإذا حدث الليبيدو والعدوان من خبرات جيدة وسيئة (على الترتيب) فما معنى احتفاظهم بخصائصهم الغريزية؟ وإذا لم يكونا كذلك (غريزتين) فبأى وسيلة يختلف منظور جاكوبسون عن غيره من منظرى نموذج علاقة / بناء الذين يرون أن الدافع يقوم على العلاقات الباكرة الجيدة والسيئة بالموضوع.

ورداً على ذلك تمشى جاكوبسون على حبل مشدود غير مريح بهذا الخصوص حيث ترى جاكوبسون أن فكرتها هذه قد تكون استكمالا لنظرية الإحباط – العدوان ولكن يجب ملاحظة أن الانتقال من طاقة سيكولوجية غير محددة إلى خاصيتين مختلفتين تعتبر حتمية سيكولوجية وتتقدم عن طريق العوامل الداخلية المتقدمة وأيضا عن طريق المثيرات الخارجية. (Greenberg & Mitchell: 1983 : 313)

وبعد وضع جاكوبسون لحالة أساسية من اللاتفاضل في بداية الحياة ، تولت جاكوبسون تصوير العمليات التطورية التى تؤدى إلى تأسيس إحساس مستقر بالهوية متلازماً مع تكوين البناء النفسى . ورؤية جاكبسون تجعل القارئ منغمساً في كفاح الطفل النامى في حفر هوية بعيداً عن القائمين على رعايته وبهذا المعنى فإن قصتها التطورية توازى قصة ماهلر ولكننا عند جاكبسون نحصل على شعور بخبرة الطفل المفقودة في نظرة ماهلر الأكثر انفصالاً. (Greenberg & Mitchell 1983 : 314)

وتتناول جاكوبسون بإسهام كبير التعاملات المبكرة بين الأم وطفلها ، فهى شديدة الحساسية تجاه الفروق الدقيقة التى لا تكاد تدرك والمرتبطة بهذه الفترة. وأيضاً التفاعل الثابت بين الخبرة الوجدانية للأم والأخرى الخاصة بطفلها الذى يستغيث بالأم ذات الصور والتخيلات الشعورية واللاشعورية القديمة فهى واعية تماماً بالتأثيرات العديدة المتزامنة لاهتمام الأم بطفلها وللاتجاهات والأنشطة الأمومية التى تمد الطفل بالقيود والإشباعات والإثارة الليبيدية، والتى تمهد الطريق أمام ارتباطاته الشعورية وفى نفس الوقت تحول الأم إلى أنا الطفل الخارجى والحامية لوجوده وبالإضافة إلى هذا تستثير هذه الاتجاهات والأنشطة النمو الفيزيقى والنمو العقلى للأنا عنده وسرعان ما تبدأ في نقل مبدأ الواقع والمعايير والمبادئ الأخلاقية الأولية للطفل.

ولقد اهتمت جاكوبسون بمفهوم الفمية وجادلت كثيراً من أجل توسيع مفهوم الفمية الخاص بنموذج دافع / بناء حيث أنه متضمن في كل أوجه علاقة أم – طفل وأن الإشباعات والإحباطات المتكررة للدافع الفمى تشكل لب خبرات الطفل عن اللذة واللالذة المبكرة . وهذه بدورها تكون أول وأكثر الجسور مدلولاً بالنسبة للأم. وهذه الخبرات المبكرة من إشباع وحرمان فمى تصبح العنصر المركزى الأول " لصور الذات" الأولى والتى تبنى هذه الصور من خلال التفاعلات بين الطفل وأمه. (Jacobson :1980 : 35:36)

ومفهوم الفمية كما تقدمه جاكوبسون .. نوع من الخبرة التى تضم متسعـا مـن إحساسات(اللذة واللالذة) حيث تؤدى خبرات الإشباع إلى تخييلات الانصهار بينما تؤدى خبرات الإحباط إلى الرغبة في الانفصال واللفظ. (Expel,separate)

وتضم تخييلات الانصهار أفكارا خاصة " بالاندماج الكلى" حيث يصبح الموضوع هو الأساس لكل العلاقات بالموضوعات التالية. فتصاغ التكاملات المبكرة والواسعة المتخيلة مع الأم من خلال عملية الإستدماج والإسقاط لدى الطفل. وهذه المصطلحات لها معان نوعية جدا في إطار جاكوبسون فهى تحدث داخل العالم المتخيل أى عالم الموضوعات الداخلية Inner objects وتوضح هذه الاعتبارات البناء المركب لنظرية جاكوبسون فمع النضج تصبح الأنا قادرة على تكامل خبرات اللذة- اللالذة المبكرة حول الصور الجزئية الخاصة بالذات والموضوع وعندما تصبح الأنا أكثر نضجا فإنها تقاوم تخييلات الإنصهار التى تتبع بالإشباع الواقعى وعلي أى حال فإن الأحداث اللاحقة سواء كانت تخبر بوصفها مشبعة أو محبطة، تحدد بدورها شكل التعاملات داخل " العالم المتأمثل" Representational World كما أن لهذه الأحداث تأثيرها الدال على بناء الأنا. (Greenberg & Mitchell 1983 : 315.)

وترى جاكوبسون ١٩٥٤ أن فترات إعادة الانصهار تصاحب عادة بانخفاض ويضعف في الإدراك وفى اختبار الواقع وتكون بمثابة عودة إلى حالة (اللا أنا) وهو أقل تفاضلاً وتمايزاً . وهكذا يستطيع المرء أن يرى بوضوح التفاعل المتبادل المعقد للقوى المشتقة من كل من الدافع الغريزى والواقع ومن الأنا البنائية ومن العالم الداخلى للموضوعات.

ومع بداية السنة الثانية من الحياة تنشأ قدرتان خاصتان للأنا تتحددا نضوجيا ولهما تأثير حاسم على خطوات الطفل تجاه تكوين الهوية وهما:

١- التطور التدريجي الطبيعي للقدرة على التفرقة بين الملامح الخاصة بموضوع الحب.

٢- نمو مظاهر الوعي بزمن المستقبل.

وكل منهما يصنع للطفل مفهوماً مؤداه أنه مشابه للموضوع المعجب به (موضوع الحب) مفضلا ذلك على أن يصبح الموضوع وذلك هو ما كان يميز تخييلات (الإنصهار الكامل) . ومع القدرة على تمييز الأوجه المختلفة للموضوع المحبوب تنمو الثنائية الوجدانية في موازاة التنافس. ويمنح التحرر من العدوان من عمليات الداخلنفسية حيث تعد الاتجاهات الوالدية وبخاصة الأمومية هامة في هذا الوقت لأن المزيد من أى من الإشباع أو الإحباط يمكن أن يؤدى إلى تخييلات انصهارية نكوصية وعلى أية حال تتكامل فكرة كونه مثل الموضوع (والذى تسميه جاكوبسون التعيين الذاتى الانتقائى) وتحل بالتدريج محل الميل إلى الانصهار من جديد. (Greenberg & Mitchell ١٩٨٣ : ٣١٥)

وفى تطور لاحق يصبح الطفل قادرا على التفرقة بين واقعه الذاتى وصور الذات المرغوبة وهو التمييز الذى يقوى بواسطة المنافسة الشديدة مع المنافسين الأقوياء وفى السعى إلى تنمية الذات ، وبالمثل فإن اكتشاف الطفل للاختلاف التشريحى بين الجنسين يشارك في تكوين الهوية الجنسية وذلك عن طريق وصوله لفكرة مؤداها أنه عضو في جماعة جنسية.

وتمهد هذه العمليات الطريق إلى تأسيس تعيينات ذاتية لأنا مستقرة وكذلك لتأسيس أنا مثالى. وقد رأى " فرويد " أن الأنا المثالى يساعد بوصفه ملاذا للنرجسية المفقودة الخاصة بالطفولة وهو مكان يكمن فيه اعتقاد الطفل بمثالية أو بكماله الذاتى.

وبذلك جددت جاكوبسون مفهوم الأنا المثالى بحيث أصبح متفقاً مع إعادة صياغتها لمفهوم النرجسية . فهى ترى أن الأمثلة تزيد من التنافس والصراع الذى يحدث فيه انصهار بين صور الذات المؤمثلة وصور الموضوع المؤمثل.

وهكذا يكون في ذلك تعويض إلى حد ما عن تخييلات الإنصهار المفقود ويساهم تكوين الأنا المثالى في تطور الإحساس بالهوية بإحداث رغبة في المشابهة ليس فقط مع الآخرين بل أيضاً مع المستويات الداخلية للفرد ذاته.

وعقب هذه التطورات فإن نشأة الأنا الأعلى كجهاز نفسى مترابط يتكون أولا من صور قديمة وسادية تتكون مبكراً على أساس عمليات الاستدماج والإسقاط وهى تالية لعملية تكون صور الذات المؤمثلة وصور الموضوع المؤمثل والتى تشكل الأنا المثالى، وينشأ الأنا الأعلى نتيجة لأوامر ونواهي وطلبات وتحريمات وقيم ومعايير والدية واقعية ومستدخلة. إن تصوير جاكوبسون لعالم الذات وعالم الموضوع يظل مرتبطاً بنموذج دافع/بناء حيث تساعد الخبرات الواقعية في تحديد صور الذات وصور الموضوع من خلال العلاقات (البين-شخصية) وهى تساهم في التطور البنائى بشكل حاسم.

(Gneenberg & Mitchell ١٩٨٣ : ٣١٧)

- **اكتشاف الهوية والتقدم فى العلاقات بالموضوع**

تلخص جاكوبسون عملية تفاضل الطاقة والبناء من خلال المراحل الآتية :

أولا:

الحالة الأولية (المرحلة الجنينية) وهى عبارة عن تشتت وانتشـار الطـاقة " اللا متفاضلة فى الذات السيكوفسيولوجية البدائية (غير المهيأة) حيث يحدث التفريغ من خلال عمليات فسيولوجية صامتة .

ثانيا :

عند الميلاد يتم شحن الإدراك والذاكرة وكذلك الجهاز الحركى ونمو المناطق الشبقية قبل – التناسلية وتظهر حينما يبدأ الطفل فى إدراك الاحساسات " اللذة واللالذة " وتصبح مرتبطة بالمدركات الخارجية وذلك على الرغم من كونها لاتزال فى حالة اختلاف وتشوش فيما بينها . ويحدث التفاضل النشيط كما يقول فرويد للأقطاب المتجمعة الليبيدية والعدوانية والتى تم تكوينها حول نواة آثار الذاكرة غير المترابطة وغير المنتظمة بعد . وعملية تفريغ الشحن إلى الخارج تبدأ من خلال ردود أفعال مهيأة مسبقا بيولوجيا (فطرية بدائية) فهى طريقة أولية لردود أفعال المثيرات الداخلية والخارجية وبذلك تنمو اللغة الوجدانية للعضو .

ثالثا :

بداية التفاضل البنائى وتكوين الأنا حيث يسود مبدأ اللذة والعمليات الأولية ، كما نجد الحياة التخييلية القبل – أوديبية الباكرة والمرحلة الجنسية القبل – تناسلية والنشاط الحركى والتعبير بالعضو ، ويتم كذلك تكوين الصور الجزئية وارتباطها بالآثار الذاكروية لخبرات اللذة واللالذة وتصبح مزودة بقوى ليبيدية وعدوانية ، وتنشأ فى هذه المرحلة كذلك استجابات عاطفية انفعالية حركية يدفعها مثير خارجى وداخلى تتغير فى تتابع سريع عاكسة لتغير التخييلات اللاشعورية وكمية الشحن والميل إلى تفريغ الدافع بشكل فورى وتنشط الإشارات وطرق التفريغ السريع للطاقة .

وعندما يتعلم الطفل السير والكلام ويكتسب السيطرة على جهاز الإخراج فهى مرحلة أكثر تنظيما وأكثر استقرارا حيث ينمو الوعى بالذات وبالموضوع وتتسع إدراكات وتنظيم الآثار الذاكروية ... ويمتد تصور الموضوع تدريجيا إلى العالم المحيط

وتبدأ رموز اللغة والنشاط الوظيفى الحركى ونمو اختبار الواقع ولكن الحياة التمثيلية الحيوية السحرية التى تكون قبل – لفظية فى البداية تسود وتصبح مرتكزة على دور الأم حتى يتشكل المثلث الأوديبى كما يحدث استقرار وانتظام للموضوع .

أما الصفات العاطفية والمراكز الانفعالية الأكثر تكيفا فتأتى إلى حيز الوجود متأثرة بالتكوين المتزايد لمضاد الشحنات بشكل واضح

رابعا :

تصل الجنسية الطفلية إلى ذروتها حيث يستقر اندماج وتحييد الدوافع العدوانية والجنسية ويتم تنظيم عمليات التفكير ، كما تنمو أنشطة الجهاز الوظيفى الحركى والعلاقات بالموضوع سريعا ، ووفقا لذلك تبدأ العواطف المفردة فى الانبثاق إلى اندماجات ثم إلى انصهارات مركبة ، ويزيد التحكم الانفعالى ويزيد تحمل التوتر والضغط ونضج العواطف مرتبطا بوظائف الأنا. هنا يبدأ الوعى بالذات فى الامتداد إلى الوعى بالعمليات العاطفية والفكرية واتجاهات الأنا ووظائفها ويبزغ مفهوم الذات كوحدة لديها استمراريتها واتجاهاتها ويصبح مبدأ الواقع والعمليات الثانوية أكثر سيادة وسيطرة ويصبح الحصر (الخوف من الخصاء) ذا تأثير عنيف على تكوينات الكبت ومضاد الشحن.

خامسا:

يتم تحييد الدافع بشكل قوى من خلال تكوين الأنا الأعلى حيث تبدأ مرحلة الكمون كما يحدث للأنشطة الفيزيقية والعقلية تقدم سريع ويتطور وينمو التفكير الإدراكى كما تتقدم عملية النضج والتنظيم البنائى للعمليات الانفعالية مع القدرة المتنامية الخاصة بالأنا لتقييد الطاقة النفسية فى شحنات ثابتة وتبدأ التمثلات الواقعية القبشعورية تصاعدا فى عالم الموضوع الحى والموضوع غير الحى ، والموضوع العيانى والموضوع المجرد ويتشكل عالم الموضوعات العيانية والمجردة وتستقر بالشحنات الثابتة من الليبيدو والعدوان والقوى المحيدة ، ويشيد الأنا الأعلى ويسيطر على شحنات تمثلات الذات ويصبح خوف الأنا الأعلى هو الإشارة الوجدانية القائدة (Jacobson 1980:54)

وتتطور لدى الطفل مشاعر الهوية ويتدعم لديه الإحساس بالزمن الذى يتبدى فى بناء مفاهيم (السن ، المستقبل ، الأهداف المستقبلية) والتى تجد مع بداية الكمون تأييدا كبيرا وخاصة من المدرسة

إن هذه التغيرات ، وكذلك تطور مستويات التفكير العقلى والجانب الفيزيقى ومستويات الإنجاز الأخلاقى ، كل هذه العناصر تعمل على تعزيز خبرة الذات المستقرة التى تحافظ على استمراريتها رغم التغيرات .

وتؤكد جاكوبسون : بالطبع فإننا نعلم أن العامل الأكثر تأثيرا فى نمو الطفل هو العلاقة الوالدية به والتى يسهم دورها فى بناء الأنا ، حيث تحفز المؤثرات الوالدية نمو الأنا وتدعم سيطرته ، كما تدعم المنع الجزئى والاندماج الجزئى والتحييد والاستفادة من الدفاعات الجنسية والعدوانية

لتكون فى خدمة الأنا وفى خدمة توظيف العمليات الثانوية. وهكذا تساهم هذه المؤثرات الوالدية بدرجة كبيرة فى النمو النفسجنسى وفى نضج المشاعر والتفكير والتصرف والإحساس بالواقع ، كما تعمل على تعزيز إقامة علاقات شخصية واجتماعية .
وعلى وجه العموم فإن هذه المؤثرات الوالدية تعمل على تعزيز فردية الطفل التدريجية وتقدمه من مواقف الاعتماد المحددة من خلال الحاجات البيولوجية إلى نشاط الأنا المستقل الذى ينتقل إلى النشاط الاجتماعي والثقافى .

وتؤكد جاكوبسون أن مشاعر الانتماء للطفل الذكر إلى جماعة الذكور تقوى من وضعه الذكرى، بينما اتجاهاته ضد الفتاة الصغيرة تساعده وتجبر هذه الفتاة على قبول وضعها الأنثوى. ومن زاوية تكوين الأنا والأنا الأعلى فإن خبرة الانتماء إلى نفس المجموعة (السن والجنس) لا تدعم فحسب الإحساس بالهوية الشخصية ولكن تجعل من الممكن تطور قبول المعايير الشائعة (الأخلاقية، الاجتماعية ،الجسمية ، العقلية) .

وتكوين الأنا والأنا الأعلى تدعم ببداية اتصال الطفل بعالم المدرسة الذى يقدم له إعلاءات وتساميات جديدة وأنماطا مختلفة وجديدة من العلاقات، وتوحدات جديدة مع الوالدين ومع الأقران . فائتلافا مع معايير الجماعة التى ينتمى إليها والتى تقوم على العلاقات بالأقران والمدرسين ومجموعة الراشدين من القادة نجد تحولا ونقلا جزئيا لعلاقات الطفل وتوحداته من الوالدين إلى أشكال وصور السلطة الجديدة.

وهى تعكس الاستقلال المحدود للأنا والأنا الأعلى لدى الطفل في مرحلة الكمون والذى يميل إلى إعادة تعلق أناه الأعلى وبالمثل أهداف الأنا لديه بالأشخاص المسيطرين عليه في العالم الخارجى . وبناء معايير الجماعة والانتماء لها تساعد الطفل على اختبار واقعه الداخلى، وأن يعين ذاته الحالية ووضعه ليس فقط من الماضى ولكن من الأهداف البعيدة، ومن إمكانيات وضعه المستقبلى الذى يمكن أن يصل إليه ، وذلك إذا بذل الجهد كى يسلك وفقا لمطالب القدوة الخارجية والداخلية. (Jacobson 1980 136-155)

ج – نظرية كيرنبرج

تعتبر نظرية العلاقة بالموضوع لدى كيرنبرج Kernberg بمفهومها الواسع الدراسة التحليلية النفسية لأصل وطبيعة العلاقات الشخصية المتبادلة وأصل الأبنية النفسية الداخلية المشتقة من تثبيت وتعديل، حيث أنها إعادة تنشيط للعلاقات السابقة المستدخلة مع الآخرين في سياق العلاقات الشخصية المتبادلة في الوقت الحاضر.

فمن أبرز ملامح التنظير الذى يقدمه " كيرنبرج" هو إلقاء الضوء على الأصول البنائية للعلاقات بالموضوع ، واهتمامه بمراحل التطور السوى لاستدخال العلاقات بالموضوع وأزماتها التى تؤدى إلى المظاهر الباثولوجية.

فنظرية العلاقة بالموضوع لدى كيرنبرج تشير إلى النظرية العامة للأبنية العقلية التى تحتفظ بخبرات العلاقات الشخصية المتبادلة مع الآخرين والتأثيرات ا لمتبادلة بين هذه الأبنية النفسية الداخلية وكذلك التغيرات في التعبير عن الاحتياجات الغريزية في البيئة النفسية الاجتماعية.

ويعد كيرنبرج من بين الذين ساهموا إسهامات عديدة في نظرية الغريزة/البناء فإطاره النظرى يشتق ويمتد من إطار جاكوبسون في التكامل بين ظاهرة العلاقات بين – الشخصية والميتا سيكولوجي. وفى نفس الوقت حاول كيرنبرج المزج بين نظرية الغريزة ونظرية العلاقة، حيث أنه يعتبر المُنظِّر الأمريكى الأول الذى أعلن عن نفسه بأنه فرويدى، وفى نفس الوقت أعلن أنه يتبع أصحاب نظرية العلاقة.

إنه المحلل النفسى الأمريكى الوحيد الذى استخدم نظرية العلاقة بالموضوع في أعماله ، إلا أنه قد تناول هذا المفهوم بحيث يشمل التمثلات الديادية أو مزدوجة القطبية dyadic or bipolar intrapsychic في البناء النفسى الداخلى كانعكاس للعلاقة بين الطفل والأم والتى تتطور إلى علاقات ديادية ومن ثم إلى علاقات بين شخصية داخلية وخارجية حيث يرى كيرنبرج أنه من المهم تناول العلاقة الديادية من خلال طريقة استدخال صور الذات والموضوع تحت ظروف انفعالية معينة. (Kerenberg ١٩٨٤ : ٥٧)

الاستدماج والتوحد وهوية الأنا: Introjection, identification, egoidentity

يصوغ كيرنبرج ثلاثة مستويات لعملية استدخال العلاقة بالموضوع في الجهاز النفسى (الاستدماجات، التوحدات، هوية الأنا).ويعزو ثلاثتهم إلى أنظمة التوحد، ويتمخض عن عمليات الاستدخال الأبنية النفسية.

وتشتمل عمليات الإستدخال على مكونات ثلاثة أساسية:

١- صور الموضوع أو تمثلات الموضوع.

٢- صور الذات أو تمثلات الذات.

٣- اشتقاقات الدافع أو إزاحتها إلى انفعالات.

الاستدماج

يعتمد الاستدماج على التصور والذاكرة (بمعنى ، على أدوات الاستقلال الذاتى الأولى) ولكنه في الاستدماجات المبكرة، لم يتم تمييز الصورة الذاتية وصورة الموضوع عن بعضهما . (Jacobson ١٩٨٠:١٩-٢١)

ويعد الاستدماج من عمليات الإستدخال المبكرة والفطرية فهو نتيجة التفاعل مع البيئة من خلال تنظيم الآثار الذاكروية والتى تتضمن ثلاثة مكونات صورة الموضوع، صورة الذات متفاعلة مع الموضوع، والصبغة الوجدانية التى تلون صورة الموضوع وصورة الذات تحت تأثير ممثل الدافع المقدم في فترة التفاعل . وتعتبر هذه العملية آلية النمو للجهاز النفسى وكذلك فإنها تستخدم لأغراض دفاعية من قبل الأنا.

ويتجاوب التعريف الخاص بالاستدماج مع مرحلة مبكرة نوعاً ما والتى فيها تتم بلورة تفضيلات متتابعة ، محرمات ، وإعادة لتفضيلات صور الموضوع والذات وفى النهاية تصبح عناصر واضحة محددة . فإن الابتسام المتبادل في سن ثلاثة أشهر والتى وصفها شبيتز ١٩٦٥ واعتبرها مؤشر للمنظم الأول للنفس ، من المحتمل أن تتجاوب مع هذا التبلور. (Kernberg ١٩٨٤ , ٢٩١)

ويعتبر الطابع الوجدانى (الاستدماج) سمة جوهرية له ويمثل عنصرا فعالا للاستدماج الذى يحدد انتشار ونظام للاستدمجات متشابهة التكافؤ.

هكذا فإن الاستدماج الذى يحتل مكانة تحت العنصر الإيجابى للإشباع الغريزى الليبيدى، مثلما في الاتصال العاطفى بين الطفل وأمه يميل للدمج ويصبح منظما فيما يسمى " الموضوع الداخلى الجيد".

ويميل الاستدماج الذى يحتل مكانة تحت العنصر السلبى لمشتقات الدافع العدوانى للإندماج مع استدماج ذى تكافؤ سلبى و يصبح منظما لدى الموضوع الداخلى السيئ.

وفى عملية دمج الاستدماجات من نفس الكفاءة فإن العناصر المتماثلة للاستدماج تميل لدمج الصور الذاتية على صور ذاتية أخرى ، وصور الموضوع مع صور أخرى للموضوع، ويسبب هذا الدمج فإن الكثير من الصور الذاتية الدقيقة وصور الموضوع قد تم رسمها بالتفضيل ، وتساهم هذه العملية في التمييز بين الذات والموضوع وتحديد حدود الأنا.وهذا في المقابل ينظم ويدمج أجهزة التصور الحسى والذاكرة ، وهكذا فإن الاستدماجات اللاحقة تحتوى

المقابل ينظم ويدمج أجهزة التصور الحسى والذاكرة ، وهكذا فإن الاستدماجات اللاحقة تحتوى على تركيب كامل للمعلومات الخاصة بكل من الموضوع والذات في أى تفاعل.
(Kernberg 1984 – 30)

وترى جاكوبسون أن الآثار الذاكروية لأحاسيس (اللذة – اللالذة) هى لب وصميم صور الذات الطفلية الباكرة وتبزغ صورة الذات من أحاسيس تتمايز بصعوبة عن إدراكات الموضوع الجزئى المشبع وتتطور تدريجياً إلى تمثلات نفسية داخلية واقعية (بدرجة أقل وأكثر) للذات، حيث أنها تصحح بالذكريات الإدراكية التى تعكس الواقع.

وتؤكد جاكوبسون : إن وجهة نظرنا في العالم الموضوعى الحى ، قاصرة بسبب القصور الإدراكى للإنسان، حيث يحدث تحريف بطرح الصور الطفلية على الأشخاص والموضوعات، والتى تكون قد تحددت جزئيا بانفعالاتنا الذاتية استجابة لسلوك الآخرين ، وجزئيا بالفهم التعاطفى الذى يتأسس على التوحدات الوجدانية البدائية.ومع تقدم التطور النفسى الجنسى وتطور الأنا، وبالتالى القدرات العقلية والجسمية، والعمليات الانفعالية والفكرية واختبار الواقع والحكم والاستبطان ، فإن صور الذات والموضوعات تصبح متحدة مندمجة في مفاهيم أكثر للذات والعالم الموضوعى. (Jacobson 1980 : 20-21)

التوحد

يعتبر التوحد شكلا عالى المستوى للاستدماج والذى يستطيع أن يحتل مكاناً عندما تزيد القدرات المعرفية والإدراكية للطفل إلى حد أنها تستطيع التعرف على سمات دور التفاعل الشخصى المتبادل.

وينطوى الدور على وجود وظيفة متعارف عليها إجتماعياً قام بها الموضوع أو كلا الإثنين المشتركين في التفاعل فمثلاً عندما تقوم الأم بأداء خدمة للطفل (مثل مساعدته على ارتداء ملابسه) فإنها لا تتفاعل معه فقط ولكنها تحقق بأسلوب معين الدور المقبول اجتماعيا للأم (توفير الملبس ، الحماية، التعليم) وأيضا فإن العنصر الوجدانى للتوحد يعتبر أكثر دقة من تلك السمة الخاصة بالاستدماج بسبب الآثار المعتدلة لجهاز الأنا المتنوعة التطوير والانخفاض في مكانيزمات الانشطار. والمشتقات النفسية للدوافع ، تدخل في العلاقة بالموضوع وقد تم إدماجها داخل توحدات واستدماجات وأنها توضح التوغل الأصلى للجهاز النفسى مع مشتقات الدافع الذى قد تم إنجازه من خلال عمليات الإستدخال.ووفقاً لكيرنبرج يتشكل عنقود الآثار الذاكروية المتضمنة في التعينات الذاتية كما يلى:

١- صورة الموضوع متفاعلا مع الذات .

٣- الطابع الوجداني لتفاعل ذى جوده أكثر تمايزا وأقل توتراً مما في حالة الإستدماج.

كذلك فقد تم إعتبار التوحد (التعيين الذاتى) ميكانيزم لنمو الجهاز النفسى الذى قد يستخدم لأغراض دفاعية وتندمج التعيينات الذاتية على نحو مشابه للاستدماجات.

وحيث أن التعيين الذاتى يتضمن استدخال أدوار ، فإن الظواهر السلوكية للفرد تصبح نتيجة مؤكدة للتوحد ونعتبر الظواهر السلوكية للاستدماج أقل وضوحا في التفاعلات الشخصية المتبادلة. ففى البداية يمارس الفرد أدوارا أدوارا بشكل أكثر سلبية كجزء من عنصر صورته الذاتية الخاصة بالتوحد. كذلك فإنه يتعلم أدوار الأم (كجزء من صورة الأم كموضوع) وقد يعيد تمثيل تلك الأدوار في وقت ما. فالتوحد يظهر أول مرة خلال الأشهر الأخيرة من العام الأول ولكنه ينمو بالكامل خلال العام الثانى. (Kernberg ١٩٨٤: ٣١)

ويعرف هارتمان ولوفنتشتين التوحد بأنه: هو أن يسلك الشخص المتوحد في بعض المسالك على غرار الشخص الذى يتوحد به. والتشابه يشير إلى خصائص ، وملامح ، واتجاهات الموضوع، أو الدور الذى يلعبه الموضوع في الواقع (أو الدور الذى يلعبه في الواقع وفقا لتخييل الشخص الذى يقوم بعملية التوحد).

(Hartman & Loewenstein ١٩٦١ : ٤٩)

ويشير سامى محمود على إلى التوحد* بقوله : التوحد عملية نفسية لاشعورية بعيدة المدى نتائجها ثابتة ويكتسب بها الشخص خصائص شخص آخر تربطه به روابط انفعالية قوية، ويميز التحليل النفسى بين نوعين من التوحد، التوحد الأولى الذى يحدث في الأشهر والسنوات الأولى من مراحل نمو الطفل وبه يصبح الطفل ما هو يتوحده بوالديه أى أن التوحد الأولى يحدد للطفل أبنيته ولا سيما الأنا الأعلى لديه والتوحد الثانوى الذى يحدث فيما بعد ويكون الدافع إليه عادة تجنب موقف مؤلم (التوحد من حيث هو حيلة دفاعية).

(سامى محمود على ١٩٩٨:٩٤)

وتشير جاكوبسون إلى التوحد مع المعتدى بقولها: إن توحد الطفل قبل الأوديبى مع الأم (توحد مع المعتدى) ومع الشخص الذى يفرض تقييدات غريزية ، ويفسح الطريق إلى

---

* Identification : التوحد : التماهى : التعيين. إنها عملية نفسية ينتحل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص أخر ، للمزيد (جان لابلانش و ج.ب بونتاليس ١٩٨٥:١٩٨)

عمليات توحد جديدة ذات هدف واقعى ، وهذا الهدف يمكن بلوغه بإحداث تعديلات في الأنا، والتى يفترض أنها خصائص تميز موضوع الإعجاب.

وتستطرد جاكوبسون فى رأيها عن التوحد الانتقائى بقولها : هذا النمط المتقدم من التوحدات يمثل تسوية بين احتياج الطفل إلى إبقاء الموقف التكافلى وأن يعتمد ويرتكن على موضوعات الحب ا لمعضدة، الحامية ، المشبعة للحاجة، وبين الميول المناهضة وهي فقد الرابطة التكافلية بطريق العدوان والاتساع النرجسى ووظائف الأنا المستقلة.

كما ترى (جاكوبسون) أن الأنا لا يمكن أن تكتسب تشبيها واقعيا بموضوع الحب ما لم تستدمج الصفات المعجب بها في صور الذات المرغوبة لدى الطفل.

وتصبح تمثلات الذات مرآة الأنا، وتعكس صفات مأخوذة من موضوع التوحد لذلك فإن التشابه بين صور الموضوع وصور الذات تختار على أساس فم واقعى. وهذه الخطوة الجديدة في تطور صور الذات ونمو التمايز بين الصور الواقعية والمرغوبة للذات تعد ذات أهمية كبيرة لأنها تعد مقتضى أوليا لبناء أهداف الأنا والأنا المثالى.

(Jacobson ١٩٨٠:٥٠:٥١)

هوية الأنا

وتمثل المستوى الأعلى في نظام عمليات الاستدخال حيث أن هوية الأنا تشير إلى النظام الكلى للتوحدات والاستدماجات تحت مبدأ رئيسى خاص بالوظيفة التأليفية (التركيبية) للأنا.

وينطوى هذا النظام على:

١- تماسك (تكوينات) أبنية الأنا المتصلة بالإحساس باستمرارية الذات. والتى يسهم فيها تقدم الإحساس بالسيطرة على المهام التكليفية الأساسية.

٢- تصور كلى متآلف " لعالم الموضوعات" مشتق من نظام عناصر صورة الموضوع فيما يتعلق بالاستدماجات والتعيينات الذاتية والإحساس بالتآلف في التفاعلات الشخصية المتبادلة حتى أن السمات السلوكية تعد أكثر الجوانب أهمية في هوية الأنا عنها في سمات التعيينات الذاتية.

٣- تقدير لهذا التآلف في التفاعلات كسمة شخصية للفرد من قبل بيئته الشخصية وفى المقابل تصور الفرد لهذا التقدير من قبل البيئة.

وتعد هوية الأنا خاصية بنائية في الأنا، ونتاجاً أساسياً للوظيفة التأليفية للأنا، وتمثل هوية الأنا، هذا الجزء الخاص من الأنا الواعى والمسيطر على اشتقاقات الدافع التى يحددها تنظيم الوجدان المتاح للأنا. (Kernberg, ١٩٨٤: ٣١:٣٢)

وينبع الاندماج العام لهوية الأنا من إندماج أجزاء هوية الأنا وتأليفهم في بناء متناغم متكامل . ويعتبر هوية الأنا النظام الأعلى مستوى لعالم العلاقات بالموضوع بمعناه الواسع، وللذات كذلك، ويعتبز هذا النمو غاية في التعقيد بينما يتم استدخال العلاقة بالموضوع بصفة مستمرة ومتتابعة ، وتأخذ هذه المستدخلات مستويات أكثر تفاضلا على نحو تدريجى. والعلاقة بالموضوع المستدخلة تندمج داخل مستوى أعلى من أبنية الأنا والأنا الأعلى مثل الأنا المثالى ، وسمات الشخصية، والوظائف المستقلة للأنا.

وتزامنا مع تلك العمليات من استدخال يتم تنظيم العلاقات المستخدلة بالموضوع في صور دائمة للموضوع والتى كانت تمثل داخلياً العالم الخارجى كما واجهته الأنا النامية وهذا يتوافق مع ما أسماه ساندلر وروز نبيلات (١٩٦٢) العالم التمثلى. فعلى كل حال، فإنه لابد من التأكيد على أن هذا العالم الداخلى لتمثلات الموضوع ،كما نراه في الشعور وما قبل الشعور واللاشعور لا يقدم العالم الحقيقى للأفراد الحقيقيين الذين معهم أقام الفرد علاقات في الماضى والحاضر.

إن الأمر يعتبر تقريبيا في معظم الأمور، ويتأثر بشدة دائماً بالصورة المبكرة للموضوعات الخاصة بالاستدماج والمتعين بها وتبدأ صور الموضوع تنتظم في هوية الأنا النامية. وتتعدل تمثلات الموضوع عبر السنين تحت تأثير نمو الأنا والعلاقـــات بالموضوع .
(Kernberg 1984:33)

وترى جاكوبسون أن اكتشاف الطفل لهويته يعد مقتضى أوليا للانتقال التدريجى من مرحلة الاندماج البدائى الانصهارى والتعيين بموضوع الحب إلى مستويات العلاقات الواقعية بالموضوع وإلى التوحدات الانتقائية والجزئية معهم. " فالتعيين الذاتى" بالنسبة لجاكوبسون هو نموذج تطورى للطفل للحفاظ على هوية مستقلة له.

والخلاصة .. أن هوية الأنا هى التنظيم ذو المستوى الأعلى في عالم العلاقة بالموضوع بالمعنى المتسع وهى تتضمن مفهوم تمثلات العالم من ناحية والذات من ناحية أخرى. والثبات النفسى الداخلى هو عملية مستمرة من إعادة تشكيل عالم تمثلات الموضوع تحت تأثير مبدأ الواقع وتطور الأنا.

ويوجد فرق واحد هام بين هوية الذات والعمليات التابعة من الإستدماج والتوحد. حيث تعتبر الاستدماجات والتوحدات هياكل للأجهزة النفسية عموما ، أما هوية الذات فبالعكس ، فإنها تعتبر سمة هيكلية للأنا، ومحصلة أساسية للوظيفة التركيبية للأنا.
(Jacobson 1980:60)

العلاقات بالموضوع " المستدخلة " والبناء النفسى

المرحلة الأولى:الذاتوية السوية (مرحلة اللاتفاضل الأولية)(النرجسية الأولية : فرويد)

ترى" جاكوبسون" أنها تلك المرحلة التى لا يعى الطفل الرضيع فيها شيئاً، إلا خبراته الذاتية من التوتر والراحة والإحباط والإشباع وهى تؤكد أيضا أن هذا المصطلح لا يحمل أى مرجع للتفاضل البنائى أو الطاقة وما يناظره من بناء وشحن تمثلات الذات والموضوع، فهى ترى أن مفهوم النرجسية الأولية اصطلاح مناسب في المرحلة الطفلية الباكرة السابقة على تطور صور الذات والموضوع.(Jacobson , 1980 :15-16)

أما كيرنبرج فهو يشير إلى أن هذه المرحلة الباكرة من النمو سابقة على ثبات مجموعة الذات – الموضوع " الجيدة" غير المتفاضلة والتى تحدث تحت تأثير خبرات اللذة والإشباع التى يخبرها الطفل في علاقته بالأم. وهى تكون في الشهر الأول من الحياة. والفشل أو التثبيت في النمو في هذه المرحلة يؤدى إلى نقص في تطور صور الموضوع غير المتفاضلة وبالتالى يؤدى إلى عدم القدرة على إقامة علاقة تكافلية سوية مع الأم. وهى حالات نراها في الذهان الذاتوى (ماهلر ١٩٦٨) (Kernberg, 1984 : 59 : 60)

المرحلة الثانية : السمبيوزية السوية أو مرحلة التمثلات الأولية واللامتفاضلة للموضوع الذاتوىيعد ثبات صورة الذات – الموضوع " الجيدة " أو اللذة بدايات هذه المرحلة وتستغرق الفترة من الشهر الثانى حتى الشهر السادس من الحياة (أو الشهر الثامن) أما لدى ماهلر فتتضمن هذه المرحلة المرحلة السمبيوزية وكذلك المرحلة الفرعية "التفاضل" من عملية الانفصال – التفرد فيلاحظ **عدم الاكتمال النسبى لتفاضل تمثلات الذات عن الموضوع عن بعضها البعض.**

وتشير جاكوبسون إلى أن بعد مرور الشهر الثالث عندما يستطيع الطفل إدراك موضوع الحب ويستطيع إشباع الأخاييل الراغبة في الاندماج الكلى مع الأم من خلال وسائل الإدماج (بصرى، فمى ، جلدى) ومن خلال تحقيق الإشباع يحدث اندماج مؤقت لصور الذات وموضوع الحب ومن ثم فإن الطفل الجائع المتلهف للطعام والإشباع الليبيدى بالاندماج الجسمى مع الأم، تعكس له هذه العملية مؤذنات للعلاقة بالموضوع المستقبلية وأصل التوحد البدائى الأول. (Jacobson , 1980 : 39,40)

ووفقاً " لكيرنبرج " تتميز التثبيتات المرضية أو النكوص إلى المرحلة الثانية من تطور العلاقات بالموضوع المستخدلة بالفشل أو فقدان تفاضل حدود الأنا والذى يميز الذهان السيمبيوزى لدى الأطفال (عند ماهلر) .

أما من جهة "جاكوبسون" فهى ترى أن كلا من الإشباع الزائد والإحباط الزائد يساعد على تخييلات نكوصية للوحدة بين الذات وموضوع الحب ومن الثابت أن الإشباع الزائد أو الإحباط الزائد يعوق الطفل عن إقامة حدود ثابتة بين الموضوعات والذات وهذا بالتالى يعوق تكوين الأنا والأنا الأعلى وعملية التفرد السوية. (Jacobson , 1980 : 56)

ويرى كيرنبرج أنه تحت تأثير خبرة اللذة المشبعة التى تشمل الأم والطفل تتفاضل صورة الذات وصورة الموضوع على نحو ثابت في نواة تمثلات الذات – الموضوع الجيدة، ويتزامن مع تطورات تمثلات الذات الموضوع " الجيد " تشكيل تمثلات الذات – الموضوع السيئ ذى الطبيعة الانفعالية المؤلمة البدائية. ويؤكد كيرنبرج أن الأبنية النفسية الداخلية الأولية الجيدة والسيئة تنتظم على نحو منفصل تحت تأثير ظروف انفعالية مختلفة تتحدد في مجموعتين منفصلتين من الذكريات الوجدانية (وجدانات اللذة – اللالذة)

" وتشير جاكوبسون" إلى أنه مع تزايد الآثار الذاكروية للخبرات الغريزية الانفعالية الفكرية، الوظيفية اللذة واللالذة، ومع الإدراكات التى تترابط معا تبزغ صور موضوعات الحب،وكذلك صور الذات الجسمية والنفسية غامضة ومتغيرة في البداية ، ولكنها تتسع تدريجياً وتتطور إلى تمثلات نفسية داخلية واقعية بدرجة أو أكثر وثابتة لعالم الموضوعات والذات.(Jacobson , 1980 : 19)

و بتكرار خبرات الإحباط واللالذة والانفصال عن موضوع الحب فإن أخاييل الادماج الكلى للموضوع المشبع تبدأ في الظهور وتعبر عن الرغبة في إعادة بناء الوحدة المفقودة. فالخبرات التى تنشط تمثلات الذات – الموضوع المشبعة تنشط أيضا الانتباه وتدفع إلى التعلم ، أما كل من الإشباع والإحباط فيساهم في التفاضل التدريجى لمكونات الذات عن مكونات الموضوع في إدراك الطفل في تفاعله مع أمه.

ويدعم هذا التفاضل التدريجي نضج وظائف الأنا المستقلة الأولية مثل الإدراك والذاكرة والتطور المعرفى الذى يحدث في سياق علاقة الطفل بأمه.

أما على العكس من ذلك فإن التنشيط المفرط لتمثلات الذات – الموضوع السيئة تحت تأثير الإحباط أو الحرمان يحدث قلقا عاما، يعوق تأثيره المشوش التفاضل الباكر لمكونات الذات – الموضوع.

ويشير " كيرنبرج" إلى نهاية هذه المرحلة حيث تتم محاولات لطرد خبرة الذات – الموضوع السيئة إلى المحيط الخارجى للخبرة النفسية ليتكون مفهوم ما هو خارجى OUT THERE بينما تصبح تمثلات الذات – الموضوع " الجيدة " نواة الأنا.

وبذلك تصبح السلسلة المتطورة لتمثلات الذات – الموضوع الجيدة أبنية نفسية داخلية وتشحن بالليبيدو ، بينما سلسلة الذات – الموضوع السيئة تشحن بالعدوان.
(Kernberg, 1984 : 63)

المرحلة الثالثة : تفاضل الذات عن تمثلات الموضوع

طبقاً " لكيرنبرج" تبدأ هذه المرحلة بانتهاء تفاضل الذات عن تمثلات الموضوع من داخل تمثلات الذات – الموضوع " الجيدة " وتمثلات الذات – الموضوع السيئة. وتنتهى بتكامل تمثلات الذات الجيدة والسيئة في ذات متكاملة، وتكامل تمثلات – الموضوع الجيدة والسيئة في تمثلات كاملة للموضوع وبذلك يتحقق ثبات الموضوع.

وتبدأ هذه المرحلة من الشهر السادس أو الثامن وتكتمل بين الشهر الثامن عشر والشهر السادس والثلاثين من العمر . وخلال هذه المرحلة فإن تفاضل مكونات الـــذات عن مكونات الموضوع تحدد في ارتباط مع التطور العام للعمليات المعرفية- تشييد وبناء حدود الأنا-حيث لم تندمج الذات بعد.ولم يندمج مفهوم الكائنات الإنسانية الأخرى ولذلك يرى كيرنبرج أن هذه هى مرحلة العلاقة بالموضوع الجزئية. (Kernberg 1984:64)

وتشير " جاكوبسون" إلى هذه المرحلة من التفاضل البنائى لتشييد وشحن تمثلات الذات والموضوع بقولها: تتشكل صور موضوعات الحب الجزئية وصور الجسم الجزئية على نحو غير متميز وترتبط بالآثار الذاكروية لخبرات اللذة واللالذة، وتصبح مشحونة بالقوى الليبيدية والعدوانية. وعندما يتعلم الطفل المشي والكلام، ويكتسب القدرة على التحكم في المثانة وعملية التبول تبدأ معها مرحلة أكثر تنظيما وينمو الوعى بالذات والموضوع.

ويتسع الإدراك وتنظيم الآثار الذاكروية وتتطور رموز اللغة، والنشاط الحركى الوظيفى، واختبار الواقع، ولكن الحياة التخييلية السحرية القبلفظية تسيطر وتبقى مركزة على الأم حتى يتشكل الموقف الأوديبى ثم يتطور ثبات الموضوع.
(Jacobson 1980 : 52 , 53)

إن التثبيتات المرضية أو النكوص إلى هذه المرحلة من تطور العلاقات بالموضوع المستدخلة، تحتم تنظيم الشخصية البينية . ولقد أوضح " كيرنبرج" من خلال عمله مع المرضى البينيين ، أن هؤلاء المرضى يكشفون عن عدم الترابط البدائى (الإنشطار) باعتباره العملية الدفاعية الأساسية وترتبط بها عمليات دفاعية أخرى مثل الأشكال البدائية من الإسقاط (التوحد الإسقاطى، القدرة المطلقة ، الإنكار، الأشكال البدائية من الأمثلة ، تخفيض القيمة) .

ويمكننا أن نوجز إنجازات التطور أثناء المرحلة الثالثة على النحو التالى: يعد إدراك الأم بداية تفرقة بين الذات وما ليس ذات،والتفرقة بين الذات والموضوعات الخارجية. هذا

التحديد يعطى الفرصة لبناء أنواع متعددة من تمثلات – الذات وتمثلات الموضوع تحت الظروف المختلفة من سيطرة اللذة والتي تشحن بالليبيدو. ومضاعفة الشحن الليبيدى لتمثلات الذات وتمثلات الموضوع يحدث مع إعادة التشكيل التدريجى لمفهوم الذات الباكر في ارتباط مع إعادة تشكيل تمثلات الموضوع والتى تتفاضل تدريجيا كل منهما عن الآخر. وأثناء هذه المرحلة فإن انفصال تمثلات الذات والموضوع المشحونة بالبيبدو والمشحونة بالعدوان يقوى باستخدام ميكانيزم الإنشطار والذى يحمى العلاقة الجيدة المثالية Ideal بالأم من أن تلوث بتمثلات الذات السيئة والتمثلات السيئة بالأم.

أما في التطور السوي فإن ميكانيزم الانشطار يتناقص تدريجيا ولكن في ظل الظروف غير السوية (المرضية) يتزايد ، فالمهمة الأساسية لميكانيزم الانشطار في الحالات البينية هو الحفاظ على انفصال الأشكال النفسية الداخلية العدوانية عن الليبيدية والتى نتجت عن العلاقات المبكرة بالموضوع . وقد ينتج عن هذا الميكانيزم نتيجتان :

أولا: عدم القدرة على التكامل الليبيدى والعدوان لتمثلات الذات في مفهوم متكامل للذات وهو ما يعكس الذات الواقعية.

ثانياً: العجز عن اندماج الشحنات الليبيدية والعدوانية لتمثلات الموضوع التى تتيح فهم أعمق للأشخاص.

وهاتان النتيجتان تمثلان زملة أعراض تشتت الهوية. (Idenity diffusion)
(kernberg, 1984 : 67)

المرحلة الرابعة: تكامل تمثلات الذات وتمثلات الموضوع وتطور المستوى الأعلى من العلاقة بالموضوع في البناء النفسى الداخلى

تبدأ هذه المرحلة في الجزء الأخير من العام الثالث من الحياة وتنتهى باكتمال الحقبة الأوديبية وتتميز بتكامل الاستثمار الليبيدى والاستثمار العدوانى لتمثلات الذات فى نظام الذات المحدد، وكذلك تكامل الاستثمار الليبيدى والاستثمار العدوانى لصور الموضوع في تمثلات الموضوع " الكلى" ويتأسس في هذه المرحلة الهو والأنا ، والأنا الأعلى باعتبارها أبنية نفسية داخلية ثابتة ومحددة.

أما عن النتائج اللاسوية لاضطرابات هذه المرحلة " فيشير" كيرنبرج" بأنه النموذج المرضى في هذه المرحلة وهو العصاب. خاصةً الهستيريا والحواز والاكتئاب المازوخى والنرجسية حيث يوجد صراع بين الأنا وبين الأنا الأعلى المعاقب شديد القسوة والمتكامل إلى حد ما. وعلي العكس من تمثلات الذات والموضوع الواقعية تتطور تمثلات أخرى للذات المثالية والموضوع المثالى تنعكس في الحالة المثالية المفقودة لتمثلات الذات الموضوع ، حيث

تمثل الذات المثالية، الحالة المثالية المرغوبة للذات والتى تجعل الفرد مقبولا ويعاد تكاملها رمزياً مع الموضوع المثالى (صورة الأم الباكرة المتسامحة والمحبة).

والاستجابة الاكتئابية تشكل الوجدان الذى ينشط عند الشعور بعدم القدرة على بلوغ الحالة المثالية المرغوبة. وهذه الاستجابة تنشط في التوتر الدينامى الذى يتطور بين الذات الواقعية والذات المثالية. وتتميز هذه المرحلة بالتطور المعرفى والتطور الوجدانى وتطور الأبنية التى تمثل العلاقات بالموضوع المستدخلة والتى ترتبط معاً. وحيث تخفض كل هذه العمليات التكاملية من استخدام ميكانيزم الإنشطار، وفى حوالي العام الثالث من الحياة يظهر الكبت (والعزل والإلغاء والتكوين العكسى) كعمليات دفاعية أساسية في الأنا.

ويشير " كيرنبرج " .. إلى المرحلة الباكرة من الأنا الأعلى حيث يشتق بناء الأنا الأعلى الباكر من استدخال صور الموضوع المتخيلة العدائية غير الواقعية والتى تعكس إسقاطا وإعادة استدماج تمثلات الذات – الموضوع السيئة . ومن المحتمل أن هذه الصور تنشأ في نفس الوقت الذى تتفاضل فيه تمثلات الذات – الموضوع الجيدة وتعكس جهود الطفل البدائية لحماية العلاقة الطيبة بالأم المؤمثلة بقلب العدوان الذى يشحن به صورها نحو ذاته . (Kernberg, 1984 : 67, 71)

أما جان لامبل دى جروت فهى تميز بين منشأ الأنا الأعلى المقيد وبين الأنا المثالى. إذ تعد الأنا الأعلى المقيد أساساً أداة للكف والتقييد ، على حين أن الأنا المثالى أصلاً أداة لإشباع الحاجة بينما يرتكزان في تشييدهما حول نفس تمثلات الموضوع (الصور الوالدية) وذلك بالتوحد بالوالدين والصور الوالدية . وتميز " دى جروت" أربع مراحل في تطور الأنا المثالى:

١- الإشباع الهلوسى للرغبة في المرحلة النرجسية (والتى لم يتمايز فيها الذات عن العالم الخارجي بعد .
٢- أخاييل العظمة والقدرة المطلقة للذات بعد أن أصبح الطفل الوليد واعياً بالتمييز بين الداخل والخارج.
٣- أخاييل القدرة المطلقة للوالدين، ومشاركتهم في القدرة المطلقة بعد أن يخبر الطفل قلة حيلته.
٤- تكوين الأخلاق والمثل كأهداف يسعى إلى بلوغها بعد فض الإيهام الخاص بالوالدين المثاليين.

وتقول " دى جروت" أن فى تطور الأنا الأعلى المقيد يمكن أن نميز أربع مراحل:

١- خبرة الأحاسيس اللالذة.

٢- التخلى عن إشباع الرغبة والإذعان لمطالب الوالدين بهدف الاحتفاظ بحبهما .

٣- استدخال المطالب الفريدة من خلال التوحد ببعض المطالب الوالديه أبان المرحلة القبل أوديبية.Preoedipal

٤- الضمير الداخلى، والتقبل الداخلى للتقييدات والعقوبة التى يفرضها الوالدان والبيئة الواسعة من حوله من أجل أن يكفل Guarantee العلاقة الاجتماعية في طبقة أو جماعة أو وسط بعينه. (De Groot, J. 1976: 99 , 100)

أما البناء الثانى للأنا الأعلى فيرى " كيرنبرج" أنه يشتق من الذات المثالية للأنا وتمثلات الموضوع المثالى والذى يعمل في نفس اللحظة حيث يندمج فيه تمثلات الذات والموضوع الليبيدية والعدوانية.ويشكل تكثيف الذات المثالية المرغوبة السحرية وتمثلات الموضوع المثالى نواة الأنا المثالية. ثم تندمج المحددات السادية لمؤذنات الأنا العليا وتكوين الأنا المثالى الباكر والذى يصل إلى ذروة تطوره في المرحلة الرابعة.

ويشير "كيرنبرج" إلى أن تناقض عمليات الإسقاط (التى كانت تستخدم فيما سبق كوسيلة حامية ضد ضغوط الأنا الأعلى البدائى تقود إلى مستوى آخر من أبنية الأنا الأعلى وهى استدخال المطالب الواقعية وتحريمات النماذج الوالدية أثناء المرحلة الأوديبية من التطور.أما فشل اندماج مؤذنات الأنا العليا قبل الأوديبية يعوق استدخال الصور الوالدية الواقعية مما يبقى على الخاصية غير المتكاملة السادية البدائية. (Kernburg 1984 : 67-71)

وقد يحدث الفشل الثانى في التكامل المرضى لنواه الأنا الأعلى السادية والمثالية التى تسودها الخصائص العدوانية مما يتسبب في اكتساب تمثلات الموضوع المثالى خصائص سادية . وفى هذه الحالة يحدث تكامل الأنا الأعلى تحت سيطرة السمات السادية مما تستدعى كبت مفرط للحاجات الغريزية. وبذلك يتكون الشرط الأساسى لتكوين العرض العصابى، وفى ظل الظروف المثالية فإن مؤذنات الأنا المثالى البدائى السادى تندمج وتتكامل وأخيراً فإن الصور الواقعية للوالدين تستدمج في ذروة المرحلة الأوديبية ومن ثم فإن خطوة تكاملية أبعد في التطور يمكن أن تأخذ مكانها، حيث تتأسس هوية الأنا وتتضمن تكامل تمثلات الذات في ذات متكاملة (مفهوم الذات) والتكامل الكلى لعالم الموضوعات الداخلية الذى يشتق من تكامل تمثلات الموضوع الجزئى فى تمثلات الموضوع الكلى واستمرار عمليات الثبات.

وبانتهاء المرحلة الرابعة من التطور تتبعها زمنياً مرحلة الكمون ولقد أشار "فرويد" إلى تشييد القوى الدفاعية الأخلاقية على حساب الحياة الجنسية مع نهاية هذه المرحلة (الكمون). إذ يقول: وأثناء هذه الفترة من الكمون الكلى أو الجزئى تبنى القوى النفسية التى

تكون فيما بعد عقبات في طريق الغريزة الجنسية تحد من تدفقها كما تفعل السدود (الاشمئزاز والخجل ومطالب المثل العليا الجمالية والأخلاقية).

ولعل أهم ما يميز هذه الفترة من الكمون انصراف الغريزة الجنسية عن الأهداف الجنسية وتحول طاقتها إلى أهداف جديدة وهى عملية جديرة باسم التسامى كما تتميز بالتكوينات العكسية التى تبنى السدود النفسية السابقة (الاشمئزاز والخجل ...) .

وتشير " جاكوبسون" إلى التفاضل البنائى لتشيد وشحن تمثلات الذات والموضوع أثناء هذه المرحلة بقولها: يزداد تحييد الدوافع بتكوين الأنا الأعلى وتبدأ فترة الكمون وتتقدم الأنشطة الجسمية والعقلية بسرعة ويتطور التفكير التصورى ويتسع ويتقدم النضج والتنظيم البنائى للعمليات الانفعالية والفكرية مع قدرة الأنا النامية على ربط الطاقة النفسية في شحنات دائمة، وتتزايد التمثلات القبشعورية الواقعية للكائنات الحية والجماد ، ويتشكل عالم الموضوعات العيانية والمجردة. وتستقر بالشحنات الثابتة من الليبيدو والعدوان والقوى المحيدة، ويشيد الأنا الأعلى ويسيطر على شحنات تمثلات الذات ويصبح خوف الأنا الأعلى هو الإشارة الوجدانية القائدة. (Jacobson, 1980 : 61)

ويتطور لدى الطفل مشاعر الهوية ويتدعم لديه الإحساس بالزمن الذى يتبدى في بناء مفاهيم السن، المستقبل، والأهداف المستقبلية والتى تجد مع بداية الكمون تأييدا كبيرا وخاصة من المدرسة كذلك تتطور مفاهيم الانتماء لجماعة الرفاق ، وتلك المشاعر تقوى وضعه الذكرى أما من زاوية تكوين الأنا والأنا الأعلى فإن خبرة الانتماء إلى نفس المجموعة (السن والجنس) لا تدعم فحسب الإحساس بالهوية الشخصية ولكن أيضاً تدعم قبول المعايير الشائعة للجماعة الأخلاقية، الاجتماعية، الجسمية ، والعقلية.

واتصال الطفل بعالم المدرسة يجعله يقدم إعلاءات جديدة ومختلفة ، كذلك توحدات جديدة مع الأقران ،ويتواكب مع معايير الجماعة التى ينتمى إليها والتـى تقـوم علـى العلاقات بالأقران والمدرسين ومجموعة الراشدين وتحدث نقلة من توحدات الطفـل مع الوالدين إلى أشكال وصور السلطة الجديدة، وكذلك فبناء معايير الجماعة والانتـماء لها تساعد على اختبار الواقع الداخلى وأن يعين ذاته الحالية ووضعه المستقبلى الذى يمكـن أن يصل إليه وذلك إذا ما سلك وفقا لمطالب القدوة الخارجية والداخلية. (Jacobson , 1980 : 136-155)

خامساً: ثبات وتدعيم تكامل الأنا والأنا الأعلى

تبدأ هذه المرحلة بانتهاء تكامل الأنا الأعلى وتدريجياً يتناقص التعارض بين الأنا والأنا الأعلى، كما يؤدى تكامل الأنا الأعلى إلى تكامل وتدعيم هوية الأنا.

ويشير " كيرنبرج" إلى استمرار هوية الأنا في التطور من خلال إعادة التشكيل الدائم للخبرات مع الموضوعات الخارجية في ضوء تمثلات الموضوع الداخلية وكذلك تمثلات الموضوع في ضوء الخبرات الواقعية مع الآخرين . وبالتالى فإن مفهوم الذات يعاد تشكيله على أساس الخبرات الواقعية مع الآخرين والخبرات مع عالم الموضوعات الداخلية.

فالذات المتكاملة، وتمثلات الموضوع المستدخلة والمعرفة الواقعية بالذات يدعم كل منهم الآخرين. وكلما تكاملت تمثلات الذات، كلما تطابق إدراك الذات في أى موقف للواقع الكلى للفرد في تفاعله مع الآخرين. وكلما تكاملت تمثلات الموضوع، كلما زادت القدرة على التقدير الواقعى للآخرين وأعيد تشكيل التمثلات الداخلية للفرد على أساس من التقديرات الواقعية. (Kernberg 1984 : 72 , 73)

ويصبح العالم المتناغم من تمثلات الموضوع المستدخلة لا يتضمن فحسب الآخرين من الأسرة والأصدقاء الحميمين ولكن يشتمل أيضا على الأيديولوجية الثقافية الحضارية. وهذا العالم الجديد النامى مانح الحب والسند والدعم والإرشاد يشكل نظام العلاقة بالموضوع داخل الأنا ويعطى عمقاً في التفاعل الراهن مع الآخرين.

أما في حالات الأزمات ، والفقدان والهجر، والانفصال، والفشل والوحدة فإن الفرد يمكنه أن يلجأ إلى عالمه الداخلى ، فيعود الفرد إلى عالمه الداخلى وبذلك فإن البناء النفسى الداخلى وعالم الموضوعات والعلاقات الشخصية المتبادلة، يرتبط ويدعم كل منهما الآخرين .

وبمعنى آخر فإن الإمدادات الداخلية التى يمتلكها الفرد لمواجهة الفشل والصراع ترتبط بمدى نضج وعمق العالم الداخلى للموضوعات ، حيث نجد أن الأشخاص الذين اتجهوا بمشاعر حب ناضجة تجاه الآخرين تمكنوا من أن يحافظوا على صور تمنحهم الحب والأمان في أوقات الخطر و الفقدان والفشل. وتظهر الملاحظات الإكلينيكية كيف أن الثقة في الذات تعتمد على تأكيد الحب من الموضوعات الجيدة المستدخلة. ولذلك فإن جانباً من النكوص في خدمة الأنا هى تنشيط العلاقة بالموضوع المستدخلة الجيدة والتى تمد الذات بالثقة الأساسية. حيث تشتق هذه الثقة الأساسية بطبيعة الحال من الإستدخال الأول لتمثلات الأم المشبعة الموثوق بها في علاقة بتمثلات الذات المحبة، المشبعة.

وبعكس ذلك نجد أمثلة الفشل في نمو علاقات سوية بالموضوع في حالات الشخصية النرجسية، التى تجد صعوبة في استدعاء ليس فقط الأشخاص الواقعيين في الماضى ولكن أيضاً في استدعاء خبراتهم الذاتية مع هؤلاء الآخرين . فالغياب المزدوج

لتمثلات الموضوع الكاملة والمستثمرة ليبيديا ولمفهوم الذات الكاملة والمستثمرة ليبيديـا يؤدى إلى الإحساس بالخواء خاصة لدى الشخصيات النرجسية والبينية.

إن عمليات التكامل، وانصهار العلاقات بالموضوع ثم تكاملها في بناء الأنا، والتفرد تمثل النتائج البنائية للعلاقات بالموضوع المستدخلة ليس فقط في الأنا الأعلى ولكن أيضاً في الأنا، ويتضمن التفرد الاستبدال التدريجى للاستدماجات البدائية والتوحدات بالتوحدات الجزئية المتسامية التى تتلاءم مع المفهوم الكلى للذات.

ويشير " كيرنبرج" إلى نقطة هامة وهى أن البناء الشخصى الذى يمثل الجوانب السلوكية السائدة لهوية الأنا له علاقة وثيقة بمفهوم الذات ، فكلما ازداد مفهوم الذات اندماجا وتكاملاً كان البناء الشخصى أكثر تناغما وتوافقا ، حيث يتضمن النمو الإنسانى إعادة تشكيل العالم الداخلى على أساس خبرة العلاقات الشخصية المتبادلة . (Kernberg, 1984 73 : 76)

ثالثاً: تأثير الوالدية على نمو البناء النفسى

تقول جاكوبسون jacobson : على الرغم من أننا نعرف على نحو كاف التأثير الوالدى على التطور الطفلى فينبغى أن نركز على جوانب بعينها، فمن المؤكد أن هدف التعليم يمكن بلوغه فحسب في مناخ من الحب والرعاية الوالدية مع إثارة وإشباع ليبيدى كافى. وطالما أنه يزكى التشييد الثابت للشحنات الليبيدية الثابتة لكل من الموضوعات والذات، فإن الحب الوالدى هو أفضل كفيل لتطور ثبات الذات والموضوع. والعلاقات الاجتماعية الصحية وعلاقات الحب، والتوحدات الأخيرة من أجل التكوين السوى للأنا والأنا الأعلى.
(Jacobson 1984 : 55)

ويقول هارتمان ولوفنشتين : عن أصول الأنا الأعلى الباكر " إن المحددات النفسية الباكرة النوعية في تكوين الأنا الأعلى يمكن أن نجدها في العلاقة بالموضوع".
(Hartmann Loewenstein 1961 : 45)

ويرى وينيكوت Winnicott : إن استمرارية وثبات وإمكانية الانشغال بأمور الطفل أى الرعاية الأساسية للطفل إنما تفضى إلى " الاستمرارية" في وجود الطفل بوصفه كائنا إنسانيا متفرداً الأمر الذى يؤدى إلى تشييد الذات self . ويستطرد وينيكوت فيقول : إن تدعيم الأنا بالرعاية الأمومية يمكن الطفل الوليد من أن يعيش وينمو.. أما المريض فلم يقابل صدق في الرعاية في طفولة. (Winnicott 1960 : 85)

الحرمان من الأم

إن فقدان الأم والحرمان منها ينطويان على مخاطر شديدة تؤثر على تكوين شخصية الطفل ففقدان الطفل لأمه فقدا تاما يجعل أمره يوكل إلى أقارب أو دور رعاية يختلف فيها أسلوب رعاية الطفل عن أسلوب رعاية الأمهات لأطفالهن.

ولقد أوضح Bowlby أن الحرمان من العلاقة مع الأم في مراحل النمو المبكرة يؤدى إلى عدم إنماء وتقدم القدرة على إقامة علاقة حب مع الآخرين ويرى بولبى أن العرض الأساسى لهذا الحرمان من الأم هو انعدام العاطفة affectionnless أو التبلد مشيراً إلى عدم القدرة على إقامة التواصل مع الآخرين.

كذلك يرى بولبى ... أن الانفصال المبكر والطويل الأجل (للأطفال الصغار) عن أمهاتهم كان سببا أوليا لنمو سمة (الجناح) (Dellinquency) وقد انتهى spitz ١٩٤٩ الى أن انعدام التفاعل الاجتماعى والعاطفى بين الأم والطفل مسئول إلى حد كبير عن تأخر المهارات العقلية والقصور فمن شأنه أن يشكل الشخصية الجانحة للطفل المحروم من العطف والحب ويرتبط كذلك بمستوى التحصيل الدراسى ودرجات اختبار الذكاء والشعور المنخفض بالحرية الشخصية .

وتوضح نتائج دراسات Paul R. Amato أن مواجهة الانفصال عن أحد الوالدين خلال مرحلة الطفولة يعتبر مرتبط باكتئاب عالى بين البالغين واشار Amato الى أن تلك النتائج تتفق مع نتائج كل من:

Schooler 1972 Kulka and Weingorten 1979, Gleen and Kramer 1985, Amato 1988 and Booth 1991
(Paul R. Amato 1991: 552)

كما يشير تراث التحليل النفسى (الخاص بالعلاقة بالموضوع) إلى أن اضطراب العلاقة بالأم يؤدى إلى اضطراب العلاقة بالواقع مما يؤدى بالطفل إلى المرض بالذهان في الطفولة والذى تطلق عليه مارجريت ماهلر " الذهان الذاتوى" (Autisticpsychosis) وهو ينتج من افتقاد الطفل للعلاقة الأولية المشبعة مع الأم.

وفى معظم الأمثلة التى طرحها Winnicott والتى تأخذ صورة الأم المكتئبة Dipprissed التى بدلا من الاستجابة لاحتياجات الطفل تطالب باستجابته هو نحو احتياجاتها ، تنتزع التأقلم والطاعة من الطفل. وهذا ما يصفه Winnicott بأنه حرمان من الأمومة.

ويفرق وينيكوت بين الحرمان أو الانتزاع وبين العوز أو الفقد وهو يقصد بالمفهوم الأول ذلك الفقدان الثانوى من قبيل الحرمان من الأم بعد أن يكون الطفل قد كون علاقة بها. أما المفهوم الثانى فيشير إلى حرمان تام أولى منذ بداية الحياة.

ويرسم وينيكوت لوحة إكلينيكية لأولئك المرضى " مجموعة الذات الزائفة" الذين يظهرون انحرافات في علاقاتهم الباكرة بالموضوع ، فمن الناحية الوصفية يشير إلى مجموعة من المرضى ليسوا عصابيين ولاهم بذهانيين أو مرضى بينين بالمعنى الذى يقدمه kernberg ولكنهم (مرتابين غير واثقين دون أن يكونوا بارانويين وهم منسحبين دون أن يكونوا فصاميين. (Rosalind Mimsky 1996 : 117 ,118)

وقد افترضت أنا فرويد Anna Freud أن المحللين النفسانيين في الغالب نسبوا القدرات غير الملائمة للفشل التكوينى ، إلى تلك الرعاية السيئة ، ففى تلك الفترة المبكرة من الحياة فإن تصرفات الأم الليبيدية وارتباطها بالطفل تفرض نموا اختياريا لبعض الإمكانيات وتعوق أو تفشل في إثارة ودفع النمو الخاص بإمكانيات أخرى . و نوعية الرعاية تحدد نمو الذات والصورة الذاتية self-image الوجدانية الأساسية للطفل والإحساس بالطيبة والشر، والصواب والخطأ، فإن السمات الأساسية لإحساس الفرد بذاته تنمو من خلال العلاقة المبكرة. (Nancy Chodorow 1979 :58)

وتوضح بحوث الارتباط Attachment أن الأفراد الذين لديهم علاقة غير آمنة- تتضمن الفقدان أو توقع الرفض- سيكونون آباء أقل كفاءة، ويسجلون مستويات منخفضة من الرضا ومستويات عالية من الصراع في علاقات جنسية غير متجانسة، ويكون لديهم مفاهيم ذاتية أكثر سلبية لأنفسهم ويميلون لتنمية اضطرابات اكتئابية في الحياة اللاحقة.

(إيمان فوزى ١٩٨٥ ، محمد بيومى على ١٩٨٠)

Beck 1979, Brewin, Firth-Cozens, Furnham and Mcmanus 1992 Brown and Harris 1978, Cassidy 1986, Levy and Davis 1988

(ورد فى Nuran Hortacsu etal, 1983)

وقد أوضحت بحوث الحرمان الأمومى أن غياب أو تمزق العلاقات مع الراعى الأول قد يكون لها عواقب معرفية ووجدانية للأطفال.(Jane D. Mcleod :1991:206)

الحرمان من الأبوة

في طرف من اضطراب الشخصية ، لابد أن نعثر دائماً على موت الأب "جاك لاكان"

الأبــوة

وإن كانت الأمومة إنتسابا طبيعيا فإن الأبوة نتــاج حضارى واكتشاف تاريخى يندرج في نطاق ما هو ثقافى ، صحيح أن الأصل انتساب طبيعى ولكنــه اكتسى بشكل حضارى اجتماعى ثقافى . فإن المرأة تصبح "أما" بواسطة ومن خلال عملية بيولوجية ، وهى عملية تنتمى إلى النظام الطبيعى ، فإن الرجل يصير " أبا" بواسطة نظــام رمزى ينتمى إلى النظــام الثقافى والاجتماعى . فالمرأة عندما تحمــل طفلاً في أحشائهــا فهى تمارس فعلاً طبيعياً ، أما منح الرجــل اسمـــه لطفله فهو فعل ثقافى تحدده المعايير في مجتمع معين. وبهذا فإن كانت الأبوة الرمزية مسجلة ومحـــددة بإطار إجتمــاعى ثقافى ومن خلال وساطة أبنية القرابة تلك التى يمنح الطفل بفضلها اسم أبيه، ذلك الاسم الذى يؤسسه ذاتيــا ويمنحـــه الاعتراف الشرعى ، فإن هذه الأبـــوة الرمزية محفورة فيتلك الاجتماعية التاريخية التى أدت إلى الانتقال من عصر الأمومة إلى عصر الأبوة. (Muldworf 1972:5 - 17)

ويقول صفوان : الأب هو الوسيط الأول الذى يتدرج من خلاله الطفل في المحيط الاجتماعى الأوسع، والتوحد بالأب هو جوهر العملية التى يصير بها الإنسان عضوا في الجماعة ، بل كائناً إجتماعياً على الإطلاق وهو الذى يورث الفرد نظاماً من أهم أنظمة الشخصية وأعنى به ما عرف بيننا باسم الأنا العليا. (مصطفى صفوان ١٩٥٨ ، ٢٩)

ويشكل الأب مبدأ الحياة البشرية فهو رمز السلطة والقدرة أى أنه –منذ فجر الحياة– يمثل القانون الإجتماعى عبر منعه تحقيق إشباع الرغبات غير الملائمة مع المعطيات الاجتماعية. وبدون هذا المنع لن يتمكن الطفل من تحقيق انبنائه النفسانى أو الاندماج مع ثقافة مجتمعه نظراً لحاجته الماسة إلى قانون ، ومرجع يرسم له الحدود الواجب التزامها وعدم تخطيها، وكون الأب محبوباً. ويسهل الغياب الأبوى بالفعل "جنوح" الطفل عن المجتمع". (كريستين نصار ١٩٩٣ : ١٤)

ويقول عبد الله عسكر: "إن لفظ الأب ، يدل على العديد من المعانى، فلكل شيء أب، للأشياء والأشخاص " والوجود بعامة، ولكن في سبيل التحليل النفسى، فإن مفهوم الأب قد أخذ معانى كثيرة فهو ذلك الوالد ذو البعد الذكرى الإخصابى المباشر، وهو ذلك الحامى والرقيب، هو ذلك المثال الواعد، هو ذلك المعلم والقائد والبطل". (عبد الله عسكر ١٩٩٧ ، ٦٤)

إن مفهوم الأبوة الرمزية هذا يقودنا إلى الصور Figures المختلفة للأبوة على المستوى الاجتماعى والثقافى وما تنطوى عليه هذه الصور من جوانب سيكولوجية وما تنطوى عليه أيضاً من جوانب أيديولوجية وسياسية، فإن كانت الصورة الأبوية تناظر استدخال علاقة الأب بالطفل فمن ثم فهى تناظر ذلك الذى يستطيع في السياق الإجتماعى أن يكون على وجه الدقة صورة الأب كالمعلم ورئيس الدولة والطبيب وإن كان هناك صورة أبوية تسمو فوق الجميع فهى بالقطع صورة الله.

وإذا ما انطلقنا من البديهات الثابتة بأن الأم محرمة – وهذا ما يمكن تعميمه على كل المجتمعات فبحسب نظرية ليفى شتراوس الأنثروبيولوجية حول البنيوية في العائلة فلا يوجد مجتمع حضارى من دون تحريم الأم ولا يوجد تحريم للأم في مجتمع حيوانى، ولا يمكن أن يوجد تحريم الأم دون أن يتبع ذلك ولادة مجتمع إنسانى.

وإذا ما إنطلقنا من قانون تحريم الأم، فلابد إذن من محرم لها يقف حائلاً دون رغبة الابن الإثمية ، وإذا كان الأب هو المانع الملزم فليس إلا لأنه يعبتر الأم، الزوجة من حق ملكيته الجنسية مما يسبب عند الابن ارتداد نموه بشعور عدوانى لا مهرب منه أى تكون قد تمت العلاقة الثلاثية الأب – الأم – الابن. وهذا ما يشكل القاعدة الأساسية للبنية الأوديبية. (عدنان حب الله ١٩٨٨: ٩)

ويقول فرج أحمد : إن وجود الأب هو الذى يدعم هذا الانفصال فهو يفصل الطفل عن الأم ويقدم نفسه للطفل كوسيط يتعين به، ويتحول من خلال هذا التعيين الذاتى من وجود بيولوجى غفل إلى وجود إنسانى.

وهنا تبرز جدلية دور الأب (الفصل – الوصل) فهو يفصله عن الأم لكى يصله بها فيما بعد على مستوى رمزى أرقى وفى بعد مستقبلى تتجسد فيه الأم في أدوارها الرمزية في رشده (الزوجة والحبيبة) وبهذا فوظيفة الأبوة هى أنسنة العلاقات الطبيعية بالأم. واعداده للعلاقة الإنسانية الثقافية الحضارية بالمرأة (فرج أحمد فرج د . ت)

وإن كانت المكانة الاستراتيجية لوظيفة الأبوة (التدريب النوعى على الإشباع المرجأ) فإن لهذا التدريب نتيجة مزدوجة وهى ظهور الأب القائم بالتحريم (أى بوصفه ممثلا للسلطة).

أما الجانب الثانى وهو الانتقال من عالم الحسيات إلى العالم العقلى فهو انتقال من العالم المباشر إلى العالم غير المباشر أى عالم التجريد والمجرد. فالأب إذن يدخل الطفل (في نفس الوقت ومن خلال نفس الخطوة) عالم السلطة وعالم الفكر.

وبهذا نجد أن الطابع العميق والأساسى لسلسلة بأسرها من الأفكار المتصلة بوظيفة الأبوة تعبر في الواقع عن وقائع جوهرية في نمو النفس. فالأبوة على المستوى المعُاش le vecue subiective الذاتى هى نتاج تآلف (وتسوية) بين النماذج الأبوية المستدخلة من جانب الذات وما ينتمى إلى النماذج الاجتماعية الثقافية السائدة ، فسيادة نمط اجتماعى ثقافى سيكون له أصله في الميكانيزمات اللاشعورية التى تنظم استدخال الصور الوالدية. فيكون المرء متمثلا أو غير متمثل في علاقة بنمط إجتماعى ثقافى معين يكشف على نحو جزئى عن هذه الميكانيزمات اللاشعورية. (Muldworf 1972 : 53-59)

وإن كانت السلطة الأبوية تنطوى على حشد هائل من الدلالات السيكولوجية (القاعدة والقانون والأمن والحماية والقوة المساندة) فالواقع أن السلطة الأبوية بوصفها – على نحو ما – القوة الخارجية ، تقدم الحماية للطفل من نفسه ذاتها وذلك في مواجهة دفعاته الداخلية وفى مواجهة أيضا مبادراته إزاء العالم الخارجى وما تتسم به هذه المبادرات من فوضوية وتفكك لذلك فهذه السلطة لكى يكون لها طابعها الإيجابى، فهى في حاجة إلى التسامح والصبر وحسن النوايا لتتوازن على نحو يسمح للطفل بإدراك ضرب من الحرية المضبوطة ، أى الإحساس بالأمن.

ويرى Muldworf أن هذه الصفات (التسامح والصبر وحسن النوايا) لا توجد على نحو تلقائى أو فطرى وإنما تكتسب بالخبرة والنضج الفردى من جانب الأب.ومن ثم يبرز الدور الكبير الذى تلعبه سلطة الأب في تكوين الضمير والأنا العليا بناء على استدماج الطفل لشخصية الأب بوصفه ناقل الشعور بالنظام الاجتماعى وممثل لقانونه، " والحامل " المعلن أو المضمر للأخلاق والروحانيات ويرى Muldworf أن السلطة الأبوية في أعماقها مخاطرة تنطوى عليها كل عملية تعليم ، ولذلك فقد يفهم أنها تنطوى بسبب ذلك على مخاطر التجاوز والتشويه.

وإن كان كل تعلم في جوهره هو " تدريب علي الحرية" وأن تبدى قيدا على الحرية فإن هذا الإدراك المحبط للأب من جانب طفله هو ما لا يستطيع الأب الضعيف إحتماله، فهو لا يقبل أو لعله يعجز عن القيام بدور من يفرض الإحباط على من يحب نتيجة حبه النرجسى الناكص لإبنه. (Muldowrf :1972 :64 – 71)

هذه الحاجة للأب وخطورة انعكاساتها على نمو الأطفال الناشئة تبدو بأجلى معانيها عند أندريه موروا Maurois الذى وصف نشأة الجنوح la de linquance بشكل حى ملموس حين قال " ولدت الجنوحية ليلة اندلاع الحرب بغياب والدها الذى لم

تر فيه سوى جندى أو غاز عنيف يمر أمامها، لذا، فهى تحب والدتها أكثر من أى شيء آخر في هذا الوجود، هذه الوالدة الكئيبة ، التعسة والعاجزة عن مراقبتها كما ينبغى. لكن الحب دون نظام يرسم له الحدود التى ينبغى أن يتوقف عندها (كما هو حال حب الأم بغياب الأب) ويبقى عاجزا عن فرض النظام على ذلك المتوحش الصغير الذى إذا لم يتعلم كيفية احترام القوانين الضيقة الإطار والعادلة يعود إلى حالة البدائية.

وظيفة الأب

للأب وظيفة مباشرة وأخرى غير مباشرة فالوظيفة غير المباشرة هى الوظيفة التى يؤديها الأب كزوج يؤمن لزوجته الإحساس بالطمأنينة والأمان اللذين هى بأمسّ الحاجة إليهما كى تتمكن من القيام بدورها كأم متفرغة لطفلها آمنه وسعيدة في حياتها. فالأب هو بالنسبة إلى الطفل ذلك الشخص الذى يدركه من خلال ذاتيته الخاصة به، خصوصاً من خلال ذاتية الأم وعلاقتها به كزوج – أب.

أما الوظيفة المباشرة وهى الأهم حيث نستطيع تمييز عدة عناصر:

١- الأب كمنظم في العائلة، للمسافة التى يجب أن تبعد الأم عن طفلها من الناحية النفسية.

٢- الأب كمنافس في المرحلة الأوديبية.

٣- الأب كأول وجه يتعرف عليه الطفل وعن كثب بعد تعرفه على الأم .

* الأب كمنظم للمسافة حيث يؤمن الشعور بالأمان والعاطفة للأم حتى يتسنى لها عدم التعلق بطفلها والرغبة في امتلاكه فتتمكن بالتالى من توجيه الطفل نحو الاستقلالية الذاتية التى هى المبدأ الأساسى لبلوغ الطفل سن الرشد الحقيقى.

*الأب كمنافس في المرحلة الأوديبية حيث تشكل المرحلة الأوديبية مرحلة هامة ضمن إطار مراحل النمو عند الطفل وهى تركز على عناصر مبدئية أهمها التجاذب: Lambivalence أى تجاذب الطفل بين مشاعر متناقضة بالنسبة إلى القريب الذى هو من جنسه، بمعنى أن الطفل ينافس والده على حبه أمه ثم يتخذه مثالا أعلي يتماهى به . (كريستين نصار ١٩٩٣: ٢٥- ٣٠)

وإن كان وجود الأب هو الذى يطرح إشكالية (الموقف الأوديبى) بوصفه ذلك البنيان السيكولوجى العام المكون لكل شخصية ، والذى يتميز بحكم طبيعته الجوهرية بأنه نتاج قيد "Contrainte" وأنه يحمل في ثناياه حدود ظروفنا الإنسانية ، فإن الموقف الأوديبى هو الذى يقود إلى " قيد المحارم" وبهذا فالارتباط بينهما جوهرى تكوينى. أنهما وجهان لشيء

واحد (تنظيم الحياة الجنسية) أولهما فردى والآخر اجتماعى وبهذا فإن كان البنيان الأوديبى هو القيد أو الإلزام الأساسى الذى يصبح الكائن الإنسانى بفضله كائنا إنسانيا، فإن قيد المحارم هو في ذات الوقت القاعدة المطلقة التى تصبح بفضلها المجتمعات مجتمعات إنسانية.
(Muldworf 1972:26-27)

ويشير أتوفنيكل لعقدة أوديب فيقول : إن عقدة أوديب هى نتاج للأسرة كنظام إجتماعى، وتتغير بتغير هذا النظام الاجتماعى ولقد تبين بالدراسات أن المجتمعات التى يختلف فيها النظام الأسرى عنه عندنا لديها عقدة أوديب مختلفة.

ويرى أن عند كلا الجنسين يمكن إعتبار العقدة الأوديبية ذروة الجنسية الطفلية. فإن النمو الشبقى ابتداء من الشبقية الفمية ماراً بالشبقية الأستية إلى الإنسالية وكذلك نمو العلاقات مع الموضوع ابتداء من الإدماج، ماراً بالإدماج الجزئى وتناقض العاطفة، إلى الحب والكراهية كلاهما يتقمم في الحفزات الأوديبية هذه التى تعبر عن نفسها كقاعدة في الاستمناء الإنسالى المحمل بالإثم. والتغلب على هذه الحفزات، كى تتخلى عن مكانها للجنسية الراشدة هو الشرط الضرورى للسوية، بينما التشتت اللاشعورى بالنزعات الأوديبية يميز الشخصية العصابية . (أوتوفنيكل ١٩٦٩ : ٢٣٦ – ٢٥٢)

ويرى ديديه أنزيو أن مشكل أوديب هو مشكل النسب ، أنه يتساءل ممن ولد، وكاهنة الوحى تجسيد مادى للصوت الداخلى، جعلته يطرح على نفسه السؤال، وفى ذلك يكمن جانب من المشكل الذى يلاحق الأطفال جميعهم : من أين يأتى الأطفال.
(ديديه أنزيو :ترجمة وجيه اسعد ١٩٩٦ أ : ٣٧)

ولكى يصبح الكائن البشرى ذو الجنس الأنثوى امرأة، ولكى يصبح الكائن البشرى ذو الجنس الذكرى رجلا، يلزم بالإضافة إلى نضج الأجهزة البيولوجية أن يكون في مقدور الفرد أن يكتسب على المستوى السيكولوجى والوجدانى خصائص جنسه ومسئوليات هذا الجنس، وذلك من خلال موقعه السيكولوجى والذاتى من خلال علاقاته بوالديه، وبهذا فالأب ليس مجرد أداة للإخصاب الطبيعى أو الصناعى، إنما يمثل الجنس الذكرى ، ومن ثم فوجوده في ذاته يسهم في بناء شخصية الطفل لأنه يؤدى له خدمة تلزم نموه النفسوجدانى.

ويرى عسكر بقوله : .... وفى إطار العلاقة السوية فإن الطفل مضطر للتنازل عن ثدى الأم والتضحية نظرا لقوة القانون والدور الإجتماعى للأب، ونظرا لنقص كينونته حيث يعيش قلق الخصاء الذى يعد في البداية توهما خياليا.. وبالتالى لا يعد التهديد بالخصاء أو معايشة خبرة الخصاء مجرد حادثة نفسية مرضية إنما غيابها هو ما يحيل الشخص إلى الخصاء الفعلى – الخصاء الثقافى الذى يحرم الكائن البشرى من الدال القضيبى الثقافى الذى

يجعله عضوا معرفيا فعالا يخصب الأرض واللغة ، ذكرا كان أم أنثى، والمكاسب التى تتحقق عبر هذه المرحلة هى التوحد بالأب واكتساب الاستعارة الأبوية ، حيث لا يكون التوحد بالأب توحدا شاملا بل يقتصر على ميزه من ميزات الأب. وتصبح الرباط الموحد بينهما والنواة المكملة لمثال الأنا. (عبد الله عسكر ١٩٩٤: ٥٨ ، ٥٩)

أما المخرج السلبى لمسار عقدة الخصاء فبدلا من أن يتماهى بالأب يتماهى بالأم ويتحول موضوعه الجنسى من الأم إلى الأب، حيث يحاول التشبه بالأم، لكى يحصل من الأب على الذكر التعويضى. وهذه تكون النواة لاضطرابات عصابية وانحرافات جنسية مثلية وفى كلا المخرجين : السلبى أو الإيجابى ، تؤدى العملية إلى فقدان الذكر ففى الإيجابى، يستغنى عن وظيفة ذكره الجنسية، وهذا ما يسمى بالخصاء الرمزى (أى تحتفظ بذكره سالما بعد أن تم تعطيل وظيفته المحرمة) فتكون العملية قد حولته عن المحرمات، ولا يبقى هناك مبرر لخوفه من التهديد بالخصاء ، لأن هذا التهديد كان مرتبطا أصلا بتعلقه الشبقى المحرم بالأم. فانفصاله عن الأم ، وتحويل الدوافع الليبيدية عنها يؤمن له سلامة ذكره ، وبعدها يدخل الطفل حالة الكمون حتى البلوغ حيث تعود التيارات الليبيدية إلى الظهور فى اتجاهات مغايرة للسابق ، أى تتحول من غرضها الأساسى لكى تختار غرضا خارجيا جديدا.(عدنان حب الله ١٩٨٨ : ٨٦)

وظائف عقدة أوديب

١- وظيفة اختيار موضوع الحب، على اعتبار أن هذا الاختيار يطل بعد البلوغ متأثرا بتوظيفات الموضوع والتماهيات التابعة لعقدة الأوديب، ومتأثرا في الوقت نفسه بمنع تحقيق العلاقة الجنسية بالمحارم.

٢- وظيفة العبور إلى الحياة التناسلية على اعتبار أنه لا يحقق من خلال النضج البيولوجى وحده ، ويفترض التنظيم التناسلى تكريس أولوية القضيب التى يتعذر حدوثها بدون حل الأزمة الأوديبية بواسطة التماهى.

٣- وظيفة التأثير على انتباه الشخصية وتكوين أركانها المختلفة وخصوصا الأنا الأعلى والمثل الأعلى للأنا.

ولا يمكن أن يتجاوز الولد الأوديب ويعبر إلى التماهى بالأب إلا إذا اجتاز أزمة الخصاء أى إلا إذا حظر عليه استخدام عضوه الذكرى كأداة لرغبته في أمه فلابد من رد عقدة الخصاء إلى النظام الثقافى حيث يتلازم الحق في بعض الممارسات دوما بممنوع معين يقابله. (جان لا بلانش و. ج. ب. بونتاليس ترجمة مصطفى حجازى ١٩٨٥:٣٦٤).

ويرى لا كان أن اسم الأب يلعب دوراً أساسياً بل محورياً في انشطار الأنا وتكوين اللاشعور (الذات). فموقع الأب الاجتماعى ودوره الموروث في التسلسل العائلى من حيث أنه المجاز الملتزم باسمه يبقى هو السائد في مجتمع أبوى للتعريف عن الفرد بالنسبة إلى المجموعة التى يتعايش معها . واسم الأب إن كان يحدد القانون الذى يلتزم به كل من الذكر والأنثى على السواء فهذا القانون يعتمد بالدرجة الأولى على التحريم للإثم كأساس في العلاقة الجنسية.وانطلاقا من هذا التحريم تتوطد العلاقات الاجتماعية والمصالح المتبادلة .

أثر الحرمان من الأب

ينطلق الإحساس بالأمومة من علاقة ثنائية بينما ينطلق الإحساس بالأبوة من علاقة ثلاثية. وبتعبير آخر يمكن القول: بإمكان الرجل ممارسة الجنس مع المرأة دون أن يهتم بثمرة هذه العلاقة أى بالطفل إذ تبقى علاقته به متوقفة على نوع العلاقة التى سيقيمها مع الأم لدرجة يمكن القول معها ،أى مع بدء الإحساس بالأبوة، إن الزوج سر الأب. Tel mari, tel pere" " فالأب هو قبل كل شيء رجل يحب زوجته وإن اتخذ هذا الحب طابع شخصية كل من الزوجين وميولهما، ثم إن الإحساس بالأبوة هو سياق تطورى ينفلت تدريجيا من إطار الإحساس الزوجى) (كريستين نصار ١٩٩٣ ، ٢٠ ، ٢١)

ويحدث الحرمان الأبوى – كليا كان أم جزئيا فيزيقيا أم معنويا –اضطرابات شتى من شأنها تهديد طمأنينة الطفل النفسية ويترجم هذا التهديد، عموماً عبر مظاهر متنوعة مثل : اضطراب صورة الذات الموازى، إجمالاً لاضطراب الصورة الوالدية (صورة الأم بالأكثر صورة الأب) كذلك يكون الحرمان الأبوى المسئول الأول عن حدوث اضطرابات أخرى مثل : اضطراب الهوية الجنسية، الصراع الأوديبى، تجاذب المشاعر الانطواء النرجسى على الذات، النكوص والانهيار الداخلى ومشاعر الاكتئاب والعدوانية.

إبراهيم الدسوقى بدر ١٩٨٢، جوزيت عبد الله ١٩٨٨، عبد الجابر عبد اللاه عبد الظاهر ١٩٩٠ ، محمد أشرف أبو العلا ١٩٩٤، عماد على مصطفى ١٩٩٢.

(Covell, K, et. al 1982) Nuran hortacsu et al 1993) tro cchio – thomas – michael 1981)

إن حضور الأم بكل ثقلها يجعل منها شخصاً كامل القدرة (يتسم بالقدرة المطلقة) نموذجا قادرا على العطاء بلا حدود..و لذلك فإن توفير الأم للغذاء والعناية والحماية والحنان واللذة يجعلها بالضرورة موضوع الحب الأول وتكون الإجابة على حب الأم هى حب الطفل ، ذلك أنه يلتمس من خلالها وجوده هو ذاته.

ويرى ميلدوف أن الأب المنجب ليس هو الأب، إنه مجرد وسيلة طبيعية ضرورية بيولوجية لبداية حياة (عبر إخصاب حيوانه المنوى للبويضة) .ويرى أن الرجل الذى يعيش مع امرأة يمثل صورة image أبوية بالنسبة للطفل حتى لو كان هذا الرجل ليس هو الأب البيولوجى لهذا الطفل،وهذه الصورة الأبوية النموذجية paternal image هى التى يستدخلها الطفل ويستبقيها في ثنايا نفسه.. فهذا الرجل بالنسبة للطفل هو الممثل Representative لوظيفة الأبوة ، وتلك التى تمثل ضرورة نمو بالنسبة للطفل.

(Muldwarf 1972 : 15 –23)

الفصل الثالث

الدراسات السابقة

أولاً: الدراسات العربيـــة.

ثانياً: الدراسات الأجنبية.

ثالثاً: فروض الدراســـة.

مقدمة

يعد الاطلاع على الدراسات السابقة من قبل الباحث خطوة هامة وجوهرية على مستويين :

المستوى الأول : الوقوف على آخر ما وصل إليه البحث العلمي في تناول موضوع الدراسة ، مما يخدم هدف التنوير وعدم التكرار .

المستوى الثانى : اتخاذ نتائج الدراسات السابقة نبراسا ومنارا يهتدي به الباحث في تفسير ومناقشة نتائج دراسته عبر حوار ديالكتيكى بين اتفاق واختلاف وصولا في النهاية إلى الفهم المتعمق الشامل لموضوع الدراسة .

وبالرغم من أهمية موضوع الدراسة والكم الهائل التي تذخر به المكتبة العربية من دراسات وبحوث تناولت أهمية دور الأسرة في نمو الطفل وتطوره السليم إلا أنه بالنسبة لدراستنا الحالية لم تجد الباحثة سوى دراسة واحدة تناولت متغير موضوع الدراسة بصورة غير مباشرة (أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسي للطفل).

ومن ثم حاولت الباحثة - حتى لا تتهم بالتقصير - عرض الدراسات التى تعرضت لموضوع الدراسة من خلال عرض هذا الفصل ومن خلال فصل الدراسة الميدانية من حيث عرض النتائج ومناقشتها .

وإن كانت هناك نقطة منهجية دائما ما تثار، وهى صعوبة تطبيق نتائج الدراسات الأجنبية في مجتمع آخر، وخاصة المجتمع المصري ، نظرا للاختلاف الثقافي الحضاري والبنية الأيديولوجية العقائدية .

فنحن نرى أن هذا يتوقف على وعى الباحث في أن يفرق بين ماهو عام مشترك بين الأفراد - أيا كان المجتمع الذى تجرى فيه الدراسة - وما هو خاص بأفراد بعينهم وفقا لمنظور حضارى وثقافى معين . وما هو عام مشترك قدر لا يمكن تجاهل الاستفادة منه.

أولاً : الدراسات العربية

📖 ضحى عبد الغفار المغازى ١٩٧٦

المواليد غير الشرعيين والمجتمع دراسة اجتماعية للمواليد غير الشرعيين في جمهورية مصر العربية

هدفت الباحثة إلى دراسة المواليد غير الشرعيين داخل المؤسسات الإيوائية وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها (٤٣) طفلا غير شرعى ممن يبلغون الثانية عشر من العمر وقد تم اختيار العينة من سبع مديريات للشئون الاجتماعية الممثلة لمحافظة القاهرة . وكذلك عينة من الأمهات غير الشرعيات المترددات على دار حماية المرأة والطفل خلال (١٨) عاما من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٧٣ وكان عددهن ١١٧ وقد استخدمت الباحثة استبيانا خاصا بالأطفال غير الشرعيين داخل الأسر البديلة ، واستبيانا خاصا بالأسرة ذاتها ، ومقياس الملاحظة (سلوك الطفل مع الأم) ، والسجلات الإحصائية ، والملفات للأطفال غير الشرعيين والأمهات غير الشرعيات . وكشفت نتائج الدراسة أن الأطفال غير الشرعيين المقيمين داخل المؤسسات كان لديهم إحساس بعدم الرضا عن الحياة في المؤسسة أو خارجها مع إحساس دائم بالعزلة الاجتماعية رغم أنهم يكونون مجموعة واحدة داخل المؤسسة مع اختلاف أعمارهم وذلك لشعورهم بأن وضعهم الاجتماعى واحد ،أو لأن الراشدين داخل المؤسسة لا يمثلون لهم أية قيمة لانعدام الروابط القوية بينهم وبين الأطفال وكانت أهم المشاكل التى تقابل الأطفال غير الشرعيين الذين يدركون أن هذه الأسر ليست أسرهم الحقيقية هى شعورهم بوصمة العار التى تلاحقهم في كل مكان وفى شهادات ميلادهم التى ليست بها أسماء والديهم البدلاء مما يعرضهم لكثير من الأسئلة في المدرسة .

📖 مها الكردى : ١٩٨٠

(التوافق والتكيف الشخصي والاجتماعي لدى أطفال الملاجئ واللقطاء)

هدفت هذه الدراسة إلي التعرف على التوافق النفسى والاجتماعي للأطفال اللقطاء المودعين بقرية S.O.S كشكل من أشكال الرعاية البديلة ، وإن كان يختلف عن الأسر البديلة في جوانب كثيرة .

وكانت الدراسة على عينة من ١٠ أطفال ذكور من أطفال القرية ، ١٠ أطفال ذكور من أطفال الأسر الطبيعية وتماثلت المجموعتان في السن (٩سنوات) ، والصف الدراسى (الرابع الابتدائى) والنوع والعدد وكان الفرق الوحيد هو في طبيعة الوسط المعاش

واستخدمت الباحثة في هذه الدراسة اختبار الشخصية للأطفال للكشف عن التكيف الشخصى ، والتكيف الاجتماعى والتكيف العام . وقد أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فرق دال بين المجموعتين فيما يتعلق بالتكيف الشخصى غير أنه كان هناك فرق بين المجموعتين فيما يتعلق بالتكيف الاجتماعى لصالح أطفال الأسر الطبيعية وكذلك فيما يتعلق بالتوافق العام .

ومن خلال التحليل الكيفى للنتائج فإن الدراسة قد أوضحت أن أطفال القرية يحاولون دائما إخفاء مشاعرهم الحقيقية عند محاولة التقرب منهم ، كما انهم أقل من أطفال الأسر الطبيعية من حيث الثبات الانفعالى ، ولديهم شعور داخلي بعدم الإحساس بالأمان ، وكذلك هناك قدر من العدوانية الزائدة سواء داخل المدرسة أو القرية ، وكذلك يبدو عليهم الانطواء، ويعانون من بعض الأمراض العصابية مثل عدم القدرة على النوم نظرا للأحلام المزعجة ، أو الخوف والشعور المستمر بالتعب ، والبكاء الكثير، ولديهم تردد كثير في التعامل مع الغرباء ، وفى التودد إليهم ، ويبدون مزيجا من الانعزالية الانفعالية.

🕮نجوى محمد العدوى ١٩٨٢

أثر الأسرة في نمو الحكم الخلقي عند الأطفال.

قامت الباحثة بدراسة أثر وجود الطفل في وسط بيئى يتسم بالحرمان سواء كان ذلك نتيجة التفكك الأسرى أو الإيداع في مؤسسات إيوائية على نمو وإدراك القواعد الخلقية عند الطفل .

واشتملت العينة على (٢١٧) طفلا ذكرا في فئة عمرية من ٩-١٣ سنة مقسمين إلى أطفال أسر عادية ، وأطفال أسر مفككة ويعيشون مع أسرهم ، وأطفال أسر مفككة مودعين بمؤسسات إيوائية ، ولقطاء مودعين بمؤسسات إيوائية . واستخدمت الباحثة استبيان لنمو إدراك القواعد الخلقية لدى الطفل (معرب عن بياجيه)،وكذلك اختبار الصور الإسقاطى لقياس نمو وإدراك القواعد الخلقية (إعداد الباحثة) واختبارعين شمس للذكاء الابتدائى واستبيان أساليب التنشئة (تعريب مايسة المفتى) وقد أوضحت هذه الدراسة مجموعة من النتائج تمثلت في تقدم أطفال الأسر العادية ويليهم الأطفال اللقطاء في نمو وإدراك القواعد الخلقية بينما تأخر أطفال الأسر المفككة المودعين بالمؤسسات الإيوائية وأطفال الأسر المفككة الذين يعيشون مع أسرهم في نمو وإدراك القواعد الخلقية .

وترد الباحثة هذا التأخر لعدم الاستقرار الذى يعانيه الأطفال والذى يقوده بدوره إلى صعوبة التكيف نظرا لتعدد وكثرة جهات الأشراف والضبط ، ومحاولة الطفل الامتثال لأكثر من شخص في نفس الوقت ... هذا إلى جانب أن الأطفال المودعين بالمؤسسات قد تقدموا

عن نظرائهم من أطفال الأسر المفككة والذين يعيشون مع الأسرة في نمو وإدراك القواعد الخلقية نتيجة لاحتكاك الصغار مع من هم أكبر سنا في اللعب أو النشاط أو العمل وهذا له أثر إيجابى في سرعة نمو وإدراك الطفل للقواعد الخلقية .

📖 دراسة إيمان محمود القماح ١٩٨٣

أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسى للطفل.

أجرت الباحثة دراستها عن أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسى للطفل وكانت تهدف إلى معرفة أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسى للطفل اللقيط وذلك على عينة من عشرة أطفال (٥ ذكور ، ٥ إناث) تراوحت أعمارهم بين ٤ – ٨ سنوات وقد استخدمت الباحثة اختبار تفهم الموضوع (الكات)، واختبار الرسم الحر ، واختبار الأسرة المتحركة ، واختبار رسم الشخص لماكوفر ، واختبار اللعب الحر . وأوضحت النتائج أن من أهم ملامح البناء النفسى للطفل المحروم من الوالدين وعلاقته بواقعه هو أن صورة الذات لديه تحتويها المشاعر السلبية والاكتئابية والشعور بالدونية وانخفاض تقدير الذات . كما أشارت النتائج إلى أن صورة الجسم لدى الطفل المحروم مشوهة مبتورة عبرت عن ازدواجية الدور الجنسى والتأرجح بين الذكورة والأنوثة ، وتشويه صورة الجسم ، وأعراض من قبيل سرقة الطعام ، والبوال العصابى ، وضعف الضمير. كما اتسمت العلاقة بالآخرين بالتباعد الوجدانى والشكوك والمخاوف والعدوانية .

📖 دراسة سميرة شندى ١٩٨٣

مفهوم الذات والتوافق النفسى لدى الأطفال اللقطاء.

أجرت الباحثة دراسة عن مفهوم الذات والتوافق النفسى للأطفال اللقطاء على مجموعة من الأطفال اللقطاء في سن ٩-١٢ سنة وكانت هناك مجموعة يعيشون في مؤسسة للرعاية الاجتماعية ، ومجموعة أخرى يعيشون في قرية الأطفال ومجموعة أطفال في الأسر العادية. واستخدمت الباحثة في هذه الدراسة مقياس مفهوم الذات ، ومقياس التوافق ، ودليل تقدير الوضع الاجتماعى الاقتصادي ، واستمارة بيانات التلميذ. وقد توصلت الباحثة إلي وجود فروق دالة إحصائيا بين أطفال المؤسسات وأطفال الأسر في مفهوم الذات لصالح أطفال الأسر ، وكذلك الأمر في التوافق الشخصى والاجتماعى ، كما وجدت فروقا دالة في مفهوم الذات والتوافق الشخصى والاجتماعى بين أطفال القرية وأطفال الأسر لصالح أطفال الأسر ، ووجدت أيضا فروقا في مفهوم الذات والتوافق الشخصى والاجتماعى بين أطفال المؤسسات وأطفال القرية لصالح أطفال القرية .

📖 دراسة إيمان فوزى شاهين ١٩٨٥

دراسة إكلينيكية لأثر وفاة الأم على التوافق النفسى للأبناء من الجنسين.

قامت الباحثة بدراسة لأثر الحرمان من الأم بوفاتها على التوافق النفسى للأبناء من الجنسين وقد حاولت الباحثة التعرف على الفروق بين الجنسين في مدى تأثير التوافق النفسى بهذا الفقد . وقد أجريت الدراسة على مجموعتين من الأطفال :الأولى ١٢ ذكرا، و ١٢ أنثى في سن ٩ – ١٥ سنة بشرط أن تكون وفاة الأم بالنسبة لمفردات العينة قد وقعت وهم في أوج مرحلة الأوديب ،وبشرط التجانس من حيث مستوى الذكاء والمستوى الاجتماعى حيث لا تكون هناك بديلة أم للأطفال كزوجة الأب مثلا والتى من شأنها أن تضخم ظروفا مختلفة على أوضاع الأسرة من الأفضل تفاديها في هذه الدراسة . المجموعة الثانية الضابطة تكونت من ١٢ ذكرا و١٢ أنثى لم يمروا بخبرة المجموعة الأولى من حيث وفاة الأم . ولقد استخدمت الباحثة ، اختبار عين شمس للذكاء الابتدائى ، واستمارة المستوى الاجتماعى الاقتصادي الثقافى ، واختبار الشخصية للأطفال ، واستمارة دراسة الحالة ، واختبار رسم الأسر المتحركة ، واختبار CAT الإسقاطى .

وقد جاءت نتائج الدراسة كالآتي :

أولا : إن الأطفال فاقدى الأم قد أظهروا مستوى توافق أقل من الأطفال الذين يعيشون في عائلات عادية ، أما الإناث فقد أظهرت توافقا أقل من الذكور .

ثانيا : أظهر الأبناء الذكور ما يدل على معاناتهم من مشاعر الذنب في صورة تهديد بالعقوبة الشديدة التى بلغت حد التهديد بالموت وقد فاقت الإناث الذكور في هذه النتيجة.

كذلك أظهرت الإناث قدرا عظيما من مشاعر الوحدة والكآبة نتيجة لفقدان موضوع الحب من جانب ومن جانب آخر مشاعر الهجر والنبذ . وقد أظهر الأبناء الذكور والإناث اضطرابات مختلفة تتعلق بتصفية الأوديب ، وإن كانت جميعها ظهرت في صورة أعراض جنسية وقد أظهرت إحدى الحالات الذكور اضطرابا يتمثل في صورة ميول جنسية مثلية قوية .

📖 دراسة عزة حسين ذكى ١٩٨٥

المشكلات السلوكية التى يعانى منها أطفال المرحلة الابتدائية المحرومون وغير المحرومين من الرعاية الوالدية.

قامت الباحثة بدراسة المشكلات السلوكية التى يعانى منها أطفال المرحلة الابتدائية المحرومين من الرعاية الوالدية ، والذين يقيمون بقرية S.O.S **ومقارنتهم** بالمشكلات السلوكية التى يعانى منها الأطفال الموجودون داخل الجو الأسرى الطبيعى مع والديهم من نفس المرحلة العمرية .

وقد أجريت الدراسة على عينة قوامها ٩٦ ستة وتسعين طفلا وطفلة ، مقسمين بالتساوى على فئتين الفئة الأولى من أطفال القرية S.O.S المحرومين من الرعاية الوالدية ، والفئة الثانية من الأطفال المقيمين مع أسرهم الطبيعية وقد تكونت كل فئة من ٤٨ طفلا وطفلة مقسمين بالتساوى إلى ٢٤ ذكر و٢٤ أنثى تتراوح أعمارهم بين ٦-١٢ سنة .

وكانت الأدوات المستخدمة في الدراسة عبارة عن :مقياس المشكلات السلوكية للأطفال (الصورة الخاصة بالأطفال من إعداد الباحثة) ، ومقياس المشكلات السلوكية للأطفال (الصورة الخاصة بأولياء الأمور والمدرسين من إعداد الباحثة أيضا) .

ولقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن المشكلات السلوكية التى يعانى منها الأطفال المحرومون من الرعاية الوالدية تتمثل في العدوانية و القلق والشعور بالتوتر وعدم الاستقرار.

أما المشكلة السلوكية التى يعانى منها الأطفال العاديون غير المحرومين من الرعاية الوالدية من وجهة نظر أولياء الأمور والمدرسين ، تتمثل في المسالمة و الانسحاب و السلبية.

📖 دراسة أملى صادق ١٩٩٠

مقارنة للقلق لدى الطفل فى الأسرة البديلة والطفل فى الأسرة العادية فى سن المدرسة الابتدائية من ٩ – ١٢ سنة

أجرت الباحثة دراسة عن القلق لدى الطفل فى الأسر البديلة ، ومقارنة بالأسر العادية ، وكانت عينة الدراسة (٤٠) طفلا فى سن من ٩ – ١٢ سنة (٢٠) يعيشون فى أسر بديلة و(٢٠) من الأسر الطبيعية وقد استخدمت الباحثة اختبار روجرز لدراسة شخصية الأطفال ، واختبار رسم المنزل والشجرة والشخص H.T.P ، واستمارة المستوى الاقتصادى والاجتماعى . واتضح من الدراسة أن الطفل في الأسرة البديلة عموما أكثر قلقا من نظيره

في الأسرة العادية كما اتضح أن الطفل الذى يعرف أن أسرته البديلة ليست أسرته الحقيقية فهو أقل قلقا من نظيره الذى لديه دراية بهذا الأمر كما أن الأطفال في المستويات الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة أكثر قلقا من نظائرهم في المستوى الأعلى .

🕮 دراسة عبد الرقيب البحيرى ١٩٩٠

المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ "دراسة تحليلية"

أجرى الباحث دراسة عن المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ وعلاقتها بدرجة الحرمان وذلك على عينة مكونة من ١٦٥ طفلا (٨٩ ذكور ، ٧٦ إناث) أعمارهم ما بين ٦ –١٥ سنة مودعين بأحد الملاجئ منذ عمر يمتد من أسبوع حتى ثمانى سنوات، واستخدم الباحث قائمة المشكلات السلوكية واختبار تفهم الموضوع ، والمقابلة مع الأطفال والمشرفين عليهم .

وقد أسفرت الدراسة عن أن معدل انتشار المشكلات السلوكية لدى الذكور أكثر منها لدى الإناث ، وقد يرجع ذلك إلى أن الذكور أكثر إفصاحا وإظهارا لمشاكلهم ، كما لم يكن هناك تأثير لكل من العمر ودرجة الحرمان على جميع مشكلات السلوك فيما عدا اضطراب الكلام . وكذلك اتضح أن نوع الحرمان سواء كان أموميا أو أبويا أو كليا لم يكن بالضرورة سببا مباشرا لكل المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ .

أما المشكلات التى ظهر فيها الارتباط بنوع الحرمان فكانت هى اضطراب الكلام والاضطرابات الذهانية العضوية في حالة الذكور ، واضطراب الحركة في حالة الإناث. وكذلك أوضحت نتيجة الدراسة الإكلينيكية أن الصور الوالدية المدركة صور مشوهة تتسم أحيانا بالاضطهاد والعقاب وغير جديرة بالثقة وأحيانا أخرى بالسلبية والهجر . كما أن هناك شعورا دائما بالحاجة إلى الحنان والحب ... ودرجة كبيرة من الاكتئاب والانشغال بموضوع الحرمان ، ورغبات فمية شديدة وتعيينات ذاتية أنثوية في بعض الأحيان ومخاوف

🕮 دراسة نادية عزيز بعيبع ١٩٩٠

دراسة مقارنة لأثر تربية الملجأ وتربية الأسرة على النمو اللغوى لعينة من الأطفال الجزائريين .

أجرت الباحثة دراسة مقارنة لأثر تربية الملجأ وتربية الأسرة على النمو اللغوى لعينة من الأطفال الجزائريين بالمرحلة المبكرة من التعليم الأساسى . وتكونت عينة الدراسة من (١٢٠ طفلا) من الجنسين . المجموعة الأولى عددهم (٦٦طفلا) تتراوح أعمارهم بين

(٧-٩) سنوات أما المجموعة الثانية فتتكون من نزلاء الملاجئ من الذكور والإناث وعددهم (٥٤ طفلا) تتراوح أعمارهم بين (٧-٩) سنوات أيضا.

وقد استخدمت الباحثة أسلوب المقابلة الشخصية ومقياس النمو اللغوى من اختبار عين شمس للذكاء الابتدائى وذلك لتثبيت عامل الذكاء وأسفرت نتائج الدراسة عن :

أولا : وجود فروق ذات دلالة إحصائية عندما قورنت لغة الأطفال الذين تمتعوا بتربية الأسرة وأولئك الذين خضعوا لتربية الملجأ ، حيث تفوق أطفال المجموعة الأولى في مقتنياتهم اللغوية وفى صحة استخدامها .

ثانيا : ظهرت أيضا فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث لصالح الإناث سواء داخل الأسر العادية أو الملجأ .

ثالثا : وجود ارتباط قوى بين مستوى الذكاء والنمو اللغوى بالإضافة إلى أهمية العامل الزمنى في تقدم اللغة ، ونمو المهارة اللغوية .

🕮 دراسة عماد على مصطفى ١٩٩٢

الخصائص النفسية للأبناء الذكور المتغيب آباؤهم وغير المتغيب " دراسة مقارنة "

تهدف الدراسة إلى التعرف على بعض الخصائص النفسية للأبناء الذكور المتغيب آباؤهم وغير المتغيب آباؤهم وأجريت الدراسة على العينة (٢٦٥) تلميذا من تلاميذ الصف الرابع والخامس والسادس والسابع من الحلقة الأولى والثانية من التعليم الأساسى. وتراوحت أعمارهم ما بين ١٠-١٣ سنة .

واستخدم الباحث استبيان تقدير الشخصية للأطفال واستبيان القبول – الرفض الوالدى للأطفال . وأسفرت الدراسة عن بعض النتائج تمثلت في أن هناك فروقا جوهرية بين الأطفال حاضرى الأب وغائبى الأب بالوفاة في بعد النظرة السلبية للحياة لصالح غائبى الأب بالوفاة وكذلك وجود فروق جوهرية بين حاضرى الأب وغائبى الأب بالطلاق على جميع أبعاد استبيان تقدير الشخصية لصالح الأطفال غائبى الأب بالطلاق . كذلك وجدت فروق جوهرية بين حاضرى الأب وغائبى الأب في إدراكهم للقبول والرفض الوالدى حيث أبدى غائبوا الأب إدراكا أكثر لرفض الأب.

📖 **دراسة جمال شحاته حبيب ١٩٩٥**

المخاطر النفسية والاجتماعية التى يتعرض لها أطفال المؤسسات الإيوائية ودور الخدمة الاجتماعية في مواجهتها.

أجرى الباحث دراسة بهدف التعرف على المخاطر النفسية والاجتماعية التى يتعرض لها أطفال المؤسسات وكانت عينة البحث من أطفال المؤسسات الإيوائية أيتام الأب والأم وبلغ عدد العينة (٦٥) ومجموعة مماثلة من أطفال الأسر تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة وأن يكونوا يعيشون مع أسر في وجود الأب والأم .

ومن أهم النتائج الخاصة النفسية والاجتماعية التى يتعرض لها أطفال المؤسسات: القلق و الإنكار و الحزن و الاكتئاب و العدوانية .

مما سبق يتضح تعرض أطفال المؤسسات الإيوائية فاقدى الرعاية الأسرية لبعض المخاطر النفسية منها الشعور بالقلق وممارسة الطفل للإنكار وشعوره بالحزن وميله الى العدوان . وكذلك النظرة غير الواقعية لذاته وللآخرين وانسحابه من الحياة الاجتماعية وعدم قدرته على إقامة علاقات اجتماعية وعدم قدرته على التمتع بالحياة .

📖 **دراسة محمد درويش ١٩٩٦**

دراسة لبعض الحاجات النفسية لدى الأطفال اللقطاء بمدينة القاهرة.

أجرى الباحث دراسة للتعرف على بعض الحاجات النفسية لدى الأطفال اللقطاء . بهدف تبين بعض الحاجات النفسية من حيث الوزن النسبى لهذه الحاجات وتربيتها مقارنة بنفس هذه الحاجات عند غير اللقطاء (أطفال الأسر العادية) .

وتكونت عينة الدراسة من مجموعتين من تلاميذ الصف الثالث الإعدادي عدد كل مجموعة ٥٤ تتراوح أعمارهم بين ١٤-١٥ عام واستخدم الباحث لإثبات صحة فروضه الأدوات الآتية :

صمم الباحث للدراسة أداتين لقياس الحاجات النفسية لدى الأطفال اللقطاء .

الأولى تقيس الحاجات الظاهرة وتتكون صورتها النهائية من سبع وعشرين بندا موزعة على خمس حاجات ظاهرة (الحاجة إلى الأمن ، سلطة ضابطة ، القبول الاجتماعى ، الانتماء إلى الأسرة ، تحقيق الذات)

والثانية تقيس الحاجات الكامنة وتتكون في صورتها النهائية من ثمان عشر بندا موزعة على ثلاث حاجات كامنة (السادية ، والمازوخية ، الاستعراضية) .

وكانت أهم النتائج بالنسبة للوزن النسبى للحاجات النفسية المقاسة لدى مجموعة البحث:

١ – وجود فروق دالة إحصائيا عند مستوى ٠,٠١ بين متوسط درجات الأطفال اللقطاء ومتوسط درجات أطفال فى الأسر في الحاجات الظاهرة المقاسة (الحاجة إلى الأمن ، الحاجة إلى سلطة ضابطة ، الحاجة إلى القبول الاجتماعى ،الانتماء إلى الأسرة ، تحقيق الذات)، بالإضافة إلى السادية كحاجة كامنة وذلك لصالح اللقطاء .

٢ – عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط درجات الأطفال اللقطاء ومتوسط درجات أطفال الأسر في المازوشية والاستعراضية كحاجتين كامنتين .

٣ – أوضحت النتائج ترتيب الظاهرة لدى مجموعة البحث ، حيث كانت أكثر الحاجات شدة عند اللقطاء هى حاجة الانتماء إلى الأسرة، وهى التى كانت أقلها شدة عند أطفال الأسر.

٤ – وجود اختلاف في ترتيب الحاجات النفسية الكامنة لدى مجموعة البحث حيث كانت أكثر الحاجات الكامنة عند اللقطاء هى السادية وأقلها هى المازوشية بينما جاءت الاستعراضية أكثر الحاجات الكامنة شدة عند أطفال الأسر والسادية أقلها شدة .

ثانياً :الدراسات الأجنبية

◘ دراسة تيزرد وريس ١٩٧٥ Barbara tizard and judith rass 1975

تأثير الرعاية المؤسسية المبكرة على المشكلات السلوكية والعلاقات الانفعالية لأطفال عمر أربع سنوات

أجريت الدراسة على مجموعات من الأطفال: مجموعة من الأطفال عددهم (٢٦ طفل) يعيشون ويتلقون الرعاية بشكل مستمر داخل إحدى المؤسسات منذ الطفولة المبكرة . والمجموعة الثانية مجموعة من الأطفال الذين تم تبنيهم لأسر أخرى .أما المجموعة الثالثة تم إعادتهم إلى أمهاتهم بعد قضاء السنوات المبكرة الأربعة من حياتهم داخل دار حضانة داخلية .

واستخدم الباحثان اختبار (وييس) وكذلك المقابلة إلى جانب استبيان لقياس بعض المشكلات السلوكية . وأوضحت النتائج أن أطفال المؤسسات وأطفال الطبقة العاملة كانوا يميلون إلى العزلة والخجل والحذر والتردد في اللقاء الأول مع الباحثين . كذلك وجد أن أطفال المؤسسات والطبقة العاملة يتميزون بالصمت والانطواء كما كان لديهم تبلد وذهول واتسم سلوكهم بالبحث عن جذب الانتباه كما أن أطفال المؤسسات لديهم إحساس أكثر بالقلق

من مجموعة الطبقة العاملة . أما الأطفال المتبنون والأطفال الذين أعيدوا إلى أمهاتهم كانوا أكثر تعاونا وانطلاقا بشكل أكبر من الأطفال الآخرين .

📖(دراسة ولكيند ١٩٧٤ Wolkind , S.n. 1974)

قام ولكيند بدراسة على مجموعة من الأطفال المودعين بالمؤسسات تتراوح أعمارهم من ٥-١٢ سنة . حيث قام بإجراء مقابلات من الأطفال ومع الوالدين بالمؤسسات وتم أجراء تشخيص سيكا ترى من خلال تجميع نتائج المقابلتين وبعد صياغة التشخيص كان يتم جمع معلومات وبيانات عن الطفل وعن التاريخ السابق ومن الأسرة وعن خبرات الرعاية ... الخ ، وقد أوضحت النتائج أن التشخيص السيكا ترى للأطفال هو اضطراب مخي مختلط mixlisorder من الملامح والسمات غير اجتماعية (المضادة للمجتمع) والعصابية . كذلك أبدى بعض الأطفال (نشاطا حركيا زائدا) وبعضهم الآخر أبدى اضطرابات نمائية وعدم التحكم في البول والبراز ، وأوضحت الدراسة كذلك الحرمان الأمومى والانفصال المبكر عن الأم كعامل سببى لانعدام المحبة السيكوباتى .كما اتضح أن هؤلاء الأطفال – كما قرر القائمون عليهم – يعانون من السلوك المضاد للمجتمع ، وصعوبات بالغة في إقامة علاقات مستمرة مع الراشدين وقد أرجع الباحث هذه المشكلات إلى حرمان الطفل من والديه وخاصة الأم ، فهناك نوع من الجوع العاطفى الذى يعانيه الطفل حتى وإن كان الوالدان موجودين أو هناك بديل يقوم مقامهما ولكنه لا يتمثل فى البناء النفسى للطفل .

📖 دراسة كارلوس دافيلا ١٩٨١ Davila – Carlos– Nicolas

تأثير غياب الأب على التوحد الذكرى وتقدير الذات لدى الأولاد الأسبان

تهدف تلك الدراسة إلى أن الأولاد الأسبان الذين يواجهون غياب الأب يظهرون ذكورة مثلهم مثل الأولاد من نفس الجنس حاضرى الأب . وأن تأثير غياب الأب سيكون ظاهرا في (مفهوم الذات) المنخفض ولقد تكونت عينة الدراسة من ٢٩ ولد أسبانى في سن من ٧- ١٠ أعوام يعيشون في منطقة بوسطن . وتم اختيارهم عشوائيا من سجلات مركز الصحة . تم استخدام ثلاث أدوات : مقياس (IT) لبراون للأطفال ورسم الشخص لقياس تكيف دور الجنس . وقد تم استخدام مقياس بيرس – هاريس لمفهوم الذات لاختبار تقدير الذات . ولقد تم افتراض ان درجات أطفال الأب الغائب لن تختلف بدلالة عن أطفال الأب الحاضر في مقياس (IT) لبروان ورسم الشخص .

وقد توقع الباحث أن درجات الأولاد غائبى الأب ستكون أقل بدلالة من درجات أولاد حاضرى الأب في (مقياس بيرس هاريس)

وتؤكد نتائج تلك الدراسة :

١- أن الأولاد غائبى الأب لم يختلفوا بدلالة عن أولاد حاضرى الأب في الدرجات على مقياس (I T) ومقياس (رسم الشخص) .

٢- أن الفرضية بأن الأولاد غائبى الأب سيكون لديهم تقدير ذات أقل من الأولاد حاضرى الأب لم تتأكد .

ويشير الباحث إلى أن المجموعتين لم تؤديا بدلالة بشكل مختلف في اختبار هاريس بيرس . وقد أوضح الباحث أن النتائج غير حاسمة لأن كل الأدوات تبدوأنها تقيس أشياء متماثلة . وهى قدرة الأطفال على قبول ومواجهة المعايير الاجتماعية ، ولم يتم قياس الأثر الكامل لغياب الأب بدقة عن طريق الأدوات المستخدمة .

كما يشير الباحث أنه وجد تفاعلا مع الأطفال غائبى الأب خلال المقابلات بأسلوب يوحى بأنهم كانوا أكثر استجابة للانتباه الذى يفرضه ذكر بالغ من مجموعة الأولاد حاضرى الأب ، ويقترح أن هذا الاختلاف النوعى بين المجموعات محتاج لمنهج أكثر حساسية للاستخدام في البحوث المستقبلية في هذا الموضوع .

🕮دراسة إدوار ويليام ميردرك ١٩٨٢

MOREDOCK-WIKKIAM-EDWARD

غياب الأب وعلاقته بتقدير الذات لدى أطفال المرحلة الابتدائية

كان الهدف الأساسى من تلك الدراسة هو بحث غياب الأب على تقدير الذات Self-esteem لأطفال (التعليم الابتدائى) بالإضافة لذلك ، فإن الباحث كان مهتما بما إذا كان وجود الأب يؤثر لدى كل من الذكور والإناث بشكل مختلف أم لا . وقد تألفت العينة من (٦٠) طفلا في سن الثامنة والتاسعة مسجلين في خمسة مدارس كاثوليكية في منطقة سان ديجو . وقد تم تقسيم العينة بالتساوى إلى أربعة مجموعات : ذكور حاضرى الأب ، ذكور غائبى الأب ، إناث حاضرات الأب ، إناث غائبات الأب ، وكان المتغير التابع في الدراسة هو مستوى تقدير الذات ، وقد تم قياس هذا المتغير بواسطة الدرجات التى تم الحصول عليها بواسطة أداتين :

١. استبيان تقدير الذات (SEI) .

٢. استمارة تقدير السلوك (BRF) .

وقد تم استخدام ثلاثة نماذج إحصائية في تحليل البيانات : التحليل العاملى ٢×٢ للتباين لتقييم الفروض الأساسية المرتبطة بتأثير وجود الأب والجنس والتفاعل على مستوى تقدير الذات لدى الأطفال ، واستعمال تحليل التباين ، وتأثير الحالة الاجتماعية والاقتصادية من

البيانات . أيضا فقد تم حساب ارتباط بيرسون لتوضيح العلاقة بين الدرجات على BRF , SEI ومن التحليلات ظهرت النتائج التالية :

١.كان الأطفال غائبوا الأب أقل بدلالة في مستوى تقدير الذات من الأطفال حاضرى الأب حسب مقياس S.E.I .

٢.كان الأطفال غائبوا الأب أقل بدلالة في تقدير الذات من الأطفال حاضرى الأب على مقياس BRF .

٣.لم يظهر ذكور الأب الغائب مستوى تقدير ذات أقل من إناث الأب الغائب على مقياس SEI

٤.لم يظهر ذكور الأب الغائب مستوى تقدير ذات أقل من إناث الأب الغائب حسب مقياس BRF .

٥.وجدت علاقة إيجابية دالة بين الدرجات المحصلة على SEI والدرجات المحصلة على BRF .

وقد تمت مناقشة تلك النتائج من حيث نظرية التوحد والتعليم الاجتماعى وقد أشارت النتائج لأهمية وجود الأب أو بديل الأب في تنمية شخصية الطفل .

📖 دراسة كوفل وتيرنبول Covell and Turnbll 1982

الآثار طويلة المدى لغياب الأب في مرحلة الطفولة على هوية الدور الجنسي والتوافق الشخصي لدى الذكور في مرحلة التعليم الجامعي.

قام الباحث بتقييم الآثار طويلة المدى لغياب الأب على هوية الدور الجنسي والتوافق الشخصي. وقد تكونت العينة من(١٧٣) طالب من الذكور وقد تم تقسيمهم إلى أربعة مجموعات أساسية: الطلاب الذين واجهوا غياب الأب بسبب الطلاق، غياب الأب بسبب الموت وغياب منقطع للأب بسبب العمل ومجموعة ضابطة من الذين ترعرعوا بين الأبوين. واستخدم الباحث: استبيان بم للدور الجنسي لأنه يسمح بوجود سمات الشخصية الذكرية والأنثوية في شخص واحد ، وعدد من مقاييس التوافق الاجتماعي.

وكانت أهم نتائج الدراسة أن الطلاب الذين مروا بخبرة غياب الأب لا يعتبرون أقل ذكورة ولا أكثر أنوثة عن هؤلاء الذين في أسر متكاملة. وحيث قررت الدراسة أن الوضع الاجتماعي يعتبر متغيرا هاما في تعديل آثار غياب الأب، فإن كانت الخطوة الأولى تجاه الذكورة قد تضطرب لغياب الأب، لكن التعيين الذكري ممكن أن يتقدم بشكل مرضي، وأن أي آثار ضارة ممكن ان تقهر في مرحلة البلوغ. ويشير الباحث إلى أن نتائج هذه الدراسة

متناسقة مع نظرية النمو المعرفي لكومبرج ونظريات التعلم الاجتماعي لهوية الدور الجنسي. ولقد قرر الباحث أن الوضع الاجتماعي يعتبر متغيرا هاما في تعديل آثار غياب الأب حيث أن وجود الثقة بالذات في التفاعل الشخصي والاجتماعي وتقدير الذات يعكس تقدير الدور الجنسي الإيجابي.

📖 دراسة أدوار جورج (١٩٨٥) Gorrigan – Edward – Gorge

تغير العالم التمثلي للمراهق الصغير : الفقدان الأبوي، وتعثر النمو وعملية العلاج النفسى

من خلال اختبار (عملية العلاج النفسي التحليلي) لصغار المراهقين عن طريق استخدام منهج دراسة الحالة والتحليل الكيفي (لرسم الرجل) ومن خلال توفير بيئة خاصة بين المعالج والمريض (طرح ومقاومة) لدراسة قضايا الفقدان ومشكلات عملية تفرد المراهق. واتضح أن الاستقلال الذاتي والهوية الجنسية وبناء العالم التمثلي أمورا تتأثر بشدة بالفقدان الوالدي. كما اتضح مدى تأثير دور الأب في عملية النمو بناء على المفاهيم الخاصة بالعلاقة بالموضوع من حيث أن الذات تتطور من خلال علاقتها بالموضوع وأن العالم التمثلي يبنى على أساس ذات متكاملة وتمثلات الموضوع.

وقد أسفرت النتائج عن أن غياب الأب يؤثر على بناء الشخصية من حيث : التمرد، والسلبية، وكف التعلم، والغضب، والتخييل . كما لاحظ وجود المخاوف من الهجر ووجود عقدة أوديب السلبية.

📖 دراسة ج.ب. جولاتي (١٩٨٧)

تأثير غياب الأب على نمو شخصية الأطفال في سن المدرسة

قام الباحث بدراسة (٢٨) طفل في سن (٨) أعوام منقسمين إلى مجموعتين الأولى من ذوى الأب الغائب و الثانية من ذوي الأب الحاضر. وقد استخدم استبيان الشخصية للأطفال لكابور وراد ١٩٧٢ وقد أسفرت النتائج عن أن الأطفال غائبي الأب كانوا أقل ذكاء وغير مستقرين وجدانيا، قابلين للإثارة ومهملين بالنسبة للقواعد الاجتماعية وغير متحفظين. أما عينة الأب الحاضر فقد كانت أكثر ذكاء ومستقرة وجدانيا، ورابطة الجأش، ومتحكمة بذاتها. كذلك اتسمت عينة حاضري الأب بقوة أنا أعلى عن عينة الأب الغائب.

🕮 دراسة نوران هورتاسو وآخرين (١٩٩٣) Nuran Hortacsu, et al 1993

العلاقة بين الاكتئاب وأساليب التواصل (Attachment) لدى الوالد والأطفال الذين تمت رعايتهم في مؤسسة اجتماعية.

توضح بحوث التعلق Attachment أن الأفراد الذين لديهم علاقة غير آمنة تتضمن الفقدان أو توقع الرفض سيكونون أباء أقل كفاءة، ويسجلون مستويات منخفضة من الرضا ومستويات عالية من الصراع في علاقات جنسية غير متجانسة ويكون لديهم مفاهيم ذاتية أكثر سلبية ويكونون ناقدين لأنفسهم ويميلون لتنمية اضطرابات اكتئابية في الحياة اللاحقة.

وهدفت هذه الدراسة إلى التأكد من صدق نظرية Attachment في الحضارات الجديدة وقد هدف الباحث إلى توفير دليل ملموس لمضمون أن المحيط الاجتماعي قد يتأثر بالعلاقة بين المتغيرات أو يساهم في مستوى الاكتئاب بأسلوب جمعي.

وتكونت عينة الدراسة من (٢٠) طفلا فى المؤسسات و (٢٠) طفلا من العائلات في الدراسة (كلهم ذكور) واستخدم الباحث مقياس حازان وشيفر ١٩٨٧ وبيك للاكتئاب (Bdi) وأسفرت النتائج عن أن أطفال الملجأ هم الأكثر اجتنابا والأكثر قلقا والأقل أمنا من أطفال العائلات وقد تمت مقارنة المجموعتين فيما يتعلق بدرجاتهم على مقياس (BI) وقد أوضح هذا التحليل أن الأطفال اليتامى أظهروا درجات أعلى على مقياس (Bdi) من أطفال العائلات. أي أظهروا درجات اكتئاب أعلى.

وقد أوضحت مناقشة النتائج أن درجات ارتباط الإحجام - وليست درجات الارتباط الأمن والقلق - كانت تعتبر مؤشرات دالة للاكتئاب لدى الأطفال وقد تم عرض تفسيرين لهذا الاكتشاف ، الأول إن ارتباط الإحجام قد يعتبر استجابة تكيفية نحو الرفض الأمومي وهذا الأسلوب الأمومي - المتضمن لخسارة دالة - قد يسببه شعور بانخفاض تقدير الذات وهو عنصر خاص بالسمة المعرفية الثلاثية للتفكير الاكتئابي (بيك ١٩٧٩) . والتفسير الآخر لبروز أسلوب تعلق الإحجام كأفضل مؤشر لدرجات Bdi قد يمكن إيجاده في الاكتشافات البحثية التي تشير إلى أن هذا الأسلوب هو الأقل تكراراً في الحضارات الشرقية والشرق أوسطية. كذلك فإن العلاقة بين الاكتئاب، وأساليب التعلق سوف تكون أقوى لأطفال المؤسسات من الأطفال الذين لديهم عائلة كاملة بمعنى أن الشكل الاكتئابي سيكون مرتبطا بإيجابية بشكل ارتباط غير آمن ومرتبط سلبيا بشكل ارتباط آمن.

🕮 دراسة كاترين سكيلستاد ١٩٩٥ (Skillestad – Katherine (1995

الفقدان الوالدي في مرحلة المراهقة (المعنى، الذات) بحث وجودي نفسي دينامي (الوفاة ، الطلاق)

تختبر تلك الدراسة البحثية مدى ارتباط الفقدان الوالدي بالوفاة أو الطلاق، بنمو الذات لدى المراهق. ولقد تكونت العينة من ١٠٣ مراهق (من البيض) من سن ١٣ إلى ١٥ سنه ولقد تم دراسة ٦٠ أنثى و٤٣ ذكر. ولقد استخدمت الباحثة مقياس مفهوم الذات لبيرس – هاريس، استبيان تقدير الذات لكوبر سميث، واستبيان بيك للاكتئاب، واختبار التذكر المبكر، وبروفيل توافق الطفل المراهق .

واستخدمت الباحثة الأسلوب الإحصائي في معالجة البيانات ، تحليل التباين ثنائي الاتجاه مع اختبار (ت) T.Test. وقد أسفرت النتائج عن أن المراهقين المنحدرين من عائلات كاملة لديهم إحساس سليم بالذات. والمراهقين الذين فقدوا أحد الوالدين بالوفاة أو الطلاق لديهم أسلوب نسبي سلبي يواجهون قصورا في مفهوم الذات ويعانون من الاكتئاب وقد تمت مناقشة نتائج تلك الدراسة في إطار علم نفس الذات والفلسفة الوجودية . وتتفق هذه الدراسة مع دراسة سيمن بابر ١٩٩٤ في النتائج الخاصة بالعلاقة بين الفقدان الوالدي والقصور في مفهوم الذات.

🕮 دراسة هيروش كونوجي، وآخرين (١٩٩٥)

Kunugi,. Hiroshi; Sugawara,- Norikoj Aoki, Hiroko, Nanko,- Shinichiro; et.al.1995.

الفقدان الوالدي المبكر والاكتئاب باليابان

تختبر الدراسة العلاقة بين الفقدان الوالدي لدى عينة يابانية وبين الاكتئاب. ولقد تكونت عينة الدراسة من (١٢٢) مريضا بالاكتئاب و (٩٤) غير مكتئبين بحيث حدث الفقدان الوالدي قبل سن السابعة عشر ولم يصابوا من قبل بالاكتئاب.

وقد كانت **النتيجة** أن الوفاة المبكرة للأم أكثر شيوعا بدلالة لدى المكتئبين عنها في المجموعة الضابطة. وكذلك فقد أظهر الانفصال عن أي من الوالدين ميل نحو حدوث متزايد للاكتئاب لدى المجموعة التجريبية، ولم توجد فروق دالة فى مدى تأثير الوفاة الوالدية المبكرة .

تعليق عام على الدراسات السابقة

بعد عرضنا للدراسات السابقة التي تناولت أثر غياب الوالدين (الأم – الأب) أو أحدهما والحرمان من رعايتهما على الجوانب التي أمكن تصنيفها من الشخصية لدى الأبناء ، نجد أن هذه الدراسات قد اهتمت في معظمها بالسلوك الظاهري عن الاهتمام بجوانب النمو النفسي التي تعتبر أكثر عمقا في الشخصية والتي يعكسها السلوك الظاهري أساسا فكأنها مرآة العالم الداخلي.

وفي حدود علم الباحثة المتواضع لم تجد أكثر من رسالة واحدة وهي رسالة إيمان القماح، التي اهتمت بالعناصر البنيوية التي تؤسس الذات في النهاية . وقد كانت عينة دراسة إيمان القماح من الأطفال الذين تراوحت أعمارهم من سن ٤–٨ سنوات و لم تجد الباحثة دراسة اهتمت بمرحلة المراهقين موضوع البحث الحالي. وبذلك يصبح لدينا هنا ثلاث قضايا.

القضية الأولى : على ما يبدو أن الدراسات الأجنبية لم تتعرض إلى دراسات خاصة بالأبناء غير الشرعيين. (Out-of-Wedlock birth) - (Illegitimacy) (Birth – Outdoor) حيث يستمر الطفل غير الشرعي مع أحد الوالدين أو يوضع في مؤسسة اجتماعية لا تعامله بأسلوب يختلف عن أطفال الأسر المفككة أو الأيتام أوأبناء المطلقين حيث لا يعامل بصورة أنه وصمة عار تبعا للبناء الاجتماعي في الدول الأجنبية. فقد كان التعامل مع أبناء المطلقين وأبناء الوالد الواحد والطفل غير الشرعي بأسلوب واحد (اليتم، والهجر، السفر،..).

القضية الثانية : وهي أن هذه الدراسات (العربية والأجنبية) وقفت عند مجرد المسح والوصف والملاحظة للاضطرابات النفسية والسلوكية دون محاولات الكشف عن الآثار العميقة التي خلفها هذا الجرم والعار والحرمان على أبنية الشخصية.

القضية الثالثة: أن معظم الدراسات تناولت الحياة الطفولية المبكرة لهؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين قبل اكتمال مرحلة البلوغ وما تعكسه هذه المرحلة من تشكيل بنائي يعكس البناء النفسي في مراحل الطفولة المبكرة.

أيضا من عرضنا لهذه الدراسات يبرز سؤال جدير بالاستشكال وهو إن كانت هذه الدراسات قد وقفت عند مستوى المسح والملاحظة والوصف لمظاهر الاضطراب النفسي والسلوكي للأبناء غير الشرعيين الذين قد لا يظهرون مثل هذه الاضطرابات التي لايمكن رصدها بالملاحظة والوصف الظاهر، فماذا عن الطبقات العميقة للذات والصراعات اللاشعورية

التي تفجرها هذه الوصمة ؟هذا ما نحاول أن نتصدى له من خلال عينة يمكن وصفها على مستوى الواقع المعاش بالسواء أو القدرة على التوافق في مواجهة أزمتها حيث يطفو على السطح سؤال (لماذا ؟) وللإجابة على هذا السؤال لابد من سبر الأغوار للنفس البشرية في محاولة البعد عن المستوى السطحي في التناول والذي يبحث عن المعنى والدلالة وراء هذه المسالك الشائكة ليجيب عن لماذا وصولا إلى مستوى التفسير الفاهم بفضل ما تمدنا به الأطر النظرية التحليلية مستعينا بالمنهج الجاليلى ذا الطبيعة التحليلة الذى يستخدم الطريقه الإكلينيكية بلوغا لأعمق مستويات بنيوية الذات من خلال تفاعلها مع ذلك الآخر.

ولقد توانت الباحثة – عن عمد – فى التعليق على كل دراسة على حدة نظرا للجهد المنوط بكل باحث. فاكتفت بالاستفادة واتخاذ خبرة جيدة أنارت الطريق أمامها، حيث أن هذه الدراسات قد أسفرت عن نتائج غاية في الثراء وذات دلالات نتجت عن الحرمان من الوالدين.

فروض الدراسة:

انطلاقاً من هدف الدراسة الحالية وفي ضوء الإطار النظري والبحثي للدراسة قامت الباحثة بوضع الفروض الآتية:-

أولاً : يضطرب إدراك الأبناء غير الشرعيين للصورة الوالدية، مع وجود تعويض خيالي عن هذه الصورة على خلاف الأبناء الشرعيين .

ثانياً : يتأثر البناء النفسي بغياب النماذج الأبوية الشرعية لدى الأبناء غير الشـــرعييـــن من حيــث: والتخييل ، إدراك الواقع ، النمو النفسى الجنسي وصورة الذات.

ثالثاً : يستخدم الأبناء غير الشرعيين ميكانيزمات دفاعية بدائية قوامها النكوص والإنكار والانشطار مع فشل ميكانيزم التسامي أو الإعلاء.

الباب الثاني

الدراســـة الميدانية ونتائجها

الفصل الرابع

مفاهيم الدراسة

والمنهج

ووسائله وأدواته وعينته

أولاً: مفاهيم الدراسه:

وإتفاقاً مع كل من كيرنبرج ومصطفى زيور فإن هوية الأنا.. ليست إلا نتاجاً لعمليات التوحد والإســتدماج للأخريــن وبالأخرين ، تلك العمليات الت تقوم بدور حاسم فى تكوين شخصية الطفل عن طريق تمثله خصائص والدية النفسية فتتشكل ذات الطفل على شاكلة الوالد. فتتقوم بيــن "الأنا و الأنا الأعلى" علاقة شبيهه بعلاقة الطفل بوالديه بحيث يرتفع إعتبار الذات بقدر رضى الأنا الأعلى عن الأنا وينخفض بقدر سخط الأنا الأعلى على الأنا وإمتهانه إياه وتوجيه اللــوم علــيه. (مصطفى زيور ١٩٨٢:٢١٢) ونكتفى بهذا العرض حيث تمت الإستفاضة فى فصــل الإطــار الــنظري ويكاد يكون هناك إجماع كامل بين المحللين النفسيين على مختلف أطرهم النظرية حول أثر الصور الوالدية على هوية الأنا لدى الطفل.

وتكــاد الصور الوالدية تكون هى المسئولة عن التكامل للوظائف التآليفية للأنا. والإنتقال من الأبويــن إلـــى الأنـــا الأعلى هو الشرط الضروري لإستقلالية الفرد وإذا ما كان الأنا الأعلى وريث الأبوين ليس فحسب كمصدر للتهديدات والعقوبات وإنما أيضاً للحماية ومورد للحب ، ومن هنا كان إهتمام الباحثة بالصور الوالدية وتأثيرها على البناء النفسي.

من أهم المفاهيم الأساسية لهذه الدراسة هو مفهوم الصورة حيث تشير سارة كوفمان في كــتابها (طفولــة الفن) إلى أن تعريف الـــ image يعنى الصورة الأولى (والصورة الذهنية المثالية) التي لا تعكس الواقع بل تعكس ذاتية الفرد، بالنظر إلى أنها قد اقترنت بتجاربه الأولى وباحــباطاته وضروب إشباعه خلال الطفولة وينجم عن ذلك أن الصورة الذهنية المثالية للأم الطيبة يمكن أن تنطبق على أم فعلية قاسية وعدوانية. والصورة الذهنية المثالية للأب قد تكون ذات علاقة بأب فعلى رقيق، رزين، وتعمل الصورة الذهنية المثالية وكأنها رسم أولى متخيل وكأنها منشور مشوه ندرك الغير من خلاله، وهى على هذا النحو تترك بصمتها على العلاقات الشخصية المتبادلة للفرد، وتوجه تعاطفه وتوقعاته وتسود ضروب نفوره وكرهه.

(سارة كوفمان "طفولة الفن" حسين عبد القادر د. ت ٢٥٣)

الصور الوالدية :

هـــي تلك الصور المتخيلة التي يكونها الطفل من خلال تمثلات الذات – الموضوع وذلك عن دور الموضوع تحت تأثير كل من خبرات الإشباع والإحباط. مع الوضع فى الاعتبار أنها صــورة متخــيلة لا تعكــس الواقع الفعلي. بل هي إسقاط لذاتية ذلك الفرد. وهذا يقودنا إلى

الصـــور Figures المخــتلفة للآخر (القائمين بالرعاية من اللحظات الأولى) على المستوى الاجتماعـــي والثقافـــي ومـــا تنطوي عليه أيضاً من جوانب أيديولوجية وسياسية. فإذا كانت الصورة الوالدية تناظر استدخال علاقة القائمين بالرعاية (الوالدين أو غيرهما) للطفل فمن ثم تناظر ذلك الذي يستطيع في الواقع الاجتماعي أن يكون على وجه الدقة صور والدية كالمعلم، ورئـــيس الدولـــة ، والطبيب ، والحبيبة ، والزوجة. وتتكون صورة الذات على شاكلة صورة الموضوع حيث تتجمع الآثار الذاكروية البصرية المشبعة أو المحبطة للأم في المرحلة الفمية وبنفس الطريقة تبنى صورة الذات المشبعة أو المحرومة.

أما من الناحية الإجرائية فهي الصورة التي يسقطها المفحوص من خلال الأدوات المستخدمة في البحث وهى:

١- المقابلة المتعمقة Deapth interview

٢- اختبار تفهم الموضوع (T.A.T.)

٣- اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص (H.T.P.)

مفهوم الطفل غير الشرعي:

في دراسة سميرة شندى ١٩٨٣ استخدمت تعريف المعجم الوسيط لتعريف الطفل غير الشرعي حيث يعرف اللقيط لغوياً بأنه الوليد الذي يوجد ملقى على الطريق لا يعرف أبويه. (سميرة شندى ١٩٨٧)

ومن هنا استخدمت الباحثة لفظي اللقيط وغير الشرعي كمترادفين في البحث إجرائياً عن الطفل غير المعروف النسب المودع في دار الرعاية.

ولقد استخدم (عبد السلام الدويبى ١٩٨٧ : ٣٦) مفهوم "لقيط" وفى موضع آخر استخدم مصطلح الأطفال غير الشرعيين وفي كتابه الآخر سنة ١٩٩٢ استخدم المصطلح الأخير (الأطفال غير الشرعيين بصفة عامة) وعرف الأطفال غير الشرعيين بقوله : .... المعروف أن الأسرة الطبيعية هي الأسرة التي تتكون وفق ما تقره أنظمة المجتمع خصوصا في ما يتعلق بنظام الزواج الشرعي، وإن أي علاقة بين ذكر وأنثى في ما يتعلق بالمعاشرة وإنجاب الأطفال خلافا لما تحدده نظم وتشريعات المجتمع هي علاقة غير مشروعة أو غير شرعية، وإن الأطفال الذي ينجبون في إطار هذه العلاقة هم أطفال غير شرعيين.

(عبد السلام الدويبى ١٩٨٧ : ٣٦/ ١٩٩٢: ٨٣، ٨٤)

ويحدد معجم مصطلحات التنمية الاجتماعية الطفل المحروم بالطفل اللقيط أو المتخلى عنه، الذي يولد لأب وأم غير معروفين فينبذانه للتخلص منه أو يتركه المسئولون عنه قانونا. (عبد السلام الدويبى ١٩٨٧: ١٥)

أما حامد زهران فيعرف الطفل غير الشرعي قائلا هو الطفل الذي تم الحمل فيه خارج أو قبل الزواج وهو الذي يطلق عليه حمل السفاح أو الزنا ويطلق عليه أحيانا لقيط. (حامد زهران ١٩٧٧ أ : ٢٨٤)

ويقول سيد عبد العال: الطفل غير الشرعي هو ناتج الزنا أو أي علاقة بين ذكر وأنثى (فى غير زواج) نتج عنها طفل ألقي في الطريق العام أو أمام مسجد أو كنيسة أو دار أيتام. (سيد عبد العال :٢٠٠١)

وبما أن مصطلح لقيط مرادف لمصطلح غير شرعي من ناحية وطفل مجهول النسب من الناحية الأخرى ، فسوف تستخدم الباحثة كلا منهم بمعنى واحد ، فالطفل غير الشرعي هو الطفل اللقيط الذي ولد من أم وأب غير معروفين وفى إطار علاقة غير شرعية ، ومسجل في الأوراق الرسمية الخاصة بالطفل باسم مجهول النسب.

ثانياً: منهج الدراسة:

"الفهم الدينامى هو بحث في العلل* وليس بحثا في الأسباب. والوقوع على العلل في واقعه... هو إنكار ضمني للقيمة الفعلية للأسباب، نظرا إلى أن الأسباب هي علاقات إرتباطية بسيطة تغفل عن المحرك الجوهري الأصيل للظواهر. فمن الممكن أن يجد الباحثون أسبابا تتعدد بتعددهم إذا ما حاولوا تفسير الظواهر ولكنهم إذا اتجهوا إلى العلة فلا يمكنهم إلا أن يصيبوا أو يخطئوا فالبحث كما أن البحث عن العلل يقترب بالباحث من الشق المميز للظاهرة والذي يمنح ارتباطات أعراضها قيمة خاصة بالظاهرة نفسها ، وذلك من خلال إدراك معنى الدينامية. (أحمد فائق ٢٠٠١: ١٤٩)

---

* الفرق بين العلة (Reason) وبين السبب (Cause) ، إن العلة هى المحرك الذي يصل بغائية الظاهرة Teleology أما السبب فيصل بقصدية الظواهر Intention.

إن ما نقصده بدينامية الفرد هو إتفاقاً مع أحمد فائق فى رأيه فالمفهوم الدينامي تلك الصيغة الفكرية التى تعطينا القدرة على كشف الصلة بين أمرين. كل منهما على جانب من الوضوح والغموض معاً بينما يغلف العلاقة بينهما غموض مطلق.

وحيث أن الفرد فى تحول مستمر إلى ما بعد وفاته وتحوله هذا هو عملية فقدان لإتزانه البيولوجي ، وما يتبعه وسعى لإستعادة إتزانه ، ومن خلال حركة فقدان الإتزان وإستعادته تظهر أشكال الحياة الإنسانية المختلفة والمعقدة ودراسة دينامية الفرد تعطى للقوى البنائية فيه وضوحاً خاصاً فيما يتعلق بعلاقته المباشره بالأخر ووضع أدوات بحث متميزة تتناسب مع ذلك المفهوم الدينامي.

تعتبر إقامة الجانب الدينامي مرحلة تكامل لما قدمته لنا الدراسات السابقة فلقد حددت لنا الدراسات السابقة نطاق البحث وميادين الدراسة ورصد للظواهر والسلوك ولكن لم تحدد العلة لظهور هذا السلوك ومن ثمة فإن الحاجة إلى جانب دينامي تصبح أكثر من حاجة ولزوم لأنه وبدونها لن تكون لدى الباحثة فرصة الخروج من أزمة الوحدة الفكرية للدراسة.

ويرى صلاح مخيمر بقوله..." إن كان لب العملية العلمية ينحصر فى بناء Reconstruction الوقائع فى ذهن العالم فى صورة (النظرية التفسيرية أو القانون الفهمي) أي فى صورة أنموذج هيكلي ونمط كيفي ، يقدم العلاقة المثالية ، هذه التى تتجسد فى الواقع العياني فى تشكيلة من التباينات لا نهاية لتبايناتها بتباين السياقات البيئية فتأويل الوقائع أو تفكير فى العملية العلمية الحقة لا ينبغى أن يكون بلغة الفئات والأصناف على طريقة أرسطو بل بلغة السياقات على طريقة جاليليو. (صلاح مخمير ١٩٨٧: ١٠)

الموضوعية والذاتية وموقع كل من التفسير التحليلي والأسلوب الإكلينيكي منها:-

ويقول زيور: إن الموضوعية المطلقة لا وجود لها في نطاق المعرفة العلمية، وإنما الأمر أمر موضعه objectivation لا موضوعية objectivity يسعى الباحث العلمي إلى تحقيق أكبر قدر متاح منها تدريجياً. فالموضوعية هي المعرفة المقبولة من كثرة الباحثين والملاحظة من كثرة تقييم التحقق. على أن المعرفة بهذا المعنى ليست نتاج أدوات يضفي عليها صفة الصلاحية الموضوعية المطلقة في كل الميادين، وإنما يعتمد اتفاق النتائج على التصور المحايث لنوعية الظاهرة. ولو لم يكن الأمر كذلك لتطابقت نتائج علماء النفس الذين يصطنعون أسلوب التحليل العاملى. (مصطفى زيور ١٩٨٦ : ٢٨٠)

ولذلك فنحن بصدد دراسة دينامية موضوعها الرئيسي أن الذات تخلق نفسها عبر الحوار الديالكتيكى بالآخر ولذلك فلابد من تبنى النظرة الجدلية التي ترى أن حركة الحياة النفسية تحكمها المتناقضات وأن وحدة النقيضين يعلو عليها قانون الوعى والحياة النفسية.

وكما يرى مخيمر "أن الموضوعية العلمية تبنى دائماً في ذهن الباحث، وهنا تكون النسبية في العلم ومن هنا أيضاً تكون الذاتية بمثابة الرحم الذي تتمخض عنه الموضوعية العلمية". (صلاح مخيمر ١٩٨٧ : ١٤)

ويرى سيد عثمان... أن الأدوات الموضوعية ليست خالصة الموضوعية كما نحسب، وليست مبرأة من الذاتية كما نحب أن نعتقد، لا في تصميمها ولا في تطبيقاتها، ولا في التعامل مع ما تصنع بين أيدينا من معلومات. وإن كان هذا هو نصيب الأدوات الموضوعية من الذاتية، فلنلتفت لنرى ما في النظر الذاتي والرأي الذاتي والحكم الذاتي أي "البصيرة العلمية" من موضوعية وبهذا فالموضوعية الحقة ليست غير الذاتية الناضجة .
(سيد عثمان ١٩٧٨:٤٥)

وكما يرى مصطفى زيور... "فإن الأخصائي النفسي الذي يقوم بالتحليل الكمي التزاما حرفيا ودجماطيقيا ، يقع من حيث لا يدري فيما أراد أن يتحاشى الوقوع فيه ، أي اختلاط الذاتية بنتائجه التي أرادها موضوعية. فأى علاقة بين فردين إنما هي علاقة بين-ذاتية فلا سبيل إلى استبعاد الطرح ومقابل الطرح في أي موقف إنساني. وبالتالي فإن الموضوعية الحقة هي الفطنة إلى حتمية الذاتية على نحو يمكننا من أن نقدر تأثيرها بوصفها متغيرا طبيعياً.
(مصطفى زيور ١٩٨٦ : ٤٣٣)

وقد واجهت الباحث مادة صعبة في حد ذاتها لأنها تتطلب استبصارا أو تصورا ممكنا يتطلب من أناه أن يكون نظرية للذات هى فى حد ذاتها جزء منها. أى أن الموضوع يختلف إذا ما أجرينا بالمقارنة بحثا علميا فيزيائيا كيميائيا أو حتى طبيا.

ويرى أحمد فائق أن التحليل النفسي هو الموقف النظري الوحيد الذي بدأ من مسلمة (استحالة إصدار حكم أو تقدير ما) فعلاقة المحلل بالمحلل علاقة تأثير متبادل لا موضع فيها لحكم ذاتي أو موضوعي، بل أن الحكم فيها مرفوض أصلا على أساس أن المعرفة في هذا الموقف ليست "إخبارية" بل هي في "الجدل" ذاته القائم بين اثنين وليست "أحكاما" بل تعرفا متصلا.

ويستطرد قائلا:... وبهذا فإن كان "موضوع التقدير" غير إنسانى، أمكن الحديث عن موضوعية وذاتية، أما إذا كان "موضوع التقدير" إنسانياً أصبح الحديث عن الموضوعية والذاتية محدداً بنوع من المعرفة المقصودة ويرىأحمد فائق أن هناك ثلاثة معالم هامة في عملية التفسير وهى:

١- إن التحليل النفسي يقوم على مفهوم التفسير وليس الشرح والوصف، وهو بذلك محاولة لبلوغ حُكم موضوعي. وأهم ما يتمسك به المحلل النفسي في عمله هو عدم تجاوز مستدعيات المريض. إذا كمبدأ عام يتم التفسير التحليلي على واقع محدد غاية في التحديد وهو مستدعيات المريض وحدها.

٢- إن ما يطرحه التحليل النفسي على بساط التفسير هو ما يسمى بالمستدعيات الحرة للمريض فالتحليل النفسي لا يفسر أفعال بل يفسر مستدعيات على أفعال .

٣- يبدأ التفسير التحليلي من مسلمة أن مستدعيات المريض ليست الحقيقة بل هي السبيل إلى الحقيقة. أما الحقيقة فهي اللاشعور أي القصدية الإنسانية ويخلص فائق إلى أن هناك ثلاث أبعاد لموضوعية التفسير التحليلي :

أ - مطابقة التفسير للمستدعيات.

ب - مطابقة المستدعيات للرغبات.

ج - مطابقة الرغبات للقصد.

أى أنه إذا ما استطاع المحلل أن يجعل تفسيره مطابقاً للمستدعى وكان المستدعى مطابقا للرغبة وكانت الرغبة مطابقة للقصد، فلا شك أن التفسير التحليلي يكون موضوعيا كأكمل ما تكون الموضوعية. **(أحمد فائق ١٩٧٠ : ٨٩ - ٩٣)**

ولذلك فنحن في دراستنا ننتمي إلى علم نفس إنساني يرى أن موضوعه الرئيسي "إن اللاشعور هو لغة الآخر، وإن الذات يخلقها الرمز عبر الحوار الديالكتيكى بالآخر" ويقتضي المنهج هنا ضرورة النظر إلى الإنسان في وحدته الكلية من خلال علاقته بالآخر ومن خلال تبنى منظور تاريخي وضرورة التأكيد على الطابع الكيفي لجميع الوظائف النفسية وإبراز جوهرها الإنساني، بمعنى أنها تعكس الوجود "معاً" أي مع آخرين تنشأ في ظلهم وتتوجه إليهم.

ولذا استخدمت الباحثة المنهج الإكلينيكي باعتباره المبحث المنهجي المكتمل للحالة الفردية والذي يتخذ من الفهم وسيلة في البحث، حيث يعمل على سبر أغوار الحالات

المدروسة من خلال الأدوات الإسقاطية وأسلوب التحليل الكيفي لاستخراج نتائج البحث متحصناً بقول زيور .... إن الموضوعية الحقة هي الفطنة إلى حتمية الذاتية على نحو يمكننا من أن نقدر تأثيرها بوصفها "متغيرا طبيعيا"

ثالثاً: الأدوات المستخدمة في الدراسة:

تبعا لمنهج الدراسة الإكلينيكية فقد اختيرت الأدوات لتتوافق وطبيعة المنهج وتتوافق أيضاً وطبيعة أهداف الدراسة. وتتدرج هذه الأدوات من المستوى الشعوري للصور الوالدية وبعض جوانب البناء النفسي وذلك من خلال المقابلة، حتى نصل إلى المستوى اللاشعوري وذلك من خلال الأساليب الإسقاطية.

١- المقابلة المتعمقة Deapth interview

تعتبر المقابلة أداه بارزة من أدوات البحث العلمى في علم النفس الإكلينيكى، وفى غيره من العلوم، وتبرز أهمية المقابلة في الميدان الإكلينيكى من حقيقة كونها الأداة الرئيسية التي يستخدمها الأخصائيون في مجالى التشخيص والعلاج النفسي. ونظرا لأهمية هذين المجالين، فإن العلماء والباحثين غالبا ما يميلون إلى التمييز الحاد بين نوعين من المقابلة: تلك التي تجرى بهدف التشخيص وتقييم الشخصية، وتلك التى تستخدم في مجال الخدمات العلاجية والإرشادية . والحقيقة أن الفرق بين هذين النوعين من المقابلة يكمن في الهدف الذي يتوقعه الأخصائى من إجراء المقابلة. وليس فى الإجراءات المستخدمة عند تنفيذها.

(عبد الستار إبراهيم-عبد الله عسكر ١٩٩٩:١١٩)

فالمنهج الإكلينيكى هو الدراسة العميقة لحالة فردية بصرف النظر عن انتمائها إلى السوية أو اللاسوية. وتقوم هذه الدراسة العميقة بدراسة شاملة مطوقة تستند على ثلاث ركائز هي مسلمات المنهج الإكلينيكي (الإكلينيكية بغير دينامية، الإكلينيكية بغير وحدة كلية حالية. الإكلينيكية بغير وحدة كلية تاريخية. ويترتب على هذه المسلمات أو الركائز الثلاث أن يكون لب المنهج الإكلينيكية وبمختلف المجالات لحياتها بل وأيضاً بما تكون عليه استجابات المفحوص في هذا الموقف الحيوي للفحص هنا والآن.

(سامية القطان، ١٩٧٩ : ٦١ - ٦٧)

وهكذا ينبغي أن تتم المقابلة في إطار يتسم بالعلاقة الودية الحميمه مما يسميه التحليل النفسي بالطرح الموجب. في مثل هذا الإطار يتاح للمفحوص ليس فقط أن يرتخى بل وأن يشعر بشيء من التنفيس وهو يتحدث بأسراره الدفينة في إطار من الثقة المطلقة.

والمقابلة الشخصية أو المحادثة الشخصية يمكن أن تتخذ جملة من الأشكال التي تتراوح ما بين الصورة المقننة للاستجواب أي صورة الاستجواب المنهجي والصورة الطليقة للتداعى، وهى السائدة في التحليل النفسي والتىلاتتقيد بخطة سابقة أو بنموذج مرسوم ومحدد وبين هاتين الصورتين القصويتين للمقابلة توجد درجات متفاوتة من الأسلوب الموجه للمقابلة الشخصية حيث يهتدى الإكلينيكي برؤوس الموضوعات الرئيسية التي تستقر في ذهنه ويطوعها في مرونة ليجيب على النوعية الفريدة للحالة.

(سامية القطان ١٩٧٩ : ٦٧)

وقد حاولت الباحثة الدمج بين المقابلة المنظمة (في الحصول على تاريخ الحالة) وبين المقابلة المقننة.

حيث أن الأولى تمتاز بالتحديد المسبق للموضوعات التي ينبغي أن تغطيها المقابلة مما يضمن كافة الموضوعات الفرعية المتصلة بالموضوع الأساسي. والثانية تمتاز بالتحديد المسبق للأسئلة التي توجه أثناء المقابلة بهدف توحيد ظروف المقابلة وحتى لا يختلف تأثير ظروف المقابلة من فرد لآخر فيرجع بالتالي جزء من اختلاف تقييم فرد عن آخر إلى اختلاف ظروف المقابلة وليس إلى اختلاف أساسي في خصائص شخصية كل منها.. كما أنها تمتاز بضمان عدم نسيان أسئلة أساسية كان ينبغي توجيهها أثناء المقابلة.. كذلك تتيح فرصة لدراسة ألفاظ الأسئلة لضمان توحيد المعنى الذي توحى به لدى مختلف الأفراد.

(فرج طـــه ١٩٧٨ : ٧٥- ١٣٧)

مادة المقابلة :

إن خصوبة المقابلة تتطلب الكشف في عمق عن جنبات الشخصية ولا يتأتى هذا إلا عندما يندمج المفحوص في الموقف، الأمر الذي لا يمكن أن يكون إلا عن طواعية ورغبة من جانبه. ومما يعينه على ذلك أن تبدأ المقابلة بالحديث عن تلك المجالات من حياته التي تتعرض لأقل قدر من مقاومته ثم يكون بعد ذلك الانتقال إلى المجالات الأكثر فالأكثر تعرضاً لمقاومته، فبقدر ما يندمج في الحديث وينسى نفسه إن جاز القول تكون قدرته على التغلب

على المقاومة فيسترسل -على أرضية من الود والثقة - بكل الحرية في الحديث. (سامية القطان ١٩٧٩ : ٧٠)

لقد استعانت الباحثة ببعض الأسئلة التي وردت في كل من دراسة منال شحاته "الأبوة وعلاقتها بتعاطي الأبناء المخدرات" والتي كان صميم هدفها التعرف على صورة الذات وصورة الآخر لدى المفحوص. كذلك دراسة شادية علام "صورة الأب لدى أبناء المسجونين (غير الجانحين) وعلاقتها بالبناء النفسي لهم" دراسة إكلينيكية متعمقة وتم تحديد رؤوس الموضوعات التي يجب أن تغطيها المقابلة أو صياغة مجموعة من الأسئلة المفتوحة بحيث تسمح بالتداعى على نحو يخدم هدف البحث.

وقد انقسمت المقابلة إلى موضوعين رئيسيين. وفيما يلى عرض لبنود المقابلة كما جاءت بهذه الدراسة.

الموضوع الأول : بعض جوانب من البناء لنفسي:

صورة الذات:

كلمني عن نفسك يعنى انت بتشوف نفسك ازاى؟

التخييلات :

إيه اللي شاغل بالك ودايما بتفكر فيه؟

مصادر الصراع :

١- إيه هي الحياة بالنسبة لك ؟

٢- إيه اللي نفسك تحققه في الحياة ؟

٣- طب إيه هي المشاكل اللى قصادك مش مخلياك تحقق اللي أنت عاوزه؟

٤- يعنى ازاى بتقدر تتصرف في المشاكل دى؟

٥- انت حاسس إن المجتمع ظالم ؟

٦- قوللى ياترى إيه المواقف اللى حسيت فيها بالظلم ؟

النمو الأخلاقي:

١- هل انت بتهتم بفرائض الدين؟ زي إيه طب قولي

٢-هل أحيانا بتشعر بالذنب؟

٣-طب إيه اللي بيخليك تحس بالذنب؟

٤- تفتكر إيه بيمنعك من ارتكاب حاجات انت مش راضى عنها مثلا أو بتحس إنها خطأ؟

٥- إيه هي الحاجات اللي انت بتحس إنها مش أخلاقية في رأيك ؟

٦- لو حد أتصرف قدامك خطأ بتعمل إيه ؟

أوجه الكف في العلاقة بالأخر:

١-كلمني عن أصحابك ؟

٢-بتحب تقعد مع مجموعة والا لوحدك ؟

٣-طب بتحس بإيه لما تكون في وسط جماعة ؟

٤-لما بتكون فيه عندك مشكلة مين الشخص اللي بتحس إنك محتاج مشورته ، ورأيه؟

نماذج التوحد :

١- مين مثلك الأعلى يعنى اللي تحب تكون زيه ؟

٢-إيه الصفات اللي في الشخص اللي تتمنى تكون زيه ؟

الموضوع الثانى : الصور الوالدية :

صورة الأم

١- تعنى إيه كلمة أم بالنسبة لك ؟

٢- طب كلمني عن صورة الأم اللي في خيالك ؟

٣- تفتكر إيه الدور اللي بتلعبه الأم في حياة أولادها ؟

٤- إيه المواقف اللي حسيت فيها إنك محتاج قوى لأمك ؟

صورة الأب

١- تعنى إيه كلمة أب بالنسبة لك ؟

٢- طب كلمني عن صورة الأب اللي في خيالك ؟

٣- تفتكر إيه الدور اللي بيلعبه الأب في حياة أولاده ؟

٤- إيه المواقف اللي حسيت فيها إنك محتاج قوى لأبوك ؟

وكانت الباحثة تراعى تغيير لغة الخطاب بما يتناسب مع المستوى اللغوي للمفحوص وكذلك المستوى الاجتماعي .

وإذا ما كانت المقابلة أداة للبحث تعتمد على الحوار والتواصل اللفظي فهي إلى حد كبير تتعامل مع الشعور في المقام الأول أي أنها تعكس شعور المفحوص ورؤيته لذاته والآخرين

فتساند الاختبارات الإسقاطية التي تعكس لاشعور المفحوص وبذلك تقف على اللاشعور وشعور المفحوص معاً. وقد قدمت المقابلة للباحثة مادة ثرية من المعلومات التي ساعدت على فهم الإطار اللاشعوري في الاختبارات الإسقاطية ومهدت لفهم البنية الدينامية للمفحوص.

ولم تتوقف الباحثة فقط على رصد الأبعاد اللفظية وإنما اهتمت أيضا بملاحظة ورصد الأبعاد الانفعالية التي حدثت أثناء موقف المقابلة.

إجراء المقابلة :

١- كان يسبق إجراء المقابلة جلسة أو جلستين مع المفحوص دون الالتزام بأسئلة معينة أو كتابة أي ملاحظات أمامه. يلي ذلك استئذان المفحوص في إجراء البحث عليه.

٢- كانت المقابلة يتم إجراءها في جلستين منعا لإرهاق المفحوص والضغط عليه.

٣- لم تحاول الباحثة التدخل أو قطع تسلسل أفكار المفحوص إلا في الحالات النادرة جداً للاستفهام منعا للخلط.

٤- كان يتم تقديم بعض الأسئلة على البعض الآخر نظراً لبعض ملاحظات الفاحص للمفحوص وبخاصة الملاحظات الانفعالية.

٥- تم التسجيل بالورقة والقلم وفى الواقع كان المفحوصون متعاونين.

وقد قدمت المقابلة للباحثة مادة من الثراء بحيث أعانتها على فهم صراعات المفحوصين وديناميات تلك الصراعات.

٢- الأساليب الإسقاطية

لقد جاء اختيار أدوات البحث (من الأساليب الإسقاطية) اختيارا مقصودا من قبل الباحثة.... فإذا ما كنا بصدد الفهم الدينامى العميق للشخصية فلابد من أسلوب يتيح لنا هذا الفهم، حيث أن الأساليب الإسقاطية تعكس تأثير مفاهيم التحليل النفسي.

وتؤكد أنستازى هذا المعنى بقولها: تتسم الاختبارات الإسقاطية باتجاه كلى شمولي يركز الانتباه على صورة كلية عن الشخصية بكاملها، أكثر من قياس سمات منفصلة عن بعضها البعض. وكذلك تكشف الاختبارات الإسقاطية عن الجوانب اللاشعورية الكامنة، وكلما كانت مادة الاختبار غير محددة البناء كلما كان الاختبار أكثر حساسية للمحتويات الدفينة .

وتشير أنستازى Anastasi إلى أن معظم الأساليب الإسقاطية تمثل وسائل فعالة لإذابة الجليد خلال الاتصالات التمهيدية بين المعالج والعميل فالأساليب الإسقاطية تميل إلى تحويل انتباه الفرد بعيداً عن نفسه وبذلك تخفض القابلية للمقاومة. وتفيد الأساليب الإسقاطية بوجه خاص في التواصل مع الفاحص . (Anastasi 1988: 595- 612)

ويشير مصطلح "اختبار إسقاطي" إلى بعض الوسائل غير المباشرة في دراسة الشخصية والتي بواسطتها يمكن الكشف عن شخصية الفرد نتيجة ما تهيؤه من مادة مناسبة يسقط عليها الفرد حاجاته ودوافعه ومدركاته ورغباته ومشاعره وتفسيراته الخاصة دون أن يفطن إلى ما يقوم به.

ومن أشهر الأساليب الإسقاطية المستخدمة عالمياً اختبار الروشاخ ١٩٢١ واختبار تفهم الموضوع T.A.T (موراى ١٩٣٨) وهم يستخدمون مثيرات مرئية غامضة والتي لا بد للمفحوص أن يصفها فاختبار روشاخ يتألف من مجموعة بقع حبر متناسقة أما اختبار تفهم الموضوع فهو عبارة عن أشكال إنسانية غامضة والجوهر هنا هو الغموض. (Paul Kline 1993 : 243)

قضية الثبات والصدق في الاختبارات الإسقاطية:

الواقع إن مشكلة الصدق والثبات للاختبارات الإسقاط من المشكلات الأساسية التي واجهت علماء النفس الإكلينيكى والتجريبى والإحصائى. فإن كان هناك فريق يتفق على أن مسألة الثبات والصدق لا تعتبر مشكلة حقيقته في الاختبار الإسقاطى ، إذ أن الغرض الذي من أجله وضعت هذه الاختبارات غرض إكلينكي، إلا أن الفريق المضاد ينادى بضرورة تطبيق المناهج العلمية المنتظمة على هذه الاختبارات. بمعنى أنه يجب أن تخضع لمقاييس الصدق والثبات شأنها شأن الاختبارات التي تقيس جوانب من الشخصية. وتتعدد نظرتهم إلى الموضوع فهناك من يذهب إلى إهمال الثبات والاقتصار على صدق الاختبار وجعله مركز الاهتمام بمعنى أنه ينادى بضرورة تطبيق المناهج العلمية المنتظمة على هذه الاختبارات، وذلك على افتراض أن الصدق يتضمن الثبات. في حين يذهب البعض الآخر إلى ضرورة أن تخضع الاختبارات الإسقاطية لمعايير الثبات والصدق التي تخضع لها الاختبارات الأخرى لمقياس الشخصية لكن يجب أن تعدل طرق تقديرها خصيصاً لتتفق والصفات غير العادية لهذه الطرق وخصائصها. (سيد محمد غنيم وهدى برادة ١٩٧٥ : ٢٩، ٣٠).

وتؤكد أنستازى في "رؤية لإجراءات التصحيح المعيارية وعدم ملائمة البيانات المعيارية" أن ثبات المصحح يصبح له اعتبار هام في الاختبار الإسقاطى، فبالنسبة للأساليب الإسقاطية لابد من قياس ملائم لثبات المصحح يتضمن ليس فقط التصحيح الأولى الأكثر موضوعية ولكن أيضاً المراحل التكاملية "التفسيرية النهائية" وتضرب مثلا في ثبات إعادة الاختبار.

إن ثبات الاختبار يمثل مشكلة خاصة، فإنه مع الفترات الطويلة قد تحدث تغيرات أساسية في الشخصية والتي ينبغي على الاختبار أن يكشفها. ومع الفترات القصيرة، فقد لاتوضح إعادة الاختبار أكثر من مجرد تذكر للاستجابات الأصلية. فإنه عندما وجه الباحثون المبحوثين ليكتبوا قصص T.A.T مختلفة على الاختبار المعد بهدف تحديد ما إذا كانت نفس الموضوعات سوف تعود فإن معظم المتغيرات التي تم تصحيحها قدمت ارتباطات دالة لإعادة الاختبار. (لنذري وهيرمان ١٩٥٥) . (Anastast 1988 : 595)

أما بالنسبة للصدق:

فتقول أنستازى : بالنسبة لأي اختبار يكون السؤال الأكثر أهمية هو الخاص بالصدق.. فلقد اهتمت الكثير من الدراسات بتحقيق صدق الاختبار بالنسبة للاختبارات الإسقاطية (بتحقيق الصدق المرتبط بالمعيار بشكل متزامن) ومعظم تلك الدراسات قارنت أداء المجموعات المتغايرة مثل المجموعات المهنية أو التشخصية. وفيما يتعلق بالمعايير فإن تلك المجموعات تختلف في الغالب في سمات أخرى مثل السن أو التعليم. وقد استخدمت بحوث أخرى عن الصدق المتزامن أسلوب التناظر حيث تم مقارنة مواصفات الشخصية المشتقة من سجلات الاختبار بأوصاف أو بيانات عن نفس الشخص مأخوذة من تاريخ الحالة، أومقابلات نفسية، أو سجلات سلوكية طويلة المدى. وقد بحثت بعض الدراسات الصدق التنبؤى في مواجهة مثل تلك المعايير كالنماذج في أنماط تدريب متخصصة، أوالأداء الوظيفي، أو الاستجابة للعلاج النفسي. وقد كان هناك ميل متزايد لبحث صدق المضمون للأدوات الإسقاطية عن طريق اختبار فروض معينة تنطوي على استعمال وتفسير كل اختبار.

وتستطرد أنستازى وتقول: فقد يكون لدى المحكمين بعض المعرفة عن أداء المفحوص على الاختبار وبالمثل فقد يحصل الفاحص على دلائل حول السمات الشخصية للمفحوص من خلال المحادثة معه في فترة أجراء الاختبار أو من تاريخ الحالة أو من أي مصادر أخرى غير مرتبطة بالاختبار وهناك أيضا استعمال تحليل غيابى والذي فيه يتم تفسير سجل الاختبار بواسطة مصحح ليس لديه أي صلة بالمفحوص وليس لديه أية معلومات عن أكثر من تلك

الموجودة في "بروتوكول" الاختبار. على أية حال فلقد وضح أن التحليل الغيابي يعتبر أسلوبا غير مفيد لتفسير استجابات اختبار إسقاطي ولا يتوافق مع أسلوب استخدام تلك الأدوات.
(Anastasi 1988 : 616)

وتشير ساميه القطان إلى أن الاختبارات الإسقاطية هي اختبارات ولكنها ليست بمقاييس مقننة على أي نحو، فالمعطيات التي نحصل عليها من الاختبار الإسقاطى إنما تتحدد قيمتها ودلالتها بالرجوع إلى الوحدة الكلية للشخصية، وتمكننا من أن نبلغ إلى فهم هذه الشخصية استنادا إلى مفاهيم السيكودينامية وذلك كله بعيداً عن المعايير الإحصائية التي تستند إليها المقاييس المقننة في تحديدها لمكان المفحوص من الآخرين بتجميع النتائج الجزئية.
(سامية القطان ١٩٧٩ :٩٠، ٩١)

ومثل هذا الأسلوب يصعب تطبيقه بالنسبة للأساليب الإسقاطية التي تقوم على أساس تحليل المضمون للاختبارات ديناميا، وحتى إذا أمكن اتباع هذا المنهج المعياري فإن فائدته لن تكون كبيرة بل وتؤدى إلى مزيد من التجزئية والتجهيلية للوحدة الكلية للشخصية. فإذا ما كان ظهور الاختبارات الإسقاطية نتيجة ميلاد التحليل النفسي، فمن ثم فإن إطارها النظري يعتمد أساسا على مفاهيم التحليل النفسي.

أما مليكة فيرى أن معظم دراسات صدق الاختبارات الإسقاطية غالبا ما تركز على صدق المحتوى بمعنى إلى أي حد يبدو الأسلوب مطابقاً لنظرية معينة في الشخصية

(لويس مليكه ١٩٨٥ : ٣٠)

ويعرض لنا رشاد كفافى ثلاث مراحل للصدق في الأساليب الإسقاطية، ينطوى كل منها على نوع من الصدق كما يلي:

١- مرحلة صدق الاختبار:

إن المسلمة الأساسية التي تتضمنها هذه المرحلة أو المرحلتان التاليتان، هي مبدأ الحتمية السيكولوجية. فكل ما يقوله المفحوص في استجابته على صور الاختبار مثلا محتوم، أي أنه ذو دلالة ومعنى، فمبدأ الحتمية هنا إنما يكون إطارا عاما لهذه المراحل جميعا. إن صدق الاختبار بما هو صدق إمكانية الكشف عن النفس الإنسانية يرتبط بوظيفة محددة، تحددها طبيعة الاختبار، فاختبار تفهم الموضوع T.A.T مثلا اختبار للمحتوى أساسا يبين لنا ديناميات العلاقات الإنسانية، وبمقدار ما يكشف الاختبار عن المحتوى يتحدد مستوى صدقه.

٢- صدق المستبر:

وهو يعنى صدق الفاحص الذي يقوم بتطبيق الاختبار. ولصدق المستبر تأثير على صدق الاختبار ذاته، أي على المرحلة الأولى من الصدق، فالاختبار الإسقاطى الذي قصد منه الكشف عن أغوار النفس الإنسانية، وما يعتمل في داخلها من صراعات وعمليات لا شعورية لن يتسنى للفاحص أن يميط اللثام عن هذه الجوانب لدى المفحوص على نحو يتسم بالقدرة والكفاية، ما لم يكن على درجة من السواء النفسي ومن فهم للذات، تمكنه من أن يقوم بهذا الدور، وأن صدق المستبر يتمثل في نجاحه في استكشاف أعماق النفس الإنسانية لدى المفحوص، والحصول على مادة ثرية تتيح للباحث أن ينجز عملية استكشاف هذه المادة من خلال التفسيرات الفاهمة لها. أي أن الثراء ينعكس بدوره في ثراء التفسير.

٣- صدق التفسير والمفسر:

في هذه المرحلة نكون بصدد الاستجابات التي أسفر عنها تطبيق الاختبار ونحاول فهم مالها من دلالة ومغزى، ويتبدى ذلك فيما يقدمه المفسر من تفسيرات لهذه الاستجابات مسترشداً بنظرية دينامية في الشخصية، غالباً ما تكون نظرية التحليل النفسي، وإن مركز الثقل في هذه المرحلة هو الإنسان، كما يتبدى لنا من خلال استجاباته الإسقاطية، حتى يتسنى لنا أن نقترب من فهمه ما وسعنا الاقتراب.

الثبات :

أما عن الثبات فقد جاء "كفافى" أيضا برأي مؤداه أن التساؤل عن ثبات الاختبار يتعارض مع مسلمة أساسية ألا وهى دوام وثبات الشخصية الأساسية فإذا سلمنا بأن ما استجاب به المفحوص يلقى الضوء على ديناميات شخصيته فإن هذا يتضمن في نفس الآن التسليم بدوامها وثباتها .... ومن ثم يمكننا أن نختزل الثبات ونرده إلى الصدق. فصدق تفسيرنا للشخصية الإنسانية كما يتبدى من خلال الاستجابات يتضمن الكشف عن خصائصها التي تنطوي على خاصية الثبات ضمن ما تنطوي عليه. (محمد رشاد كفافى ١٩٧٣ : ٤٨- ٤٩)

ولما كان اختبار تفهم الموضوع في مقدمة الاختبارات الإسقاطية التي تدرس الشخصية بهدف الكشف عن الدوافع والانفعالات والصراعات المعتملة فيها وخاصة النزعات المكفوفة التي لا يرغب الفرد في الكشف عنها أو النزعات المكبوتة التي لا يكون واعيا بها شعوريا، فضلا على أنه يكشف أكثر من أي اختبار آخر عن الديناميات الفعلية للعلاقات بين

- الذاتية... والعلاقات الندية بما تحمله من تنافس بين الموضوعات الأنثوية والذكرية.. وطبيعة المخاوف وقوتها ... وطبيعة العلاقات بالنماذج الوالدية والصراعات التي تكتنف تلك العلاقات. (لويس مليكه ١٩٨٥ : ٤٢٩)

ولذلك فقد تم اختيار "تفهم الموضوع" لهنرى موراى لما له من قدرة على دراسة الشخصية وتفسير اضطراب السلوك وبالكشف عن ما يعتمل في نفس الفرد من صراعات ونزعات ودوافع... بل يكشف عن الأمراض السيكوباتية والعصاب والذهان.

أ- اختبار تفهم الموضوع (T.A.T)

في عام ١٩٣٥ وصف موراى ومورجان مجموعة من الصور التي نستخدمها من بين عدد من الوسائل التجريبية الأخرى، لإثارة الخيال. ومن ذلك الوقت تم تعديل تلك الصور عدة مرات. وقد طور موراى مجموعة من المواقف المصورة باختبار تفهم الموضوع تم تعميمها خصيصاً لهذا الغرض.ولا تقتصر قيمة الـ T.A.T على المجال الإكلينيكي فحسب بل تتعداه إلى مجال البحوث الاجتماعية والدراسات الحضارية المقارنة.ويوفر T.A.T إضافة قيمة لروشاخ. فبينما يوفر روشاخ معلومات تتعلق بعمليات أقل أو أكثر عمومية خاصة بالشخصية (مثل حرية التعبير الوجداني، أسلوب معالجة القلق) فإن T.A.T يميل للسماح باستدلالات ذات طبيعة أكثر تحديدا .(Pennington & Irwin A.Berg 1954 : 203)

ويمدنا اختبار T.A.T أكثر من أي اختبار آخر بالمحتوى أو المضمون وبديناميات العلاقات الشخصية الاجتماعية، كعلاقات المفحوص بنماذج السلطة ونماذج الأقران من الجنسين كما يمدنا في الأغلب بما يكشف عن إمتدادات وأصول هذه العلاقات في النمط العائلي ،هذا بالإضافة إلى أنه يكشف عن التدرج الهيكلي في حاجات المفحوص ودوافعه ونوع ومدى التكامل بين الهو والأنا والأنا الأعلى. (رشدي فام منصور وفرج أحمد فرج ١٩٧٤ : ١-٢)

ويرى بيلاك أن الافتراضات الأساسية في تفسير اختبار تفهم الموضوع هي:

١ -الحتمية السيكولوجية **Psychological determination**

بوصفها حالة خاصة من قانون العلية، بمعنى أن كل شئ يقال أو يكتب بوصفه استجابة لمثير- شأنه في ذلك شأن كل نتاج سيكولوجي - له معناه وسببه الدينامى.

٢ -تعدد الحتمية أو الحتمية الزائدة **Over Determination**

بمعنى أن كل جزء قد أسقط له أكثر من معنى واحد وكل معنى يقابل مستوى معين من بناء الشخصية، فقد تؤخذ القصة على مستوى شعوري كما أنها قد تؤخذ على أنها تعكس صراعاً هاماً لدى المفحوص في مستوى قبشعورى، وفى نفس الوقت يكون لها معناها الرمزي أو الدلالي في المستوى اللاشعوري. كذلك فكل فعل قد يكون له معانية اللاشعورية المختلفة، وكل منها صادق في علاقته بالشخصية ...لها فالقصة في اختبار تفهم الموضوع كالحلم، وعلى هذا الأساس فهي نتاج سيكولوجي...تفسر بأكثر من تفسير وتكشف لنا عن رغبات عديدة متصارعة. والأخصائي المدرب هو الذي يستطيع أن يرى تلك المعاني اللاشعورية المختلفة التي تكمن خلف القصة. **(محمود الزيادي ١٩٨٨: ٢٤٥-٢٤٦)**

٣ -الاستمرارية **Continuity**

بمعنى أنه يوجد على الأقل شخصية أساسية لكل فرد بالرغم من تعدد الأنماط السلوكية تبعا للمواقف المختلفة. (Bellak 1954 : 28)

اختيار البطاقات:

يتكون الاختبار من ٣١ بطاقة، عشر بطاقات للذكور وعشر للإناث، عشرة بطاقات مشتركة بين الجنسين ، بالإضافة الى بطاقة بيضاء تصلح لجميع الفئات السابقة.

ويعتقد بيلاك أن هناك بعض الصور التي يجب أن تستخدم بوصفها أساسية في الكشف عن المشاكل المتعلقة بالديناميات الأساسية التي تصادفنا في كل حالة. ويضيف أنه يمكن للباحث إضافة أي قدر من الصور التي يجدها ضرورية لتفسير الحالة الشخصية للمفحوص كما يستدل عليها من تاريخ الحالة.

وحرصاً من الباحثة على تغطية كافة تساؤلات الدراسة بالإضافة إلى المعلومات الإضافية التي تساهم بقدر ليس بالقليل في الفهم العميق لكل حالة تم تطبيق عشرين بطاقة على أفراد العينة وكان ترتيب البطاقة ترتيباً مسلسلا بدءاً من بطاقة رقم (١) إلى بطاقة رقم (٢٠).

وصف البطاقات وما تعكسه من دلالات:

البطاقة (1) :

بقدر ما تعكس هذه البطاقة صورة الذات وطموحاتها، فهي تعكس أيضاً قدرة الذات على التوفيق بين جانبي الصراع في تفاعلها مع الواقع المعاش. تصور لنا أيضاً العلاقات تجاه الوالدين بوصفهما مصادر للعدوان أو السلطة أو الإحباط أو بوصفهما مصادر للمساعدة والحماية. وبقدر ما تلقى من ملامح على التعيين فهي تكشف الصورة الذكرية.

كما تكشف هذه البطاقة عن الجنسية الطفلية والعلاقات الجنسية فى الرشد.

البطاقة (2) :

تعكس لنا البطاقة الواقع المادي والنفسي للأسرة من خلال العلاقات القائمة بين الموضوعات، وموقع المفحوص منها وأسلوب التفاعل مع هذا الواقع. وما تعتنقه الذات من قيم سواء للانسلاخ من هذا الواقع أو لتأكيد الانتماء إليه. كذلك تكشف علاقة السيدتين بالرجل أب – زوج – أخ عن فكرة المفحوص عن الدور الذي ينبغي أن يقوم به كل من الرجل والمرأة. (لويس مليكه ١٩٨٥ :٤٥٨ – شادية علام ١٩٩٣ :١١٦-١١٧)

البطاقة (3 BM) :

تحتل أهمية في الكشف عن أنماط التعيين لدى النماذج (الذكرية) وكذلك طبيعة المشاعر العدوانية للمفحوص وما إذا كانت موجهة للخارج أو الداخل ، أو أنها تتعرض للكبت الشديد.

البطاقة (4) :

تعكس البطاقة موقف جيد للتعرف على موقف المفحوص من العلاقة الجنسية الغيرية.

البطاقة (5) :

تشكل هذه البطاقة مصدراً تكثر فيه الموضوعات الأوديبية من خلال نمط العلاقة بالأم (كما تدرك عادة السيدة) وماتنطوى عليه بشكل غير مباشر من علاقة ومشاعر تجاه صورة الأب.

البطاقة رقم (6 BM) :

وهذه البطاقة لا غنى عنها للذكور فهي تعكس علاقات الابن بالأم من خلال الطرح الأوديبي. وعلى مستوى آخر تكشف تصور المفحوص لصورة الأم والدور الذي تلعبه في حياة المفحوص وقد ينسب اتجاهاته إلى شخص آخر غيره (مثل بائع محامى، مدرس ..... الخ). (لويس مليكه ١٩٨٥ :٤٥٨ ٤٧٥ – شادية علام ١٩٩٣: ١١٦-١١٧)

البطاقة (7 BM) :

قد تعكس القصص في بعض الأحيان اتجاه المفحوص نحو السلطة ومطالب العالم الخارجي بكافة أشكالها اعتمادا واتكالا، وامتثالا لأوامرها، أو خروجا على طاعتها. وقد تشير القصص غالباً إلى اتجاهات المفحوص نحو الذكور الراشدين ونحو بعض المشكلات التي تشغل بالهم.

البطاقة (8 BM) .

تتركز الموضوعات الأساسية في هذه البطاقة حول العدوان. كما توضح لنا مشاكل العلاقات الطفلية.

البطاقة (9 BM)

تكشف هذه البطاقة عن علاقات الرجل بالرجل. وفكرته عن العلاقات الاجتماعية، وإن كانت تظهر لنا بوضوح دوافع الجنسية المثلية فهي تظهر لنا أيضا بنفس الوضوح العدوان وأشكال التعبير عنه سواء بصور صريحة أو مقنعة.

البطاقة (10)

تعكس العلاقة بين النموذج الذكرى والأنثوي وعلى وجه التحديد نمط العلاقة العاطفية وما تتميز به من تواصل أو جذب من خلال إدراك صورة الذات وقيمها في مقابل صورة الآخر وقيمه وما قد يشوب هذا الإدراك من تحريفات. فضلاً عن أنها تعكس الاتجاهات نحو العلاقات الوالدية.

البطاقة (12 M)

وهى مهمة جداً في إيضاح خصائص العلاقة بين شاب صغير ورجل كبير والخوف من أن يصبح تحت سيطرة شخص أكبر منه أو أعلى منه مكانة.

(لويس مليكه ١٩٨٥ :٤٥٨ ٤٧٥ –شادية علام ١٩٩٣: ١١٦-١١٧)

البطاقة (13 MF)

تعكس العلاقة الجنسية الغيرية في صحتها ومرضها كمحك للنمو النفسجنسي، بالإضافة إلى موقف الذات من المشروعية واللامشروعية وما قد يترتب عليه من شعور بالإ ثم.

البطاقة (14)

تسمح بالتعبير عن أسباب الإحباط، والآمال والطموح. كما أنها ثرية في الكشف عن الميول الانتحارية.

البطاقة (15)

تستثير الصورة انفعالات حزينة عن الموت أو تستثير العدوان. ويدرك الشخص أحيانا أنه غول أو شبح، وأحياناً يدرك الرجل على أنه عطوف أو حزين على فقد عزيز لديه. و تعبر الميول الاكتئابية عن نفسها بوضوح في هذه البطاقة وما تعكسه من ديناميات.

البطاقة (16)

تعتبر هذه البطاقة مجالا رحبا للإسقاط لما للعناصر التي يدخلها المفحوص على البطاقة من حتمية ودلالة ومعنى.

البطاقة (17 BM)

من المعتاد أن تعكس هذه البطاقة موضوعات تنافسية. كما أنها مجال خصب لإسقاط النزعات السيكوباتية. هذا بالإضافة إلى ما تعكسه من تصور للجسم ونزعة نرجسية.

البطاقة (18 BM)

تعكس القصص شعور المفحوص بسيطرته على نفسه أو قلة حيلته عندما يتعرض لعدوان الآخرين، كما تكشف عن الخوف من تأثير غامض داخل الفرد. ويجب أن ينتبه الفاحص إلى ما إذا كانت هذه القوى الغامضة كامنة لدى الفرد ذاته أم خارجية وهل يضطرب بناء المفحوص للقصة نتيجة عجزه عن تفسير الأيدي الثلاثة.

البطاقة (19)

تعكس القصص غالبا رغبة المفحوص في الشعور بالأمن، كما تعكس الأسلوب الذي يأمل أن يواجه به الظروف المحيطة في بيئته وتكون القوى الخارجية غالباً قوى شريرة (مطر، عاصفة، جليد- أشرار، صاعقة .... الخ) وقد يتركز تفكير من بداخل الكشك على الأذى الذي يمكن أن توقعه بهم القوى الخارجية. وأهم ما في هذه البطاقة هو إمكانية استخدامها للكشف عن مدى قدرة المفحوص على تكوين قصة متماسكة من هذا الغموض الذي يسمح بمدى كبير من التفسير، وهل يتوقع الخير أم الشر، وكذلك وصفه للداخل والخارج، فقد تفسر النوافذ على أنها عيون، والأشكال السوداء على أنها سحرة، وتعكس هذه الاستجابات انشغالات خاصة ترتبط بمشاعر الذنب.

البطاقة (20)

وتكشف الاستجابات شيئا عن علاقة المفحوص ببيئته، والمشكلات التي تشغل كل أو معظم تفكيره، واتجاهاته الجنسية ونزعاته العدوانية كما تستثير البطاقة استجابات المفحوص للغموض وللوحدة وعدم القدرة على الحسم.

(لويس مليكة ١٩٨٥ : ٤٥٨-٤٧٥ ، شادية علام ١٩٩٣ : ١١٦ ، ١١٧)

ونراعي في تحليل القصص طبيعة البيئة التي يوجد فيها المفحوص والشخصيات التي يدخلها في القصة، وموقفهم منه، وهل هي مساعدة أم معوقه وهل يلاحظ المفحوص العري وبنيان الجسم.

إجراء الاختبار:

تراوحت جلسات تطبيق الاختبار بين جلستين وثلاث جلسات بحسب تداعيات المفحوص والزمن الذي يستغرقه لإنهاء كل قصة. وكذلك رغبة المفحوص في الاستمرار في التداعي وأيضاً ملاحظات الباحثة لإنهاك المفحوص.

تبدأ جلسة تطبيق الاختبار بإلقاء التعليمات الآتية : "دلوقت حعرض عليك بعض الصور .. كل واحدة لوحدها ... وعاوزاك تكون حكاية أو قصة على كل صورة أوريهالك ... تبين لي فيها إيه اللي بيحصل بين الأشخاص اللي انت شايفهم ... بيفكروا في إيه ... حاسين بإيه .... إيه اللي وصلهم للحالة دية اللي في الصورة ... والحكاية ده حتنتهى على إيه؟ ... بحيث يكون لكل قصة بداية ونهاية ... وتقدر تقول أي حكاية مفيش أي شروط فاهم؟ كويس جدا .... يلا دى أول صورة ..."

* بعد انتهاء الباحثة من إلقاء التعليمات بدأت في تسجيل استجابة المفحوص كتابت بكل دقه وقامت الباحثة بتسجيل : زمن الرجع ، ونص القصة،والزمن الكلى للقصة ، وأية تعبيرات إشارية أو انفعالية تظهر على المفحوص من ابتسامة هز، ضيق ، توتر، رفض وهكذا، وذلك بدون مقاطعة المفحوص حتى ينتهي من قصته.

توجه الباحثة للمفحوص أية تساؤلات عن القصة التي قامت بتسجليها بحيث تكون الاستجابة على تلك التساؤلات مؤثرة في دلالة القصة .... وتسجل هذه الإجابات تحت عنوان الاستفسار.

وتستمر الباحثة في عرض بقية الصور على نفس النهج حتى الانتهاء من جميع البطاقات. وقد التزمت الباحثة في تطبيق الاختبار بعدة اعتبارات:

١- أن تكون الجلسة ودودة ودافئة ودون أي إحساس بالضغط أو الضيق وإعطاء المفحوص الحرية المطلقة في التعبير عن استجاباته دون إلحاح أو دفع الى إطالة أو اقتضاب أي قصة.

٢- لم تتقيد الباحثة بالزمن حتى لا يتحول الاختبار إلى اختبار سرعة ومن ثم حتى لا يشعر المفحوص أنه في مجال تحقيق محدد الزمن والاستجابة.

٣- تم تدوين الاستجابات والإشارات الحركية للمفحوص دون تعديل للغة العامية التي تحدث بها المفحوص.

٤- لم تضغط الباحثة على أي من المفحوصين عند رفضه لبطاقة معينه وكانت تضع ذلك الرفض محل إعتبار عند تفسيرها.

أما من جهة التفسير: يقوم تفسير اختبار تفهم الموضوع على افتراض مؤداه أن "صور المدركات السابقة التي يكونها الفرد تؤثر في إدراكه للمثيرات الراهنة " ذلك أن الصفات التي يعزوها الفرد ودوافعه ونزعاته ورغباته وميوله أكثر مما تتصدر عن المثير الموضوعي ذاته ... ومن ثم يكون غموض المثير وعدم تشكيله متيحاً الفرصة للعوامل الذاتية في عملية الإدراك ... وتكون التغيرات التي يقدمها المفحوص مرشدنا إلى كثير من جوانب شخصيته. (سيد محمد غنيم وهدى برادة ١٩٧٥ : ٩ - ١١)

وبالرغم من أن هذا هو الأساس في التفسير إلا أن طرق تفسير اختبار تفهم الموضوع تتعدد وتتنوع طبقا لتدريب القائم بالتفسير، والانتماء النظري له ، وكذلك تبعا للغرض من تطبيق الاختبار.

فطرق تفسير اختبار تفهم الموضوع تتراوح من مجرد فحص سريع ومختصر للقصص يقوم به أخصائي مدرب يقصد التوصل لصورة إكلينيكية سريعة للعميل وأهم مشاكله... إلى تحليل دقيق يشمل كل جملة في كل قصة. (لويس مليكة ١٩٨٥ : ٤٥٣)

وقد فضلت الباحثة استخدام الطريقة التي تتلاءم وعدة محكات تفرضها طبيعة الدراسة، أي من حيث المنهج المستخدم وتساؤلات وأهداف الدراسة بمعنى أن الطريقة التي يجب أن تتبع في التفسير يجب أن تتسم بقدرتها على رسم صورة للمفحوص في وحدتها الكلية الشمولية وفى حركتها الدينامية والتي لا ينفصل فيها واقعها النفسى عن واقعها الاجتماعي والاقتصادي والحضاري ولا ينفصل أيضا ماضيها عن حاضرها وعن مستقبلها.

ب- (اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص H.T.P)

نظرا لأن الرسم أقل تهديدا وأكثر استغراقا للاهتمام، فإن أول اختبار في بطارية إسقاطية يمكن أن يقوم بدور القنطرة للفحص الإكلينيكي وذلك لأن الرسم يسمح للمفحوص بتجاهل الفاحص نسبيا في بداية الاختبار إلى أن يألف كل منهما الآخر. والرسم ييسر على الفرد الذي يعانى من صعوبات انفعالية من الانتقال من الرسم إلى التعبير اللفظي وهذا فضلا عن أنه وسيلة مفيدة في خلق الظروف المؤدية لتكوين علاقة طيبة بين الفاحص والمفحوص. (لويس مليكه ١٩٩٤ :١٢-١٥)

المسلمات النظرية التي يقوم عليها تكنيك الرسم:

يرى هامر Hammer أن مجال تفسير الرسم الإسقاطى يستند على عدة مسلمات نظرية :-

١ - إن لدى الإنسان ميلا للنظر إلى العالم بطريقة إنسانية مجسدة وذلك بناء على تصوره لذاته.

٢- يعد جوهر النظرة المجسدة للبيئة هو ميكانيزم الإسقاط، الذي يعرف بأنه العملية الدينامية النفسية التي ينسب فيها الفرد خصائصه ومشاعره واتجاهاته وآماله إلى موضوعات البيئة.

٣- التحريف في عملية الإسقاط يمتد إلى:

- الإسقاط كوظيفة دفاعية.

- المعطيات الجزئية الخاصة بالموضوع الموصوف والتي تمنح معان من الحياة الخاصة بالمفحوص والتي لا تتطابق مع الصورة الكلية والحقيقية للشئ الموصوف، بمعنى أن يخلع الشخص معان جزئية أو سطحية أو عرضية على الموضوعات دون أن يوجد ما يقابلها في عالم الواقع.

- الخصائص التي تنسب إلى هذا الموضوع والتي بإنسابها إليه يتمكن المفحوص من إنكارها في نفسه. (Hammer 1958 : 53, 45)

الفروض الأساسية التي تستند إليها اختبارات الرسم بعامة واختبار رسم المنزل والشجرة والشخص بخاصة:

١- كل جانب من جوانب السلوك له سببه وله دلالته. فالسلوك لا يحدث جزافا ولكنه يتحدد نتيجة لعدد من العوامل. فحركات الجسم والتعبيرات الوجهية والكتابة باليد والرسم، كل هذه جوانب من السلوك لها معناها بصرف النظر عما إذا كان هذا المعنى واضحا للفاحص أم غير واضح. ولكل رسم أو عرض أو خيال أو فعل تاريخه الذي نشأ عنه، وهو تاريخ دينامى منظم في مجال. والرسم أو الرمز في حالة معينة ينتج عن مجال فريد، ونفس الرسم أو الرمز في حالة أخرى قد يكون نتاجاً لمجال مختلف.

٢- سلوك المفحوص أثناء قيامه بالرسم له دلالة (تعليقاته اللفظية التلقائية تعبيرات وجهه، طريقة تناول القلم، حركات الجسم) . إذ يفترض أن السلوك يمثل استجابة المفحوص الانفعالية للعلاقات والمواقف والحاجات أو الضغوط التي يراها أو يشعر أنها تمثل بصورة مباشرة أو رمزية في رسم أو أكثر أو جزء منه. وهى سلوكيات يمكن التعرف منها على شخصية المفحوص.

٣- يفترض سيدنى ليفي أن المجال الذي ينتج رسماً معيناً يتكون من أبعاد متعددة فالرسم إسقاط لمفهوم الذات عند المفحوص، أو لصورة الجسم أو لاتجاهاته نحو شخص آخر في بيئته أو إسقاط للصورة النموذجية للذات، أو نتيجة لظروف خارجية أو تعبير عن أنماط من عادات أو عن حالات انفعالية أو إسقاط لاتجاهات المفحوص نحو الفاحص ونحو موقف الاختبار أو تعبير عن اتجاهاته نحو الحياة والمجتمع بعامة.

٤- تتعرض عملية الإسقاط للتحريف بالقدر الذي يكون فيه الإسقاط وظيفة دفاعية وبالقدر الذي تخلع فيه معاني جزئية أو عرضية أو سطحية على الموضوعات ودون أن يوجد ما يقابلها في عالم الواقع. (لويس مليكة١٩٩٤ : ١٢- ١٥)

ويشير هامر Hammer إلى خطورة بعينها ينبغي التنبه إليها تكمن في اعتمادنا على استنتاج تفسيرنا للرسوم على أجزاء معزولة في المعطيات الملاحظة. ويشير إلى ضرورة مطابقة ومراجعة التفسيرات ليس فقط مع رسوم أخرى ولكن مع بطارية من الاختبارات الإسقاطية ومع الانطباع الإكلينيكي أثناء المقابلة. و تاريخ الحالة وأي معلومات أخرى متاحة. فلابد أن تقوم التفسيرات على تجميع العديد من طرق جمع المعلومات.

ويعد هذا المبدأ (مبدأ التقارب وجمع المعلومات من مصادر مختلفة) المبدأ الأساسي في تحليل الأحلام والعلاج التحليلي الموجه. وفى حقيقة الأمر فإن هذا هو الأساس الجوهري في جميع مناهج الرسم. (Hammer 1958 : 50)

ويقول مليكة: " إن كل وحدة مرسومة تستثير في المفحوص ارتباطات شعورية وتحت شعورية ولا شعورية فالمنزل يبدو أنه يستثير ارتباطات تتعلق أساسا بمنزل المفحوص ومن يسكن معه فيه، والشجرة يبدو أنها تستثير ارتباطات تتصل بدور المفحوص في الحياة وقدرته على أن يجد الإشباع من بيئته وما فيها على وجه العموم، أما الشخص فالارتباطات التي يبدو أن رسمه يستثيرها هي تلك التي تتصل بالعلاقات الشخصية العامة والخاصة وكل من تلك الحالات تتضمن وقد تؤكد ما يتصل بالمعنى السيكولوجي لكل من الماضي أو الحاضر أو

المستقبل فمن خلال المقارنة بين الوحدات الثلاث من حيث الصراعات والدفاعات نستطيع رسم صورة كلية للمفحوص" . (مليكة ١٩٩٤ : ١٦)

إن للاختبار القدرة في الكشف عن تصور الذات وصورة الجسم في وقت واحد وعلى مستويات مختلفة للشخصية ، وهو أيضا يعكس انطباعا عن الفرد بوصفه كلا أو جشطلتا. وتنزع الأسئلة بعد الرسم في اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص إلى الغموض وإلى أن تأخذ صورة غير مباشرة ينطبق عليها مواصفات الأسلوب الإسقاطى ومن ثم فهي لا غنى عنها لفهم مشاعر المفحوص واتجاهاته، وليست مجرد معينات إضافية للتفسير. أما من حيث تأثير التدريب الفني على الجانب الإسقاطى في الرسم، فيرى هامر أن كلا من التدريب أو المهارة يسهل بدلا من أن يعوق التعبير عن الذات عن طريق الرسم، إلا أنهما لا يخفيا الظواهر الخاصة لصفات الرسام. (Hammer 1958:50)

إجراء الاختبار:

-كان يتم الحصول على رسم المنزل والشجرة والشخص على التوالي من المفحوصين وبشكل فردى، حيث تقدم ورقة بيضاء مقاس ٢١,٥سم وعرضها ١٧,٥سم ويطلب منهم رسم الوحدات الثلاثة على التوالي ابتداء برسم المنزل ثم الشجرة ثم الشخص.

١- كان يطلب من المفحوصين رسم الجنس المقابل للجنس المرسوم على صحيفة الغلاف.

٢- كانت الباحثة أثناء الرسم تقوم بتسجيل تسلسل التفاصيل، والمحو المتكرر لتفصيل قد سبق رسمه، أو أعاده المعالجة لتفصيل قد تم الانتهاء منه.

٣- تسجيل التعليقات اللفظية أثناء الرسم.

٤- تطبيق قائمة الأسئلة بعد الرسم، وهى تشمل أسئلة تتدرج في مستوى العمق الذي تكشف عنه فهناك أسئلة "الواقعية" "التداعي" "الضغوط" لكل وحدة من الوحدات الثلاثة.

٥- كان يطلب في النهاية من المفحوصين رسم في كل وحدة من الوحدات الأربع وعلى التوالي الشمس والأرض إذ لم يكن قد تم رسمهم تلقائيا أثناء رسم الوحدة.

خطوات التحليل الكيفي للاختبار:

١- المرحلة الأولى: "التحليل على خطوات" وتمثل في التحليل الدقيق خطوة للرسم من حيث بنود التفسير الخاصة بالاختبار، وتسجيل كل عنصر يبدو أن له دلالة.

٢- المرحلة الثانية: محاولة لتقييم وتفسير الترابط بين العناصر وتنظيمها لتكوين المفهوم.

٣- المرحلة الثالثة: وكانت محاولة لاستخلاص تقرير نهائي تعكس فيه جوانب البناء النفسي المراد الكشف عنها.

رابعاً: عينة الدراسة :

إن جدلية الحياة هي القانون الرئيسي لكل حياة. وبحسب هذه الجدلية تمضى الحياة في تطورها من الشيء إلى نقيضه. فالشيء يخلق نقيضه وينشب الصراع بين هذين النقيضين ويحتدم، قبل أن يتمخض صراع النقيضين عن ائتلاف جديد لن يلبث حتى يتمخض عن نقيضه وحتى ينشب بينهما الصراع وهكذا.

من ذلك نرى أن الموجود إنما يبدأ وجوده الحقيقي كنقيض لهذا الذي ولده فصميم وجوده هو أن يتناقض مع هذا الذي ولده وأن يدخل معه في صراع. وفى هذا ما يحدد اللحظة الحقيقية للميلاد الوجودي. إن الكائن البشرى يولد في هذه اللحظة التي يعي فيها وجوده بشكل مكتمل(البدني، والنفسي معا جميعا) في عالم اكتملت بالدلالة الجنسية أبعاده، ويعي وجوده هذا متناقضا وفى صراع مع الوجود الذي ولده. (صلاح مخيمر ١٠:١٩٨٦-١٤)

ومن هنا يرى مخيمر أن المراهقة هي الميلاد الحقيقي للكائن البشرى وكل ما يسبقها يعد بالأحرى وبمعنى ما امتدادا لوجود آخر هو وجود الأبوين (وجود الجيل السابق). فوجود الأبوين يواصل الحياة في هذا الكائن الجديد الذي لم يصبح كياناً بعد، والذي لن يبلغ إلى ذلك إلا في اللحظة التي يعيش فيها وجوده في صورته المكتملة المليئة، يعيش فيها وحدته الكلية بكل مظاهرها متناقضة مع وجود الأبوين وفى صراع معه.

وهذا هو ما يمكن أن نعبر عنه من الزاوية الجدلية بأن المراهقة من حيث هي وجود حقيقي، هى مزاج من شئ ونقيضه ، مزاج من شئ في سبيله إلى الخلع والفناء هو الطفولة، ونقيض في سبيله إلى الارتداء والنماء هو الرشد.

إذن المراهقة هي الميلاد الوجودى للكائن البشرى من حيث أنه يعي نفسه لأول مرة ذاتاً تريد أن تتحدد في مواجهة الذوات الأخرى، ووجوداً يلتمس ماهيته الخاصة ويتأهب للمسيرة الأولى في رحلة تحديد المصير التي تمتد امتداد الحياة

(صلاح مخيمر ١٩٨٦: ١٠ – ١٤)

ويشير فرج أحمد للمراهقة بقوله : المراهقة ليست طورا من أطوار النمو الجسمي وإنما هي شئ مختلف ، هي بالمعنى الوجودي الاجتماعي "وضع" أو "موقف" أو ظرف اجتماعي تاريخي، أتى به التطور الاجتماعي التاريخي ، وجسده في مواجهة الإنسان وهو ينتقل من الطفولة إلى "البلوغ". المصطلح الآخر إذن هو مصطلح البلوغ أي النضج، ينتقل الطفل من الطفولة إلى البلوغ ، والبلوغ هنا هو الظاهرة أو المصطلح الجسمي البيولوجي،

البلوغ ظاهرة جسمية بيولوجية واضحة حاسمة ترتبط على نحو حاسم قاطع بالجسم(بأعضائه بوظائفه)، فالبلوغ يرتبط بالنمو والنضج، وهو تحقيق القدرة الجسمية على حفظ النوع، وقد تبدأ مظاهره في الثانية عشر، أو الثالثة أو الرابعة عشرة. وبالبلوغ يكتمل الوجود الحي في قدرته على الاستمرار في حفظ النوع. ولا يقتصر البلوغ على الجانب الجنسي وإنما يلازم الجانب العقلي والعضلي. (فرج أحمد فرج ١٩٩٢)

فمع بداية مرحلة البلوغ تتحول الحياة الجنسية الطفولية (اللهو) إلى شكلها البالغ وتظهر المرحلة التناسلية عند البلوغ عندما تنضج الأعضاء التناسلية ، ويوجد إحياء للرغبات الجنسية والعدوانية والدافع الجنسي، الذي كان من قبل ذاتياً (متجه نحو الذات) وقد أعيد توجيهه ليبحث عن الإشباع من خلال تفاعل جيد مع الآخرين. ففي خلال مرحلة الكمون يفضل الأطفال صحبة القرناء من نفس الجنس ، وفي الوقت المحدد يتحول موضع (هدف) الدافع الجنسي إلى أعضاء الجنس الأخر. ووفقاً لما يقوله فرويد فإن المرحلة التناسلية تمثل نقطة النهاية لمرحلة طويلة بدأت من النشاط الجنسي الذاتي إلى الشكل الثقافي للنشاط الجنسي المغاير (مع الجنس الآخر) فقد اعتقد فرويد أن الأفراد الناضجين يبحثون عن إشباع دوافعهم الجنسية بوجه أساسي من خلال النشاط التناسلي المنتج مع أفراد الجنس المخالف.

وإذا لم يفلح الفرد خلال البلوغ، لأسباب خارجية أو داخلية، في أن يخرج من استعداده الأوديبي، ويتخلى عن دوافعه الجزئية، ويثق باتجاهه "التناسلي" في حياته الجنسية فإن الاضطرابات الأكثر تنوعاً ستنشأ في حياته العاطفية (الغرامية) والانفعالات الدافعية الجنسية المثلية التي تبدو بصورة منتظمة على وجه التقريب خلال البلوغ يمكنها أن تثبت وتستمر خلال الحياة كلها. وإذا لم يطرأ على الدوافع الجزئية ضرب من التقليص، فإنها تستمر موجودة على شكل انحرافات. وتبدو جميع أشكال العجز بعد البلوغ مباشرة على الأغلب. وتبدأ الغالبية من ضروب العصاب والذهان خلال فترة البلوغ.

ومن الطبيعي أن يتجاوز الفتى مرحلة البلوغ على نحو أكثر سهولة بمقدار ما يكون التطور الجنسي السابق أكثر سواء.

محكات اختيار العينة ومبرراتها :

مما لاشك فيه أن هناك عوامل تتداخل في مواصفات العينة وعددها، وهى الهدف من البحث والفروض أو تساؤلات الدراسة المراد الكشف عنها هذا بالإضافة إلى عامل مهم وهو ما يستخدمه الباحث من فنيات كمنهج معين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن على الباحث أن يضع محكات أكثر تحديداً تحسم هذا الاختيار وتحقق له بقدر المستطاع ضبطه لبعض

المتغيرات الخارجية التي قد يؤثر تداخلها على مجريات البحث والهدف منه. كما أن وصفه لهذه المحكات لابد وأن ينبع مما يعتنقه من فكر نظري يحدد مسار الفهم ومستويات التفسير.

ونظراً لأن الدراسة الحالية تهدف إلى التعرف على البناء النفسي لدى كل من الأبناء غير الشرعيين والمودعين بالمؤسسات. والأبناء الشرعيين (لديهم أب وأم ويعيشون معهم) فاقتضى الأمر أن تقوم الباحثة باختيار مجموعتين :

المجموعة الأولى: وهى مجموعة الأبناء غير الشرعيين ويقيمون داخل أسرهم والمودعين بالمؤسسات وتكونت من (٤) أفراد ذكور.

المجموعة الثانية: وهى مجموعة الأبناء الشرعيين وتكونت من (٤) أفراد ذكور.

وبالتالي أصبح العدد النهائي لعينة البحث الحالي (٨) أبناء ذكور موزعين على المجموعتين السابقتين، وقد تم اختيار كل مجموعة على النحو التالي:

محكات اختيار عينة الأبناء غير الشرعيين (المجموعة الأولى)

أولاً: قامت الباحثة بحصر لحالات الأبناء غير الشرعيين في فئة السن المعنية بالدراسة وهى مرحلة المراهقة من ١٥-١٧ سنة. وذلك عن طريق مديري الشئون الاجتماعية بمحافظة القاهرة (إدارة الأسرة والطفولة).

ثانياً: بعد الوصول إلى الأماكن التي تتوافر بها العينة في محافظة القاهرة ظهرت صعوبة تتخلص في نقطتين:

١- في بعض الأماكن كان الأخصائي الاجتماعي يحرض الأولاد على عدم التعاون مع الباحثة وكان على ما يبدو أن السبب يتلخص في أن الأخصائي يخشى من إطلاع الباحثة على بعض الأمور المنافية للأخلاق والإنسانية بينه وبين هؤلاء الأولاد.

٢- وفى البعض الآخر وجدت العينات وقد سبق عليهم تطبيق بعض الاختبارات المتشابهة مع اختبارات البحث.

ولهذه الأسباب لجأت الباحثة إلى المحافظات بعد التأكد من الشروط الواجب توافرها في العينة، والتي تلخصت في الآتي:

١- استبعاد الأولاد الضالين والمطرودين من ذويهم ويقيمون بالمؤسسة لحين تسليمهم لذويهم أو اتخاذ إجراء رسمي حيالهم.

٢- استبعاد الأولاد الذين على ذمة قضايا النسب.

٣- استبعاد الأولاد الذي سبق لهم العقاب على بعض القضايا.

٤- استبعاد الأولاد المصابين ببعض الأمراض أو التخلف العقلي.

٥- الحصول على الأولاد الذين لديهم وعى بأنهم مجهولى النسب.

وهكذا تم اختيار الأبناء غير الشرعيين من جهتين

١- قريه S.O.S بقرية سرباى بطنطا بمحافظة الغربية.

٢- ملجأ الأيتام بقرية هرية رزنة – الزقازيق محافظة الشرقية.

محكات اختيار عينة الأبناء الشرعيين (المجموعة الثانية).

المجموعة الثانية :

يلاحظ أننا لم نطلق على المجموعة الثانية، المجموعة السوية أو الضابطة، وذلك لأن لفظ السواء بالإضافة إلى أنه مفهوم مثالي .... مفهوم نفسي يقتضي توفر أبعاد وسمات نفسية معينة لم تختر هذه المجموعة على أساسها فأفراد هذه المجموعة لم يشترط فيهم، ولم تختر بناء على أبعاد نفسية معينة وإنما كان المعيار مجرد وجود الأب والأم مع الأولاد ولم يسافر أحدهما لفترة زمنية حتى ولو كانت قصيرة. كذلك لم تختر هذه المجموعة بناء على متغيرات محددة سلفا. وبخاصة فيما يتعلق بالمتغيرات الاجتماعية، وأن يكون الابن خاليا من الأمراض المزمنة أو الإعاقات المختلفة.

وعموما وبالنسبة للمجموعتين كان هناك شرطان

السن : متوسط العمر ١٥ سنة، حتى نضمن خلالها تشكيل ملامح الشخصية والمرور بالمراحل التطورية. وما يترتب عليه من ملامح التعيين والتوحد بالصور الوالدية.

التعليم: فالمدرسة كأحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية تلعب دورا كبيرا في بناء مفاهيم وقيم وتقاليد اجتماعية لدى الطفل تتيح له بناء قيمي وخلقي يختلف اختلافا كبيرا عن مجال الحرف الدنيا. لذا فإن محك التعليم لدى المفحوصين محك أساسي في اختيار العينة حيث يزداد الوعي بقيم المجتمع ومعاييره.

مواصفات العينة:

تتصف عينة الدراسة وفقاً للمحكات السابقة ومحددات الإطار النظري بما يلى:

اولاً: الســـــن:

يقع جميع افراد العينة فى الفئة العمرية من ١٥-١٧ سنـــــة

توزيع افراد العينة على متغير السـن

مجموعة الأبناء غير الشرعيين.

فئات الأعمار بالسنوات	العـدد
١٥	١
١٦	٢
١٧	١
الجموع	٤

مجموعة الأبناء الشرعيين

فئات الأعمار بالسنوات	العـدد
١٥	ـــــ
١٦	٣
١٧	١
الجموع	٤

ثانياً: التعليـم:

إندرجت عينة الدراسة من حيث التعليم الى عدة مراحل وهى اعدادى ، ثانوى فنى ، ثانوى عام. المستوى التعليمي

مجموعة الأبناء غير الشرعيين

المرحلة التعليميـــة	الصف الدراســى
الإعدادية	الصف الثانى
الإعدادية	الصف الثالث
الإعدادية	الصف الثالث
الثانوى الزراعى	الصف الأول

مجموعة الأبناء الشرعيين

المرحلة التعليميـــة	الصف الدراســى
الثانوى العام	الصف الأول
الثانوى العام	الصف الثانى
الثانوى العام	الصف الثانى
الثانوى العام	الصف الثانى

الفصل الخامس

نتائج الدراسة الميدانية

نتائج الدراسة*

تتناول الباحثة فى هذا الفصل عرض نتائج الدراسة الميدانية لأفراد العينة (الأبناء غير الشرعيين ، والأبناء الشرعيين) من خلال عرض التقرير النهائى لكل حالة على حدة مع إحالة القارئ إلى النتائج التفصيلية فى ملاحق البحث التى احتوت على كافة الإستجابات والنتائج والتفسيرات الممكنة لتعذر عرضها بشكل مفصل فى متن الرسالة.

أولاً : نتائج الدراسة الخاصة بالأبناء غير الشرعيين .

مشكل أوديب هو مشكل النسب ... إنه يتساءل ممن ولد ... وكاهنة الوحى تجسيد مادى للصوت الداخلى جعلته يطرح على نفسه السؤال من أنا من هو أبي .....

التقرير النهائي للحالة الأولى*:-

- عبر لحظات من الألم ومع ماضى يهلك لحظات الحاضر ، طرح المفحوص من خلال المقابلة... اسمه ثم اسم الأب ... ثم قام بإلغاء الإسم وإقصاءه (أنا بس عارف إن أسمي: س ، أما إسم الأب ماعرفهوش).

فمن حيث فكرة التسمية هى التى تحدد النسب والقرابة ، وتحدد أيضاً فكرة الربط والفصل وتحدد علاقة الذات بالذوات الأخرى. إلا أن فقدان النسب للمفحوص تسبب فى إنهيار الذات وأصبح العالم بالنسبة له (كل وقته وخلاص) ، فجاء السقوط (عدت ٣ مرات إعدادي) والتخبط (دخلت ميكانيكا ونقلت زراعة) إنه سقوطاً وتخبطاً نسبياً (من هو أبي ؟) فالذات تشكلت عبر نقصاناً وفقداناً للكينونة... لجذور ... ، فالإنسان إبن أبيه وأمه ، وفى ذلك يكمن القدر الذى لايفلت منه أي شخص والذى ينقله لنا المفحوص عبر المقابلة هكذا (لو شفت أبويا ،امي الحقيقيين لو جابوا ملايين الدنيا وقالوا إرجع مش حرجع) هذه الإستجابة رسمت صورة لتلك الأم التى طحنت وجوده بوضعها له (فى كرتونه)... صورة مضغت وإبتلعت وهضمت حقوق الذات ، كيانه الإجتماعي وبنائه النفسي ، صورة فرضت الوجود غير المشروع. أما صورة الأب صورة عجزت عن المساندة والدعم .. فالأب هارباً متخلياً عن وظيفته وأجهض ما تبقى لذات من وجود بإغتصابه لوجوده الشرعي ومن قبل إغتصابه لأمه فهو يشعر (أنه مفعول به) إنها صورة تآمرية إضطهادية.

---

*) تحيل الباحثة القارئ الكريم إلى الملاحق التى تضمنت النتائج التفصيلية لعينة الدراسة (الأبناء الشرعيين وغير الشرعيين).

*) راجع ملحق الدراسة ص ٣:٣٨

ويعـرض المفحوص مأساته .. فمع سرقة كيانه ، عمره ، ووضع لافتة علـى صدره (أولاد حرام) لن يستطيع أن يواجه ويتزوج من عائلة.. فهو منعوت بالزنا واليتم ولم يكن بوسعه فى شـروط مشـابهه إلا أن يصـبح إما متوحشاً يستجيب عدوانياً أو منسحباً أو ساخطاً (هو حد حياخد بكلامي).

وتكشف الإستجابات على بطاقات إختبار تفهم الموضوع عما يلي:

❖ تكشف الاستجابة عن فعالية الأب المتخيل كدفاع رئيسى ضد غياب الأب الفعلى وتـراجع الوسـاطة الأبوية التى تحقق التوازن ما بين رغبات الهو وقسوة الأنا الأعلى. ولم يترك الأب سوى سيف كأداة للقتل والتدمير ورمز قضيبى مدمر لا يخصب كما أنه يعيش ثأراً متخيلاً حتى الموت .

❖ وتعكس الاستجابات بانوراما الجنوح والعنف ، عالم داخلى يعج بالتخييلات الجانحة ، ذات الطـابع التآمرى والأضطهادى ، عالم يطفح بالكراهية والتدمير للأنا الآخر ، مع وقوع المفحوص أسيراً لمبدأ إجبار التكرار فدائرة الحياة دائرة عدوانية .... قتل ... وتشويه وتمزيق ... كإنعكـاس تدميري لأوصال العلاقة الرحمية فالاستجابات تعكس إنكساراً نفسياً تغلغل فى الأعمـاق مـع مشـاعر الدونـية والضـآلة فى إطار واقع يدركه المفحوص مهدراً للذات. فالمفحوص يعايش تخييلات الموت السيكولوجى ، واللاشرعية ، والتأثيم ، والتجريم للأمومة والأبوة التى سلبته وجوده ، وصادرت الخضوع لمقتضيات الواقع فأصبح مدمراً عدوانياً دون رفق أو هواده .

❖ مشاعر الغيرة لدى المفحوص ، والتى كشفت عن الاستغراق فى عالم المتخيل عالم التخيـيلات الأوديبـية والـتى ساندها انعدام التكوينات البديلة التى تولد شروط السوية حتى يسـتطيع أن يمـزق شرنقته ويتطور ويحقق وجوده الإنسانى ، ويؤسس القانون الذى يعتمد بالدرجة الأولى على التحريم للإثم فى العلاقة الجنسية .

❖ وتتسم صورة الذات بسيادة مشاعر الاكتئاب ، ودوامة من الحزن ونقصان الكينونة الـذى إنعكـس فيه والإحساس بالدونية ، وفقدان تقدير الذات ومشاعر الرفض والنبذ والوحدة والضـيق والغضب ، والألم ومشاعر الذنب والإثم وسلسلة من الشكاوى والإتهامات الجامحة الموجهة إلى الذات والقسوة مع فقدان الأمن ومشاعر الإنسحاب والأنعزالية والفقدان والشعور بالخطر والحسرة والضآلة واليتم وفقدان النسب والمكانة والوضع الإجتماعى المتدنى ومشاعر الخجـل والـنقص والفقر الوجدانى ويرجع الإكتئاب إلى شدة العدوان الشره النهم الإفتراسى الدراكولى على الموضوعات المحبوبة وارتداد هذا العدوان على الذات بمشاعر الانتحار نتيجة الميكانيزم الأساسى فى الإكتئاب . وهو استدماج الموضوع المحبوب المكروه معاً حيث لم تتم عملـية تفاضل الذات عن الموضوع بشكل سوى والثمن الذى تكبده المفحوص هو العجز عن

اندماج المكونات الليبيدية والعدوانية الشبقة وتسبب هذا الخلل في الاندماج فى أن الحفزات العدوانية لم تتقيد أو تكبل بالتحييد الجزئى فأنطلق العدوان بحثاً فى الحياة عن كل أشكال التدمير دون رفق أو هواده .

❖ ولقد تمثلت موضوعات المفحوص فى صور سرابية لا تلبث أن تتلاشى ويعيش معها الفقدان من جديد فى صور قهرية فالأنا عاطل عن الحب فمازال يعيش مأساة وجوده ذو التاريخ المجهول على المستوى الخيالى فى صورة مغتربة منشطرة فلم يكن هناك أخر لضم الذات وحمايتها. فانغلقت الذات على أهاتها وتاهت فى متاهات العالم المتخيل لتتشكل تشكيلاً نرجسياً .

❖ ***النمو النفسي جنسي :***

فبغياب الأب اسقطت أمومة الأم وتبقى دورها الأنثوى وأفصح المفحوص عن رغباته المحارمية ويمتد الإضطراب بالذات ليكشف عن انشغال المفحوص بالسلوك الجنسى الأنثوى البغائى على نحو قهرى الأمر الذى يشير إلى إضطراب التعيين الذاتى وإختلاط الدور الذكرى بالدور الأنثوى فى نشاط بغائى و قد يكون دفاع ضد اشتهاء المحارم.

إستخدم المفحوص الجنس كمكانيزم ... وهو أحد ميكانيزمات الدفاع لدى الفقراء أو الضعفاء حيث أزاح المفحوص هزيمته النفسية والعقلية والمادية إلى تفوقه الجنسي المتخيل ومع غياب المجاز الأبوي والأمومي غاب التشكيل الأوديبي السوي.

❖ ***التخييل لدى المفحوص:***

ظهرت التخييلات ذات طابع إضطهادي سيكوبائي ، إجرامي خارج عن كل مقتضيات الواقع ورافض للقانون الإجتماعي الذي كان يجب أن يمثله الأب فى بنائه النفسي.

- تخييلات بدائية تتجاوز حدود فيصل بدايات الذهان...عناقيد الغضب وإضطراب يصاحبه قوى عدوانيه غاشمه تنقسم على نفسها فتتبادل الذات الفتك والإنهاك.

إن هذا التكرار القهري لهذا العدوان الفج البدائي هو فى واقعه استسلام لتخييلات قهريه تدميريه لا قبل للمفحوص من السيطرة عليها... صراع حاد يكاد يكون غاية فى ذاته.

❖ *ميكانيزمات الدفاع:*

إنشغل المفحوص عبر بطاقات T.A.T بعمليات دفاعية شديدة لمواجهة الأخطار المترتبة على ذلك والسعى إلى الخلاص من الجانب الأنثوى المتعين فى أعماقه بالقتل والإدانة والاستنكار.

- إستخدم المفحوص الميكانيزم الاساسي فى الاكتئاب وهو إستدماج الموضوع المحبوب المكروه معاً.

-*التفتيت*: يمكننا أن نرى فى إفتقار قصص المفحوص الى الوحدة والتناسق أثراً من أثار تفتيت العلاقات المختلفة والأفكار.

- *إنشطار* الأنا وفى هذا الانشطار يكمن ضلال الأنا فى موضوع رغبة الذات حيث تاهت فى الأوهام التى تخدم مصلحتها على حساب الكبت (ضعف الضمائر والخلط الشديد فى إستخدامها) تمثلات الذات – الموضوع السئ والجيد وعدم القدرة على التحييد.

- *بروز* براعم لميكانيزم الإعلاء... وضحت فى الإستجابة على إحدى البطاقات 17 BM

❖ *الفشل الإجتماعي:*

تعكس الإستجابات فشل وعجز المفحوص فى إقامة علاقات إجتماعية خارج سور المؤسسة ونرجع ان السبب هو سيطرة مواقف القلق الطفولى المبكر ذو الطبيعة الذهانية. فعدم السيطرة على هذا القلق الذهان وتخليص الموضوع الداخلى مما يتصف به لدي المفحوص من سمات إضطهادية تدميرية يجعله يسقط الموضوع علي كل الموضوعات الخارجية مما يدفعه إلي الفرار ويحول بينه وبين تحقيق النجاح إن توهم القوة المطلقة من للمشاعر التدميرية وللمشاعر الطيبة علي السواء من الخصائص المميزة للمراحل المبكرة من النمو النفسي .

❖ *توهم القدرة المطلقة* :

نجد توهم للقدرة المطلقة سواء في التدمير أو الحماية واضحا في استجابات المفحوص فقدراته التدميرية لها قوة بالغة علي التدمير ، والتمزيق دون رفق أو هواده ، وبقدر ما كان من ضراوة المشاعر التدميرية وما لازمها من توهم القدرة المطلقة في ممارسة التخييلات التدميرية . كانت ضرورة أنطلاق المخاوف التدميرية والحاجة القهرية إلي إسقاط الموضوع الداخلي إلي الخارج وتدميره .

❖ *عدم التناسق الداخلي* :

كشف عدم التناسق الداخلي في القصص عن قصور في العمليات الفكرية ونقص في السيطرة عليها ، كما دل علي قصور تحكم الأنا في المواد اللاشعورية المكبوتة إذ أن الافتقار إلي التناسق والتسلسل المنطقي جعلها أشبه بالكوابيس تلعب فيها العمليات الأولية الدور الأول.

❖ *فرض موضوعات معينة علي ساحة الاستجابات :*

إن غلبة موضوعات معينة وفرضها فرضا وبصورة قهرية لايتناسب مع أي من الأستجابات الشائعة وهذا يعكس ضيقا في الأفق النفسي للمفحوص ، وتقييد مجالات إدراكه وخضوعه لرغبات وصراعات مكبوته بصوره قهرية ، مما يشير إلي نقص في إدراك الواقع ، ومقتضياته مع أختفاء موضوعات معينة تتصل بالعلاقات الأجتماعية المشبعة للتحصيل الدراسي والنجاح الأجتماعي .

❖ *وتعكس استجابة المفحوص علي اختيار H.T. p :*

إستغراق في الخيال إقترب من الطرف الفصامي ، وعلي تباعد تخييلي كبير عن الواقع وقصور في أختبار الواقع يصاحبه محاولات دفاعية قهرية.

وإذا ماتناولنا الوحدات بقدر من تفصيل للكشف عن دلالتها الرمزية .

نجد أن المنزل بالنحو الذي رسمه المفحوص يمثل البحث عن الأمان في بيت ريفي هو بيت (المربية) بديله الأم ، مما يعكس نكوص لمرحلة طفلية ، والرغبة في الإنصهار من جديد مع الأم ووجود النخلة المثمرة بجوار المنزل يؤكد الشعور بالوحدة والأحتياج الشديد لهذه الأم مع غياب الشق الحنون وطرح الشق الشهوي.

كذلك سيطرة القائمين بالرعاية علي حياة ومقدرات المفحوص (وضع الشمس بالنسبة للمنزل) وفي نفس الوقت يأتي رسم المنزل وكأنه كهف مظلم يتدلي من سقفه حبل مشنقة ، وتعدد السلالم يشير إلي ضعف الأتصال بالبيئة . كما يؤيد هذا الرسم مشاعر الألم ، والدونية ، والضألة ، ونقص الكفاءة .ومن خلال واقعه المحبط نفسياً ولما يشكله من ضغط لاتملك حياله الذات سوى الدفاع والانكار والتخييل (البيت ده مش محتاج حاجه أنا أديته كل حاجه) إستجابه تعبر عن زاداً نرجسياً وسحباً لليبيدو من العالم وأستثماره في الذات خلق نزعة الأنزواء والمزاج الأكتائبي وضعف الأرتباط بالواقع .

ويؤكد رسم الأشخاص مدى ماتتسم به صوره الذات لدى المفحوص بعدم الشعور بالأمن ، ونقص الكفاية فهي رسوم معلقة عكست حاجة المفحوص الفمية الشبقية ، وإعتمادية ، والشعور بالنقص الأجتماعي ، والكف والتقييد .

قد يدل عدم إتصال الوحدة بخط الأرض علي باثولوجية فصامية شديدة وعلي تباعد تخيلي عن الواقع. مع أتجاهات شبه فصامية وبقدر مايعكس صورة (الشخص أ) طفلاً ذكراً مندهشاً، ضئيلاً معلقاً بالهواء. وجاءت صورة الأنثي مع محاولة إبراز الذقن تعكس الحاجة إلي السيطرة وهي سيطرة إجتماعية ، ورسم الفم يدل علي العدوان اللفظي.

وبإستجابة المفحوص علي سؤال (خ ٢٠) إيه نوع الهدوم اللي لبسها الشخص ده ؟ ... بدلة (مازنجر) وهو تعبير عن الرغبة في الأنفصال ، والتباعد والإغتراب في ذلك الأخر ، والنفي

لواقع مؤلم .. مع أزمة الهوية ، والعجز عن الأداء (واقف مش بيعمل حاجة رسم علي ورق) وجاء التوحد بمزنجر محقق الأنتصارات متفقا مع وهم القدرة المطلقة المتخيلة لدى للمفحوص.

أما النمو النفسي الجنسي فقد ربط الذات (بسوسته البنطلون) وهو كل مايعبر عن الذكوره وهو أيضا تدعيم لإستجابته في المقابلة (لسه مابلغتش).

التقرير النهائى للحالة الثانية* :-

كانت المقابلة بمثابة تشريح لمأساة المفحوص ، فعكست بانوراما الوجود الأنسانى على المستوى الشعورى واللا شعورى ، وأفصحت معانيها عن عالم الفقد والحرمان . وقد قدم المفحوص ذاته من خلال ذكر أسمه فقط مما يعكس أزمة النسب لديه... ويطرح المفحوص أزمته النفسية التى يعانى منها فيرسم صورة للقائمين على رعايته بالمؤسسه (بدائل الأب صورة قاسية مرعبة متسلطه).

وفى ظل هذه الصراعات يحاول المفحوص فى محاوله لترميم الأنا مستعيناً بذلك الأخر للحصول على المكانة التى تصورها بفتح (سوبرماركت) وإذا ماكان السوبرماركت مساعداً لتحقيق مستقبل مادي فهو على المستوى الرمزى... الإشباع الأولي للرغبات الفمية وسد فجوة الحرمان الدائم من الجوع النفسي والبدني.

وعلى مستوى النمو الأخلاقي تعكس معايير المفحوص الأخلاقية وقد بنيت على الخوف من الطرد من المؤسسة فهى معايير خارجية وليست معايير داخلية ، فأناه ضعيفة وبالتالى منظمة الأنا الأعلى لديه ضعيفة حيث شكل الغياب الرمزى للأبوة غياب القانون لديه.

ويطرح المفحوص ألامه فى إنفصاله عن الأم (البديلة) بإنتقاله إلى بيت الشباب فهو يرفض النضج مقابل علاقة إنصهارية بها لا يريد تخطى هذه العلاقة. فهو يرى إنفصاله عنها ممارسة منقوصة من حق من حقوقه التى هضمت وفصمت علاقته برمز الوجود (الأم البديلة) وأطلق على المكان الســجن.

ثم يطرح بانوراما لصورة إكلينيكية من صور إنهيار الذات... صورة ما بين خصاء نفسي وإجتماعي وإضطراباً قد يصل الى بداية عالم الذهان. وبالرغم من كل محاولاته من ترميم وإصلاح صورة الذات – الموضوع والتحصين الدفاعي ضد هذا الغياب وإن كان غياب النسب قد شكل عقبة قاسية دمرت الثقة والتواصل مع الأخر.

ومع إنهيار الإسم والنسب وانعكاس الوصمة (بتوع القرية) وتتشقق الذات على سؤال (مامتك إسمها إيه ؟) وينهار العالم الذى يستند علية ويسحب عالمه داخلة ، ويواجه النقص ،

---

* راجع ملحق الدراسة من ٣٩:٧٧

والدونيه ، والضعف ، والوهن ، والحرمان السيكولوجي ، ويخفت شعاع عالمه الإجتماعي.

وتعكس الإستجابات أيضاً التاريخ الإجتماعى للمفحوص من عجز عن مواجهة الحياة وإنكســـار وجرح نرجسي غائر فى ظل الا شرعية لوجوده.

ونجده متوافقاًمع زملائه فى المؤسسة (خلف الأسوار) فهم على حد تعبيره من نفس العينة.

❖ وفى الإستجابات على إختبار تفهم الموضوع إنعكست مظاهر الإضطراب الشديد التى إنعكست فى تطرفه الشديد فى الإستجابات ، والخروج عن الإسنجابات الشائعة وما يسيطر عليها من موضوعات القتل والإغتصاب والتدمير والعقاب.

❖ إنطلاق النزعات المعادية والوقوع فى براثن الجريمة كان أقوى وأشد صبغة لصورة، وإحتل التعيين الذاتى الدراكولي الإستدماجي معظم بطاقات الإختبار.

❖ و نلاحظ فشل إندماج مؤذنات الأنا العليا قبل الأوديبية مما عاق أستدخال الصور الوالدية (البديلة) الواقعية . مما عاق أيضا أندماج المستويات الأعلى تطور من أستدخال النسق القويمى (أنظمة القيم المستدخلة)

❖ ولأن الدور الكبير الذى تلعبه سلطة الأب فى تكوين الضمير والأنا الأعلى بناء على استدماج الطفل لشخصية الأب بوصفه ناقل الشعور بالنظام الأجتماعى وممثل لقانونه والحامل المعلن للأخلاق ، فبغياب هذا الدور جاء الألتزام بالقانون خيوط عنكبوت فهو قانون نسج من خطوط الخوف (أنا عايز أسرق حاجة أقول لو سرقتها منهم حيعرفوا ... ثم أنذار ... ثم طرد) ولم يكن لديه قانون ولا ألتزاما ولا قيم ولا مجتمع ... مع ميولاً سيكوباتية حيث التمرد والميول الإنحرافية والعدوانية مع عدم الشعور بالإثم .

❖ ونلاحظ التكامل المرضى لنواة الأنا الأعلى المؤمثل السادى الذى يسيطر عليه الملامح العدوانية ويؤدى إلى نتيجة مؤداها أن تمثلات الموضوع المؤمثل تكتسب خصائص المطالب السادية التى تصل إلى حد الكمال ، وفى هذه الحالة فأن أندماج وتكامل الأنا الأعلى حدث تحت سيطرة الخصائص السادية وسبب كبت الأحتياجات الغريزية الذى تعتبر شرط أساسى لتكوين العصاب .

❖ ونتيجة لغياب موضوعات الحب أو نقص الأستجابة الأنفعالية من الراشدين فى بيئة المفحوص ونقص الأندماج بين الميول العدوانية والحفزات الليبيدية الشبقية وبسبب الخلل فى الأندماج فأن الحفزات العدوانية لم تجبر على الأندماج ومن ثم إنطلق العدوان بحثاً عن التعبير فى الحياة دون رفق أو هواده .

❖ ونتيجة للعدوان على موضوعات الحب أرتد العدوان إلى الذات وبأستخدام المفحوص لميكانيزم استدماج الموضوع المحبوب المكروه كانت النتيجة مشاعر الأكتئاب التى يشعر به المفحوص. والجدير بالذكر هنا الطابع البدائي للميول العدوانية ، وذلك من حيث شدتها ومن حيث إستعصائها على العمليات الدفاعية.

❖ ويعزز مأساته بطرحه لعالم عميق يطفح بالكراهية والعدوان والسادومازوخية لغماً اعصاراً من العدوان الذى يدمر كل ما قبله وارتباطا بكلاين klein فهذا العدوان نتيجة الأحباط المتكرر " الثدى المنضب " غير المشبع جاف رماد .

❖ أما صورة الذات فقد جاءت مهمشة ضئيلة اتسمت بالخصائص الأتية .. القلق – التوتر ، خصائص شبه فصامية ، مشاعر الحرمان ، الشعور بالتدنى والحقارة والإحساس بالدونية وتقويض الأحلام والطموحات وخصاء الدور الذكرى والدور الأجتماعى الإحساس بالرفض وفقدان الأمن وفقدان تقدير الذات الأضطرابات التى تبعد عن مقومات الصحة النفسية .والبرودة العاطفية ، والسيكوباتية ، والإنهاك النفسى . واتسمت العلاقة بالأخرين بالأضطراب الشديد صورة الأخر ... والتسلط ، والظلم ، والرفض ، والقسوة ، والنبذ.

❖ وتعد هذه الحالة نموذجاً فريداً لغياب المجاز الأبوى الذى ينقل الطفل من عالم المتخيل إلى عالم الواقع الإنسانى الرمزى .... وتعد أيضاً نموذجاً للغياب الأمومى الذى ينقل الطفل من اللاوجود إلى الوجود ... من وجود البيولوجى الغفل إلى الوجود الإنسانى .

فنجدنا أمام معنى تجاوز الأب الرمزى والأم الرمزية لنصبح أمام شئ هو مزيج من أب ... أم متخيل ، وأب ... أم متوهم Fantasmatique يتسم بجموح هائل ومجافاة للواقع ، تتسم بالإهدار الكامل للمنطق .

❖ ونلاحظ طرح صورة للرفيق أو القرين جميعهم عبارة عن صورة مرآوية للذات فكأن الذات لا تدرك نفسها ولا تعى ذاتها اللامنعكسة فى أخر هو بالنسبة لها مرآة ترى فيها نفسها وتعى ذاتها .

❖ ويعتبر أسلوب القتل المتخيل (T.A.T) شكل من أشكال العدوان اللاكانى الذى يستهدف الجسم وتشويهه .

❖ فلقد عاش المفحوص فى أزمة رمزية فى إطار العالم الإجتماعى والإنقسام الحاد بين الصورة الطيبة والصورة الشريرة للذات – الأخر وذلك ما يؤكده عدم قدرته على تسمية الضمائر الأنثوية والذكرية فهى صورة من الخلط الذى يشير إلى إضطراب الهوية الجنسية ومغ قدر هائل من الصراعات والمتناقضات التى تعبر فى النهاية عن كل القوة المتناقضة الممثلة للهو والأنا الأعلى وعجز الأنا عن التسوية والإلتقاء ، فى منتصف الطريق بين

النقيضين فكل نقيض يظهر على مسرح الخيال بمفرده ، يحتل مساحة كاملة ثم يترك المسرح لنقيضه بدلاً من الإلتقاء .

❖ **ومن جهة النمو النفسى الجنسى :-**

أصبح يمارس الاغتصاب قهراً دفاعياً وفى هذا أصبح هو الأب وصارت كل امرأة أمه وهو يستخدم الأسلوب الدنجوانى لهذه العلاقة القهرية وذلك نتيجة لإستغراقه فى المتخيل وبحثه المستمر عن الصورة السرابية للأم. ولم تعكس الاستجابات عبر الاختبارات أى إشارات ذات طابع جنسى شبقى فى صورته المشروعة ، وغابت فكرة الرجولة. ويبدو إضطراب التعبير عن العلاقة الجنسية الغيرية كبعد من أبعاد إضطراب العلاقة بالواقع على نحو يكمل ملامح إضطراب الشخصية ، وتقويضها فى ظل قصور الأبوة الرمزية والوجود الا شرعي من ناحية أخرى.

❖ نقص ملامح الصحة والقوة والاستعراضية الجنسية . وقد عبر عن شهوية فمية (رسم) الجيوب فى H.T.P أكثر من تعبيره عن الجانب الجنسى وصراعات الدور الجنسى مما يؤكد الطابع الاكتئابى الذهانى وتثبيت ، ونكوص على العلاقة بالأم فى صورتها البدائية الفجة. ولذلك جاء التعبير عن العلاقة الجنسية الغيرية عبر T.A.T تعكس كثير من الإضطرابات والسادومازوخية سواء للصورة الأنثوية أو الذكرية .

❖ و مع خصائص شبه فصامية كانت واضحة فى الأستجابات الخلطية فى T.A.T وفى أختيار H.T.P (سواء فى الرسم أو الأستجابات والتعليقات)

وإذا كانت الكيفية التى تدرك بها صورة الأب تشكل أساسا للتعيين الذاتى الذكرى فبغياب الأب جاء التوحد خلطى مما يدل على الغياب السيكولوجى للصورة الذكرية الصالحة للتعيين الذاتى الإيجابى مما أدى إلى خلق شخصية غير أمنة تفتقر إلى الأطمئنان وتتفجر بالحصر ويبقى فى حالة بحث لا تتوقف عن من يستطيع أن يوفر له الأمان .

❖ ومع غياب التعيين الذكرى أضطربت صورة المفحوص الذكرية وبالتالى كان له نتيجة عكسية فيما يتعلق بالدور الجنسى للمفحوص وقد أفصح عن نفسه بوضوح فى الفروق بين رسم الذكر والأنثى فى H.T.P والخلط فى أستعمال الضمائر.

❖ جمود وتحفظ شعورى كان بمثابة دفاع لحفظ الذات الشعورية فى العلاقة بالواقع المعاش من الإنهيار الداخلى الذى كشفه رسم السور فى المنزل بأختبار H.T.P حيث يستخدمه المفحوص بصفة دفاعية فى محاولة لطمأنة الذات على أن احداً لن يهدد القدر الضئيل من الشعور بالأمن .

صورة الجسم لدى المفحوص صورة مبتورة ، تتسم بالضآلة والنقص والإضمحلال الفكرى النفسى جسد مجزء ممزق Framented وهو واقع دراماتيكى يتخبط فيه المفحوص لعدم اكتمال الصورة .

❖ ***الفشل الإجتماعي:***

تعكس الإستجابات نوعاً من التربص والتحفز والتوجس شراً مع التآمر وبدّت غيرة هاجسية ظهرت بصورة حوازية مع التنافس على الحب مما أثر ذلك على علاقاته مع الآخر وإذا ما ربطنا هذا بالسمات السلبية للذات إستطعنا أن نصل من إضطراب عميق الجذور يتصل بالقلق فى مرحلة باكرة من الطفولة ذات الطبيعة الذهانية.

❖ توهم القدرة المطلقة لدى المفحوص فى قدرته على التدمير أو الحماية.

❖ التخييلات يكشف لنا قصور تشكيل الأب الرمزي لغياب الأب الفعلي وقصـــور دور النماذج البديلة اللازمة للتعيين عن تعلق شهوي برموز الأم فتعكس لنا الإستجابة تعيينات خلطية وفناء إنصهاري مع الأم فالمفحوص يعيش التخييلات البدائية الجامحة مع أم تحمل الشقين الشق الحنون وشق أمنا الغوله (صورة دراكولية) وكأنه يعايش حلماً كئيباً مؤلماً يرافقه بين ثنايا جلده.

التقرير النهائي للحالة الثالثة * :-

❖ تتيح لنا وجهة نظر التحليل النفسي أن نفهم معركة القوى الشعورية واللاشعورية، تلك المعركة الخرساء ، التي شنها المفحوص علي الآخر و من خلال المقابلة رسم المفحوص ذكريات مرحلة الحضانة وما تحمله من الآلم والقسوة ففيها عرف الجلاد ... و بدون قصدية دخل صراع الحياة و جاهد المفحوص ناهضا من خضم المجهول و اضعاً هدفاً في محاولة لتماسك الذات فلديه أمل في التعليم كإصلاح و ترميم الذات لإنجاز مشروعها. إلا انه دخل مساومة مع القلق حيث يهدده و يستنفذ كل طاقة الأنا ، استغرق في التفكير في الطرد من مكانة (المؤسسة) فهو يحتمي خلف هذه الاسوار .

و يطرح المفحوص قضية الابوة و الامومة بشكل جد غريب ... (متعملتش مع أب قبل كده) طارحاً صورة لأب خيالي... صورة خلطيه.

* راجع ملحق الدراسة ١١١:٧٨

❖ علي مستوي النمو الخلقي نجده لم يبلغ وجداناً اخلاقياً حقيقياً ناجمـاً عن ممنوعـات أضيفت إليها الصفة الداخلية ، ولا يحس بمشاعر حقيقة من الاثيمة ، بل يحس بالحصر الإجتماعى ، انه باختصار ليس لدية "أنا عليا متكامله " ولا يمنعه من فعل الشر إلا خوفه من اللوم الاجتماعي .

– ويلعب الصبر ،والقيم الدينية من تسامح ، وعفو كرادع ، ودفاعات تحميه من انفجار عدوانه على نحو شديد لتدمير صورته (ربنا حلو هو اللي سخر لنا الحاجات ، يقطع من هنا ويوصل من هنا ، ترتيب ونظام ، دايماً بدعي بس يوفقني في مستقبلي بس) إنه محروم من الوجود الشرعي، فلقد قتلت في المفحوص النماذج البديلة التي تولد في ذاته شروط السوية (منطلق مع بدائيته). وهذا الفساد الاجتماعي يعكس فساداً داخلياً ، وعطباً نفسياً يتمثل في فساد السلطة (الشيخ معزة) بل يزداد الأمر قسوة فالصورة المرآوية لحالته (المشرفة التي تربت معهم ثم تحولت إلى وحش كاسر غامض الهوية ، غامض الإحساس بتضرب في العيال زي ما كان بيتعمل فيها) ... حصاد القسوة والمذلة ، واللاشرعية... باختصار يعكس مرارة العيش وعجزه عن فهم الأسباب وإحساساً بالمرارة.

❖ و تعكس إستجابة المفحوص من خلال إختبار تفهم الموضوع T.A.T ما يلي :-
تبدو الذات أسيرة خبرات الإحباط والمعاناة ، والفقدان ، ومن ثم فقد تشكلت على غرار تلك الخبرات ذاتها و بالتالي لم تتجاوز ذاته حدود نشأته. أنه يثأر من الجحود ، والظلم الأبوي الذي كان يجب أن يكون سنداً له في طفولته ، وثمة ثأر آخر قبل كل شيء ، إنه ثأر اغتصاب أمه ، وتحويلها إلى زانية عاهرة. والخصومة مع الأب كان ينبغي لها أن تثير الرغبة على وجه أخص في مساواته في جميع صفاته. فتعين معه فى الجريمة وعاش تخييلات السقوط.
فإبوة اقتلعته من إطار الشرعية ، مما جعله يشن معارك شرسة كان نتيجتها إعاقة في بنائه النفسي ، وكان التخلي وعزلة اليتم والحرمان من الحب والأمان والنبذ من الجميع دافعاً لأن يصبح متوحشاً يستجيب للقوانين المستهجنة.

❖ و مع كسر خاطر وحزن داخلى عميق وإنكسار سيكولوجى ومشاعر شديده بالحصـر و فقدان الثقة ، و مشاعر الدونية ، و الضألة، والضياع ، والحيرة ، والخوف ، والحزن ، والتحيب ، وفقدان تقدير الذات ، ومع إجهاض أدوات الطموح. و كلها مشاعر إكتئابية تقترب من الاكتئاب الذهاني.

❖ كما يواجه المفحوص عدوان من الداخل (من الأنا العليا) بوصفها أنا آخر يضطلـــع بوظائف معينة شبيهة بوظائف الموضوعات الخارجية. فيكون الاكتئاب الداخلي حيث يؤدي استدماج المفحوص لهذا الموضوع المحبوب المكروة معاً إلى ارتداد العدوان إلى الذات كما ظهر في نزعة الانتحار.

❖ ومع ذلك يرسل المفحوص رسالة إستغاثه للبحث عن سند يداوى الجراح وينتشلـــه من بئر الحرمان والوحدة والعزلة ليوصله بالحياة على نحو أمين ، ذلك السند الذى يتأرجح فيه الصور الوالدية الرمزية ما بين أبوة رمزية تمنحه النسب والشرعية والكيان واللقب وأم رمزية معطاءة صورة تخيلية يفتقدها وجوده ...

❖ وتتسم صورة الذات بالعدوانية نتيجة غياب موضوعات الحب أو نقص الاستجابـــة الانفعالية من الراشدين في البيئة مما أدى إلى قصور في التطور الانفعالي ، ونقص الاندماج بين الميول العدوانية ، والحفزات اللبيدية الشبقية وبسبب هذا الخلل انطلق العدوان بحثاً عن التعبير في الحياة بشكل التدمير الهوسي دون رفق أو هوادة . عدوان من لخارج (موضوع خارجي) على الذات يمثل تهديداً مولداً لحالة من القلق تتطلب دفاعاً و مع فشل الدفعات تكونت المشاعر الانهزامية وإقرار العجز ، والشعور بحالات اليأس ، والمزاج المكتئب الحزين وما يتبعه من استثارة العدوان المتخيل ذوي القدرة المطلقة .

انشغال المفحوص الشديد والإنهماك فى صراعاته الداخلية المرتبطة بوجوده الشرعى وحق الإعتراف فى الحصول على المكان والمكانة واحتوت استجابته على مشاعر الحزن والوحدة . وحاولت الذات البحث عن الشرعية (تايهة ... علامه توضح أنها بنت حد) إنهاك الذات فى واقعها وهمومها ، ومشاكلها يطرح المفحوص مشاعر عدم الإستقرار والضياع والحيرة والخوف والحزن والشعور المتجدد بالإنكسار والوحدة.

وغياب الأم كمانحة للشرعية وغياب الأب بما هو قانون حامى للذات ، و راعـــى لهـــا، و مؤسس مشروع وجودها على نحو لا يشعرها الإهدار والنقصان أو الخصاء الإجتماعى بل يمنحها الحصانة ، شكلاً الاثنين اتحاد النكران ، والهجران ، والظلم ، وسلب الكينونة.

❖ نقص إدراك الواقع وتدهور وظائف الأنا الإدراكية ، حيث يلجأ المفحوص إلى الحلول اللاشرعية والأفعال المعادية للمجتمع ، ومع تراخى الأنا الأعلى نجد القانون مرة تلو المرة فالقانون هنا جاء قانون ذو طابع أمومى . مع مشاعر الوحدة ، والضيق ، واليأس ، والضياع فاقد الوجود والأعتراف به (مقطوع من شجرة).

❖ وبزغت صـــورة الـــذات مـــن خـــلال H.T.P صـــورة ضئيلـــة متعلقـــة بالهـــواء

(أطلق عليها ، عقلة الصباع) تعكس فقره الوجداني ، والجسماني ، وضآلتهما (عقلة الصباع) الذي تحول عبر الاستجابات إلى "دون كيشوت" في القدرة المطلقة المتخيلة .

❖ اغتراب عن الواقع و قلقــاً تستثيره العلاقات في مستــوي الواقــع ، وتأكيد الشعور بالضآلة ، والدونية ، وعدم القدرة على تقبل المثيرات البصرية الأليمة ، والرغبة فى رؤية أقل ما يمكن ، ونقص الكفاح ، والكفاءة.

❖ وإستغــراق في التفكير و الخيال كمصدرين من مصادر الإشباع في مقابل محاولات الإحتفاظ بوجهة مقبولة و في نفس اللحظة محاولات من الإتصال بالعالم و هو تعبير عن إتجاه دفاعي من جانب المفحوص حيث يجد في العلاقة التلقائية بالأخرين تهديداً شديدا بالذات و من ثم فهو يؤدي العمل دائماً علي اكمل و جه و لا يسمح لنفسه بتلقائية في التعبير عن مشاعرة نحو الاخرين .

❖ تخييلات المفحوص :-

كما عكست الاستجابة تخييل جامح بعد المفحوص تماماً عن الواقع وتعطل لوظائف الأنا الإدراكية وبذلك تعطل القانون والعقل والمنطق فالمفحوص أسير رغباته المستهجنة ومخاوفه الأوديبية والتخييلات الجامحة فى العلاقة بالأم وجاء أبشع تصوير لصورة الأم (زوجة الأب) تعبر عن نهم سادى افتراسى دراكوالى .بــطاقة (16).

❖ وفى عمليات التعيين الذاتى .. كان استدخال الصورة عبر الاستدماج الالتهامى ضرب من الإلتهام – الافناء الذى يسعى لأشباع الرغبة النهمية التى لا تشبع للأنا فى أن يصبح هو الأخر عن طريق التهامه بكامله ، فهو تعيين ذاتى دراكوالى ، فالدراكيولية تختلف عن الإفتراسية الإلتهامية .

ذلك أن دراكيولا يفعل أكثر من مجرد إدماج لغيرية الأخر ، فهو إضافة لذلك . يصنع صوراً اشباحاً أو أنعكاسات له بتحويل ضحاياه دراكيولات شبيهة فالدراكيولية استدماج للأخر وإعادة لتقديم الذات .

❖ ففي تخييلات النسب والمكانة ضاعت الذات فلم يكن لها مكانة (ملوش أصل.. رموه في الشارع. تاهت في علامة في جسمها توضح أنها بنت أي حد).إنه لم يستطيع أن يصل في علاقته اللاشعورية بالآخر إلى المستوى الرمزي" فسيطر عليه الأب الفعلي المتخيل ، التوحد بالصورة المرآوية التي حبسته في المتخيل.

❖ ***ميكانيزمات الدفاع :-***

استخدام ميكانيزم الإسقاط : ورؤية العالم من خلال الذات. مع توحده بابطال البطاقة ، مما يعكس الإنخراط فى العالم الداخلى ، ونقص الإهتمام بالعالم الخارجى ، فمجرد تعلق عينة بالبطاقة يتعين بها ويسقط آلامه ، وأحزانه فينعكس عجز الذات على التوفيق بين جانبى

الصراع فى تفاعلها مع الواقع المعاش ، الوقوف عند الرصد للصراع والعجز عن القيام بإجراء يعطى الطمأنينة. أنه وليد اللحظات الضاغطة. وفى رحى الصراع نجد ملامح البارانويا .

❖ *النمو النفسي الجنسي :-*

تجاهل المفحوص للجنس مما يشير إلى وجود كفوف جنسية مع الشعور بالقلق ، والضغط النفسى حول موضوع الجنس وما تستثيره من قدرات جنسية .

التقرير النهائى للحالة الرابعة *:-

❖ كشفت المقابلة عن استغراق المفحوص فى عالم المتخيل .... فوجوده وكينونته ونسبه وشرعيته نسيج متخيل وكقشرة تخفى تحتها مشاعر السلب ، والنهب ، واللاشرعية لوجوده ، والعدائية الشديدة للأب ذلك الأب ، الذى كان لابد له من أن يستند إليه فى الطفــولة الأولى ، بل تركه فى التعاسة فلم يكن بوسعه فى شروط مشابهة إلا أن يصبح متوحشاً (يعنى لو عرفت مكانه اتخانق معاه ومخليش فيه حتة سليمة أقطعه حته ، حته . فهو يستجيب كذلك للقوانين السارية المفعول بوصفه موجوداً مضطرباً ساخطاً.

ولم يهنأ المفحوص طويلاً فى المتخيل فكان دائماً هناك من يقف له بالمرصاد وينقذه من حلم الشرعية ... فوضع نهاية للقصة " بموت الأم " أمامه فهى لم تختفى كما فعل الأب ولكنها ماتت بين يديه كانها إعترفت بوجوده قبيل لحظات إحتضارها يؤكد أنه ليس طفل غير شرعي ثم تطوى الذات صفحة عالمها المتخيل فتفتح أبواب كيانها ومشروعها فى الحياة ويجد المفحوص فى هواية الموسيقى التى تنقله إلى العالم الإجتماعى ، ويطرح المفحوص تخييلاته الأنيه المرتبطة بالمكانه ويقرر أن يصبح (سفيراً... بدون ملاحق) إنه الوعد المتخيل مع الأم المتخيلة.

❖ وتعكس العلاقة بواقعه فى ظل غياب الأب الفعلي ، وقصور الــدور الرمــزي أزمة دونية وإنحطاط يقابلها هروب دفاعي ، وإنجذاب إلى رموز التفوق ، والطموح القهري (جمال الشاعر ، هانى شاكر) وهكذا كان إنشغاله الأساسي فى ظل هذا الغياب بترميمات الأنا ومحاولة تحقيق مشروعة.

❖ وإن كان المفحوص تداعى بصورة شديدة المثالية للأم إلا أنه فعل العكـــس فرســم صورة لأب مجرم ، واستغرق فى صورته على نحو يحمل العاء والكراهية.

* راجع ملحق الدراسة من ص ١١٣:١٤٠

❖ وبغياب الأب وموته الوجودى السيكولوجى ، وإنعدام دوره فتح الطريق أمـــام تدفق الدفعات الغريزية فبغياب الأب ، وانعدام التكوينات البديلة التى تولد شروط سوية عجزت الذات عن مواجهة دفعاتها ، وتطويرها ، وتطويعها لما هو مقبول أجتماعياً . حيث تأصل بناء الشك والخيانة لدى المفحوص .

❖ ولذا كان العداء والتجريم وتحميل مسئولية واقعه المعاش للأب . وكشفت لنا العلاقة بالواقع تفتت نفسى تغلغل إلى أعماق الذات ، فكانت المعاناه لكل مظاهر الحرمان ، والسب والوصمة والعار مع خصاء إجتماعى نفسى وتقلص للدور الذكرى والدور الإجتماعى .

❖ ونلاحظ وجود تثبيتات ذهانية على الأم ، واظهار صورة الأم الغاوية والرغبة فى الانفراد بها أيضاً عبر عن تعيينات خلطية بالصورة الأنثوية .

❖ وكشفت الذات عن مشاعرها بالدونية وفقدان الأمان ، والضياع ، والإحساس بالبرودة مع فقدان تقدير الذات وصراعاً للوجود والحدود فهو بلا مأوى منبوذاً وطرحه لقصة وجوده (بصندوق زبالة تم القائه فى بحر الحرمان).

❖ كما تتسم صورة الذات ... بسيادة مشاعر الأسى grief (مشاعر الفقدان والحرمان من الموضوع) مشاعر الحيرة ، والتوتر ، ومشاعر الخزى ، والعجز والنقص ، والأحساس بالظلم ، والقهر ، والحصر الاضطهادى ، وهى كلها مشاعر تشكل لب الاكتئاب ، وقد يرجع هذا الاكتئاب نتيجة الشره العدوانى النهمى الافتراسى على الموضوعات المحبوبة.

❖ وارتداد هذا العدوان على الذات بمشاعر الانتحار (14) فلم تتم عملية تفاضل الذات عن الموضوع بشكلاً سوياً ، والثمن الذى تكبده المفحوص هو العجز عن اندماج المكونات الليبيدية ، والعدوانية الشبقية ، وتسبب هذا الخلل فى الاندماج ، ان الحفزات العدوانية لم تتقيد أو تتكبل بالتحييد الجزئى ، فانطلق العدوان بحثاً فى الحياة عن كل اشكال التدمير (يعنى لو عرفت مكانه أتخانق معاه ومخليش فيه حته سليمة ... أقطعه ... حته ، حته).

❖ ***وعلى مستوى النمو النفسى الجنسي*** لم ينجح المفحوص فى إدخال الجنس فى إطار المشروعية فصورة الأب مغتصب ، والاغتصاب ، والجنس دال مدلوله تفكك القانون ، وانحرافه عن وظيفته الأساسية ، كما يعتبر أن هناك قانوناً بدائياً هو أعتداء موجه إلى سلطة الأب ولذلك فى محاولة المفحوص للتعيين بالأب فى فعل الاغتصاب اظهر مشاعر الذنب . أما الثأر فهو دفاعاً أساسياً لجرح نرجســى غائر فى أعماق الذات ، ونقصاناً يلازم المفحوص و لم يستطيع المفحوص الفكاك منه ، ومعايشته للثأر على المستوى

الخيالى ، مع عجزه الذى لا يحمله على مواجهة ذلك الأخر المغتصب الحقيقى لكينونته وبنائه النفسى ، أنه اغتيال سيكولوجى أجتماعي انســانى(13 M F).

❖ وقد عبر عن رغباتــه الجنسيــة الغيرية التى يــحفوها الطابــع الأوديبــى القاصــر (المقابلة و T.A.T) وطغت فيها صورة الأم فى شكل علاقة أنصهارية إلى حد الفناء تفجرت فيها أشد نزعاته الطفلية نحو الأم. فأصبح أسير رغباته الأوديبية ، وعايش التخييلات الجامحة فى علاقة محارمية. ... حبيس غياهب الجب الأوديبى وفى ظل قصور الدور الرمزي للأب والذى جعله فى حالة عجز أمام نزعاته البدائية .

❖ وتعطل الدور النفسى وعبر عن شهوية فمية رمزية على مستوى T.A.T و H.T.P أكثر من تعبيره عن الجانب الجنسى السوى ، وصراعات الدور النفسى ، مما يؤكد الطابع الأكتئابى الذهانى وتثبيت نكوصى على المرحلة البدائية على الأم ، وعكست الاستجابات كثير من الاضطراب سواء للصورة الأنثوية أو الذكرية "اضطراباً ساد ومازوخي".

❖ وفى اختبار H.T.P جاءت صورة الشخص صورة خلطية تعكس تعييناً خلطياً مرتبطاً بالصورة الأنثوية لديه ولذلك كان إستغراق المفحوص على المستوى الشعورى فى صورة الأب وتعينه الخلطى به كان دفاعــاً ضد تأرجحــه فى علاقته المحارميــة بالأم والشقيقــة

(T.A.T) وأيضاً ضد التعيين الخلطى الأنثوى .

❖ وجاء رسم الشمس جهة الشمال وهى تمثل السلطة على شكل وجه

إنسان له اسنان عريضة حادة مما يدل على عدوان شديد مرتبط بالتقطيع و(عادة ترسم الشمس على شكل وجه فى رسوم الأطفال أو الراشدين النكوصيين لمرحلة باكرة ....)

فالمفحوص يرى السلطة مفترسة مسيطرة قبيحة مخيفة.

❖ يبدو وجود ملامح جنسية مثلية حيث يزداد الأهتمام برسم الشعر لدى

النرجسيين والجنسيين المثليين مع النظارية حيث تفيض العيون بالرغبة الجنسية ، أو باشتقاق اللذة من الابصار كذلك رسم (شخص أ ذكر) فى ملامح أنثى. ومما يشير إلى النرجسية لدى المفحوص رسم الجيوب فى موضع الثديين فى رسم شخص (أ) ووجود كذلك الأزرار والحرمان العاطفى والى الاعتمادية والتوحد السيكولوجى بالأم مع نكوص إلى مراحل طفلية وانشغال زائد بالبدن

ورسم عكاز يستند إليه المفحوص دلالة على العجز وقلة الحيلة وبخاصة رسم فى اليد الضعيفة .

ثانياً : الأبناء الشرعيين :-

التقـرير النهائي للحالة الأولى* :-

من خلال المقابلة.... تطرح الذات جدلية الوجود الإنساني من خلال إسم ثلاثي، حيث حققت الشرعية التوازن النفسي لشخصية المفحوص في دورة الحياة، لذا طرح المفحوص ذاتاً تملـك هويـتها، وتحقـق مشروعها الوجودي، متسامية بالرغبات المستهجنة، مع محاولات تصعيدها، في إطار اجتماعي مقبول.

ومـع واقـع جنسي جديد، واهتزازات في الاتزان الذي كان موجوداً في مرحلة الكمون، ثم تلاشـى وأفسح الطريق أمام مواجهة عنيفة متدفقة، من الإثارة الجنسية الملحة، فأطلقت الذات ذخيرتها من الإمكانيات والحلول المتباينة في محاولة لإشباع الذات.

ثـم تعكس استجابة المفحوص، وجود قوى للأنا، التي تتمثل في الضبط الوجداني والاندفاع، والقـدرة علـى التسـامي، فنجدنا أمام سمة من سمات الشخصية السوية، وهي الأنا الأعلى الناضجة المتكاملة، ممثلة في استخدامها لأنظمة قيم تعتبر مستقرة مجردة ، ومتفردة مع الإحساس بالمسئولية ، وبالمعايير ، و الإلتزام الخلقي. فلقد استدمج صورة الوالدين، وتحريماتهم، وتقييداتهم، قانوناً داخل الذات. كما طرح تكوين الضمير الداخلي، والتقبل الذاتي للتقييدات ، والعقاب المفروض من وكلاء التربية وأولهم الوالدان (أفعل كذا، ولا يجب أن افعل كـذا)، ومـع طـرح خطأ في الطفولة (سرقت عمتي... أبويا عرف، وعمل الخير، ضربني وخاصـمني، المشـكلة ما كانتش في الضرب، ولكن خاصمني وحسيت بالاستهجان، وشعور فظيع لم اشعر به). هكذا كان استدخال الصور الوالدية الجيدة، رغم أنها في تلك الحالة معاقبة، فكان الالتزام الخلقي هو الرادع الحقيقي حفاظاً على الحب، وحفاظاً على العلاقة السوية المبنية على الحب الأنا-آخر.

ونلاحـظ التوحد الذكري، وحرص المفحوص على الحفاظ عليه إنه يعيش في جلباب أبيه (أنا بـتاع بابا، أنا بطلع مع بابا أكتسب خبرة)، مع استقلال في التمويل الاقتصادي (أنا عمري ما بطلب فلوس منه، لأني بكون محوش معايا باستمرار)، ونلاحظ محاولات للخروج من الجلباب (أوسـع فـي شغل بابا). وفي إطار تعيين ذاتي محاكاتي خرجت الذات تكونها صورة الأب، وهذا الإطار الذكري طرح علاقات جنسية سوية، مرتبطة بالإطار السوي (ابوسها في خيالي ، وبعدين أحرج لأني بحترمها)، مع تخييلات محارمية، فالمسائل بالنسبة للمفحوص (سقوط أو نجاح).

---

* تحـيل الباحـثة القارئ الكريم إلى الملاحق التى تضمنت النتائج التفصيلية لعينة البحث (الأبناء الشرعيين وغير الشرعيين) ، راجع ملحق الدراسة ص ٣٨:٣

وينقل المفحوص مناقشته للأب، إلى الأخ الأكبر (أ) ، الذي ظهر في كثير من البطاقات ، مثلاً أعلـــى، ومثلاً للمنافسة أيضاً. ويؤكد المفحوص على دعائم رجولته (براعي عماتي ، عماتي ولايا)، (لما أكون في وسط طلبة ببذل قصارى جهدي أن أكون كبير في نظرهم)، (الملابس والحلاقة). وعن الذات، كموضوع للقبول أو الرفض، أدرك المفحوص ذاته موضوعاً للقبول والدعـــم والمســـاندة والحماية (صاحبي بيشجعني ، بتعلم منه)، والانصياع للقانون، فهو قدوة يتمثل بها المفحوص.

ومـــن خــــلال الإســـتجابة على بطاقات إختبار تفهم الموضوع وعكست الاستجابة ذلك اللغز الإنساني، "الأوديب"، باعتبار أن هذا الموضوع يطل بعد البلوغ متأثراً بتوظيفات الموضوع، والتعييـــنات الـــتابعة لعقـــدة الأوديـــب، ومتأثراً في الوقت نفسه بمنع تحقيق العلاقة الجنسية بالمحـــارم. كذلـــك عكست الاستجابة بناء أنا أعلى قوى، نتج من استدخال المطالب الواقعية، وتحريمات النماذج الوالدية، أثناء المرحلة الأوديبية من التطور، بالإضافة إلى وجود الضمير الداخلي، والتقبل الداخلي للتعقيدات وللعقوبة التي يفرضها الوالدان، والبيئة الواسعة من حوله. كمـــا كشفت الاستجابة عن الأنا المثالي، مما يدل على تكوين الأخلاق والمثل، كأهداف يسعى إلى بلوغها، بعد فض الإيهام الخاص بالوالدين المثاليين.

(وكمـــا يـــرى فرويد ومن بعده " لاكان "، أن الأسس البنيوية التي يرتكز عليها مفهوم الذات، كون الإنسان منشطر على نفسه، ما بين شق شعوري وآخر لا شعوري) ، ففي هذا الانشطار يكمن ضلال الأنا في موضوع رغبة الذات، فهي تتوه في أوهام تخدم مصلحتها، على حساب الكبت لرغبات الذات. فالرغبات اللاشعورية لا تهدأ في محاولة لاختراق حاجز الكبت، ولكن مـــع تجاوز الذات للميكانيزمات الدفاعية البدائية، نجد تصعيد الشحنة العدوانية المستهجنة، في شـــكل أفعـــال مقـــبولة اجتماعياً، حيث أن التسامي (التصعيد) آلية دفاعية متأخرة، مصدرها المـــرحلة التناسلية، وتتوطد خلال المراهقة بكل مداها، وربما تكون الآلية الأخيرة، من آليات الدفـــاع. ويعكـــس وجـــود التسامي وجود الأنا المثالى، مما يدل على تكوين الأخلاق والمثل كـــأهداف يسعى إلى بلوغها بعد فض الإيهام الخاص بالوالدين المثاليين. ووجود التسامي يبين وجـــود المـــثال. فالاثـــنان مرتبطان معاً، حيث يقول فرويد ١٩١٤ "إن تكوين المثال ، يعمل لصـــالح الكبت ، في حين أن التسامي يمثل المخرج الذي يتيح إشباع مقتضياته دون أن يفض إلى الكبت".

❖ وجاءت صورة الذات، تتسم بتقدير الذات، والاستعصام عن المحارم، والنبل الأخلاقـــي، والرضـــى النفســـي ، والقانون الداخلي ، كما عكست الاستجابات صورة الذات وطموحاتها، مع قدرتها أيضاً على التوفيق بين جانبي الصراع في تفاعلها مع الواقع المعاش،

وأظهــرت استقلالية المفحوص في التخطيط لمستقبله، كما عكست بعض مشاعر المنافسة مع الأب.

❖ وقد اتسمت العلاقة بالموضوع برؤية متكاملة للآخرين، والاستثمار الوجداني فيهم، والذي ينطوي على القدرة على الإتكالية الناضجة، مع الاحتفاظ بالاستقلال الذاتي أيضاً. كذلك عكســت اســتجابة المفحــوص الآخر كموضع (الأم) مانح الأمومة الكافية المشبعة، الأمومة المثالية والإمداد الكافي الذي لا ينضب ، من الرعاية والسلوك الحاضن الحاني ،فهي الراعية المتقــبلة. ونقلت قوتها للمفحوص ، من خلال قدرتها على التقمص العاطفي مع ذاته النامية. فالإحساس بالموثوقية الشخصية يمكن إنجازه فقط من خلال نوع خاص من استمرارية وثبات وإمكانية الانشغال بأمور الطفل (تسهر على راحة أبنائها، لو جائع تحضر له الطعام). وهكذا فالرعاية الأساسية للطفل أدت إلى وجود المفحوص، وجوداً إنسانياً، ناضجاً على مستوى النمو النفسجنســي، واختيار الموضوع بالاستناد الذي يؤهله إلى علاقة جنسية سوية، في إطار من المشروعية.

❖ وكذلك طرحت الهوية الدينية طرحاً يعني الاستقرار على الثوابت المستدخلة دون تطرف.

❖ أما عن قدرة الذات على الحكم، وعلى التماس حلول صراعاته، فنلاحظ تأدية الذات لدورهـــا بـــنجاح في هذا المجال. ومن حيث القدرة على الحكم، فقد مارست الذات نوعاً من التقييم فضلاً عن فعالية الذات واستقلالها كبقية حياتية تعيش في واقع تؤثر فيه وتتأثر به، مع بعض تخييلات القلق حول القضيب الإخصابي، والقدرة على النجاح في تأكيد الرجولة.

ونلاحــظ الــتوافقات الأصــيلة، بمعــنى أن التوافقات الصادرة عن المفحوص، إنما تتصف بالأصـــالة فكــل شخص وإن كان وجه كجميع الناس، ومن وجه آخر كبعض الناس –يظل فريداً، مختلفاً عن جميع الناس.

❖ ومن حيث الأساليب الدفاعية التى إستخدمها المفحــوص غلبت عليـــها السمـــات العصابية ، يلعب الحواز دوراً بالغ الأهمية فى إستجابات المفحوص (الإصرار على تحقيق مختلف صور النجاح).

وقد برزت أيضاً السمـــة الحوازيـــة ليست فقط فى مضمون الإستجابة بــل أيضاً الإهتمـــام بالتفاصيل الدقيقةعند سرد المفحوص للقص فهى محاولة منهم لطمأنة الذات.

❖ أسلوب التسامي كمحاولة للدفاع ضد الإستثارة العدوانيـــة لبعــض المنبهــات... وأن يجردها من شدتها ويتسامى بالرغبات المستهجنة وتحويل مسارها إلى مسار مقبول إجتماعياً (العمليـــات الجراحية... الموت نتيجة المرض أو الحرب الوطنية).

❖ العلاقات الإجتماعية... النجاح فى مد جسر من العلاقــات الإجتماعيــة (الرحميــة ، والعامة) ، حيث إحتلت الإستجابات المختلفة على عديد من الإنجازات والنجاحات الإجتماعية وتعتبر هذه الإنجــازات مظهــر من مظاهــر النضــج النفسى بمختــلف أبعاده العاطفيــة ، والإجتماعية ويعكس إرتباطات سليمة وإيجابية بالواقع.

❖ إختلاف الموضوعات والإهتمامات للمفحوص... مما يشير إلى إتساع أفقه ، فالقصص عكست طابع فلسفى ورؤية ثقافية.

❖ يعكس الإتساق للقص المطروحة (من صياغة ، حبكة ، والتوصل إلى حل الصراعات مع تسلسل يتصف بالمنطقية) قوة الأنا فى الإدارة الملائمة والمقنعة للإندفاعات الليبيدية ، والعدوانية.

❖ وفى رسم الشخص (أ)،(ب) ، فى إتساق الجسم وإستقامته نلمس فيه الشعور بالأمن، وإتجاه المفحوص الإيجابي نحو البيئة وكــذلك تأكيد الذات ، وإنضباط النشاط الجنسى مــع إتصال بالبيئة.

كما يعكس الرسم قدرة المفحوص على المثابرة والعمل فى سبيل هدف معين. والقدرة على إتخاذ قرارات حاسمة ، كما يستمتع المفحوص بمستوى طاقة نفسيه وجسمية مرتفع مع توفر الدافع للطموح.

التقرير النهائى للحالة الثانية*:-

طــرح المفحــوص (فــى المقابلة) ذاته من خلال أسمه واسم أبيه مكتفياً به مؤكدا من خلاله شــرعية انتسابه .... واسم الأب يبقى هو السائد فى مجتمع أبوى للتعريف عن الفرد بالنسبة إلــى المجموعــة الــتى يتعايش معها. وتنتفى الذات فى موضوعها (الأب) مشيراً إلى الدلالة الرمزية للأب. و يستيقظ مارد الخصومة السالفة والتى كان ينبغى لها أن نثير الرغبة السالفة وعلــى وجــه الأخــص فى مساواته فى جميع صفاته بل لا تكتفى الذات فيكون التمرد ضده والتطلع للإستقلال الذاتى والفوز بمكانته فى كل شئ (أدخل كلية الطب... أدير معمل والدي... أقوم بمهام والدي).

---

* راجع ملحق الدراسة من ١٧٩:٢١٢

❖ سمة التدين لدى المفحوص :-

وهــذا التديــن يعنى وجود أنا أعلى Sperego قوية قادرة على تمثل واعتناق الفكر الدينى وإمــلاء هــذا التمــثل على الأنا والهو وهو ما ينعكس على الشخصية للوقوع فى أحد أنماط الشخصية والتى تتميز بوجود أنا أعلى قوى .

ويــرى حســين عبد القادر بقوله " أن جمهرة من المحللين النفسيين يرون أن الإذعان لسلطة الدين كنوع من الإذعان لسلطات الأب " .

ومــن حيــث نشأة الأنا الأعلى كجهاز نفسى مترابط يتكون أولا صور قديمة وسادية تتكون مــبكرا على أساس عمليات الاستدماج والاسقاط وهى تالية لعملية تكون صور الذات المؤمثلة وصــور الموضــوع المؤمــثل والتى تشكل الأنا المثالى وينشأ الأنا الأعلى نتيجة لأوامر ، ونواهى ن وطلبات ، وتحريمات ، وقيم ، ومعايير والدية واقعية مستدخلة .

(جاكوبسون١٩٨٠)

و تــبعاً لجاكوبسون وإتفاقاً معها ان قسوة الأنا الأعلى لدى المفحوص راجعة لكيفية إستدخال تعالــيم الوالدين التى تلقاه منهما ، وليس من خلال مؤسسة دينية. فالذات لم تمثل الفكر الدينى وإنمــا تمــثل للوالدين ولفكرالوالدين ، ولذلك فهو لا يقبل المناقشة ولا يستطيع الافصاح عما بداخلــه حــتى لأقرب الناس اليه اخوته (المقابلة) فالبنية العقائدية للمفحوص هى انتظام فى اتجاه واحد ، والامتثال للوالدين ولذلك كانت طاعة الاب من طاعة الرب وكان الأب لديه فى مرتــبة الرســول (المقابلة) فهو الذى يغذيه بالممنوعات ، والمحظورات ، ولم يترك مساحة لفكراً أخر.

..... وحيــث نجد أن التحريمات التى نشأ عليها المفحوص أصبحت فى مرحلة لاحقة ذاتية ، يطرأ عليها انقلاب موضعى ، أى ما هو " خارجى " أصبح داخلياً أى أن المحرم الخارجى ، يصــبح داخلــياً يمثل سلطة تعمل فى انفراد على ردع المحرمات والقيام بالمهمة نفسها التى كانــت تقــوم بها الروادع الخارجية . وهذه السلطة الداخلية اصبحت جزء من الذات (ضمن الجهاز النفسى) ....

إلا أن أحــياناً يفشــل الكبــت (تهويــه لجهاز الممنوعات) فتظهر على السطح بعد الدفاعات الغريــزية المســتهجنة من وجهة نظر المفحوص فلا ينسبها لنفسه ولكن يسقطها على العالم الخارجى ....

فكل ما ينتاب المفحوص من صراعات أو غرائز لا تخضع لمفهوم الخير ، والفضيلة (بمعيار المفحوص) يرفضها فى نفسه ، ويفصلها عن ذاته ويسقطها على الخارج (الشيطان) فهو يرى أن كل دوافع الشر والأذى من عمل الشيطان أي ينفى المسؤلية عن نفسه.

فبخروج أمنيات شبابية مكبوته بداخله (روح السينما ، أخرج مع أصحابك ، إجري والعب) ، وحيث أن الا شعور هو مخزن الأمنيات الا شعورية نجده يثور (أعوذ بالله... سوف أستحم) وكأنه فعل الإثم فمجرد النية تعني الفعل ، وهذا يعكس الجمود الفكري للمفحوص.

أما مع الانسياب اللاشعورى عبر بطاقات التات **T.A.T** افصحت الذات عما يعتمل بداخلها.

و مع مرحلة البلوغ تتأجج من جديد مارد لأوديب فعكست استجابات المفحوص بقايا تخييلات الخصاء التى جعلت المفحوص فى الصغر يكبت رغبته فى الأم ويتعين بالأب حتى يجتاز أزمة الخصاء ورداً عدوانياً على هذه التخييلات تعود امنيات لاشعورية لموت الاب ليؤمن المفحوص عضوه الذكرى . كما فى بطاقات BM 6 – بطاقة BM 8 الذى نقل فيها المفحوص العدوان على العم (العمود الفقرى) وبطاقة ١١ (الثور الضخم أمام الفارس النبيل)

وكما نعرف ، فإن مجاز الموت هو الخلود موت يجعله أول الخالدين ويحيل من الغياب إلى الحضور فإذا ما كانت الحياة مرحلة البحث عن الكمال الذى لا يتحقق إلا بفعل الموت.

لقد حاول المفحوص توطيد اركان ذاته على مسرح الحياة الاجتماعية . وتميز هذا الدور بالحماس لروح الجماعة وتقاليدها وآلفة الاخرين من هم فى مثل العمر الزمنى للمفحوص . فالذات لديها القدرة على المشاركة فى الحياة الاجتماعية بين المجاراة للأخرين والمبادرة الشخصية بلوغاً إلى تقدير الأخرين وحبهم . ومحاولات الاستثمار الوجدانى فى علاقات خارجية والاستمتاع بالحياة أما فى البطاقة (١٥) فكشفت عن مرونة فى التفكير والبعد عن الجمود الفكرى ولديها القدرة على النقد الذاتى الواقعى والتكامل والمرونة .

ونلاحظ سمة تكوينية أخرى للمفحوص مشتقة أساساً من التعبير عن هوية الذات ، وهو وجود قوى الأنا ، وبشكل خاص التى تتمثل فى نطاق عريض من الميول الوجدانية ، القدرة على الضبط الوجدانى والأندفاع ، والقدرة على التسامى فى العمل والقيم .

ونجد المفحوص قد حركه تخييل يحتوى على نزعة عدوانية برؤية الدماء وتشويه الجسد ، (قد يعود إلى الطفولة الأولى) ، فيحول هذه النزعة السادية المدمرة إلى نزعة إنسانية باستخدام

نفـــس القوة المحركة ولكن بعد تحويلها إلى أهداف سامية استئصال ورم أو إنقاذ حياة انسان بطاقة (BM 3, BM 8)

وعـــبر الـــبطاقة ٢٠ تحـــرر المفحـــوص وانطـــق (للسفر بلندن) فعكست الاستجابة احتياج المفحوص لعلاقات اجتماعية أكثر انفتاحاً.

وتعكس الإستجابات القدرة على إدراك الواقع ، فيصفه عامة نلاحظ البعد عن الخلط فى رؤية البطاقة والقرب من الإدراكات و الإستجابات المألوفة. مع القدرة على التميز فى رؤية الجنس ، وعـــدم الخـــروج عن المألوف من الإستجابات التى كانت تدور حول العلاقات بين الرجل والمرأة والإنشغال فى إطارها السوى وإدراك الواقع.

وفـــى رسم الشخص فى H.T.P نلمس الشعور بالأمن وإتجاه المفحوص نحو البيئة ، وكذلك النشـــاط وتأكـــيدات الـــذات. مع إستخدام الضبط واللباقة فى علاقته مع الأخرين. والإحتفاظ بصلات إجتماعية قوية ، مع توافر الدافع والطموح.

وقـــد يفصـــح الرسم عن وجود تماثل مطلق قد يصل إلى حد الجمود يتضمن قطاعاً وسواسياً قهرياً للضبط الإنفعالى مستعيناً بالكبت والإسراف فى اللاإتجاء إلى المعالجات الذهنية بوصفها أساليب دفاعية.

التقرير النهائي للحالة الثالثة*:-

مـــن خـــلال الاسم والتاريخ الأسري، الذي أكسب المفحوص شرعيته، يتداعى بتلقائية، حيث نمت الذات في إطار من الاستقرار والاطمئنان (مدلعني بس دلع إيجابي)، ويكتسب من خلال أسرته خطوات ثابتة متدرجة نحو الاستقلالية. أما علاقته بالأم (علاقة فرفشة) كسابق عهدها معه في الطفولة ، فقد إتخذ منها خليلة مستغرقاً فى تخييلات علاقة إنصهارية ، ليشبع الفراغ الجنســـي الذى يؤرقه فهى حالة من النكوص أن يتبنى الفرد سلوكاً خاصاً بعمر سابق، ليهرب مـــن إحـــباط حـــالى يفرضـــه الواقع. ومع ذات واعية بجنباتها، وما يعتمل بها، تعود على الاســـتقلال، والتخلـــي عن دوافعه الجزئية، ويثق في اتجاهه التناسلي في حياته الجنسية. فى محـــاولاً أن يـــتجاوز مرحلة البلوغ على نحو أكثر سهولة ، بمقدار ما يكون تطوره الجنسي السابق.

تتســـم صورة الذات بالمواجهة والتفكير العلمي، وبحيث يرمز العلم إلى العقل والمعرفة، أي اســـتبدال الرغبات والتخييلات المستهجنة بالمعرفة، واستخدام ميكانيزم الإعلاء للسيطرة على الدفعات الغريزية.

* راجع ملحق الدراسة من ٢١٣:٢٤٠

❖ ونرى أن الاستقلال يتطلب التخلي عن التخييلات الجنسية الطفلية المحرمية، التي يقف لهـا بالمرصـاد وإستدخال أوامر ونواهي الأب. فهو اختيار مشروط، فالوصول إلى المعرفة (رمز ذكري) يتحقق بالانفصال عن العلاقة الانصهارية بالأم، من أجل الوجود الإنساني، ومن أجـل الوجـود الذكري، والحصول على القضيب المنتصب الكامل، حيث أن القضيب جسر يحقق الكمال النرجسي، فالخشية لديه خشية من الخصاء الرمزي، أي الخوف من فقدان التحقق الممكـن للكمال النرجسي. ولاسيما أن الصورتين، عضو الذكر الجنسي والقضيب، يختلطان ويصـبح عضو الذكر –القضيب– على هذا النحو، هو الموضوع الوحيد، الذي يضمن الكمال النرجسـي. فالأيديولوجـية المسـاواتية (تكوين فرقة موسيقية) تحمي المفحوص من حصر الخصـاء، ويكـون الوهم في الجماعة إذن تحقيق الرغبة في الشفاء من الجروح النرجسية، والـتوحد بالحصن الطيب وتعكس الاستجابة، مشاعر الحزن لدى المفحوص، مشاعر التخلي عن مرحلة، والالتحام بمشاعر مرحلة أخرى، فالوحدة الطبيعية، ليست الأنا الشخصية، بل الأنا الشخصية مع الآخر، وذلك بأن يسوغ مفهوم الحنين إلى الموضوع المفقود، وليس بالوسع تسويته على نحو آخر.

❖ نقص الموضوعات الإكتئابية فلم يكن هناك هذا الإسراف فى اليتم والموت والفقدان والإنتحار وفقدان تقدير الذات ، لنزعة الاكتئابية التي تعكس اتجاهات المفحوص نحو فقدان ما فـي الماضـي، قد تكون الشخص الذي وجه إليه العدوان في عالم الواقع، فيلجأ إلى الأساليب الدفاعية الإصلاحية التعويضية، وهي تشتمل على تلك المحاولات الخاصة بالمغالبة التدريجية لآثـار العـدوان، ومحاولات تخليص الموضوع الطيب من آثار العدوان عن طريق استعادته تخييلياً، وحمايته من الأخطار الناتجة عن مشاعر العدوان، فيقرر المفحوص إحياء الموضوع بداخله مرة أخرى، بدلاً من الفقد مع استبعاد الشق الشهوي، ويدعمه بالحب والحنان، فيعكس تقديـس الأم بوصـفها الحانـية العطوفة (مريم العذراء) ويخلق التوازن والتنظيم الشخصي لوجودها مع وفي كيانه أو خارجه، ويؤدي النجاح في هذا المضمار، إلى فتح الطريق للتخلص من ضروب القلق.

❖ والعدوان لديه لم يكن بصورة صريحة ، عنيفة متكررة ، وهذا يدل على تناقص الشحنات السادية وبالتالى تعديل الموضوعات الداخلية مع محاولات التعامل مع الموضوعات المشبعة.

❖ وقد طرح وجوداً لأنا قوى، وبشكل خاص التي تتمثل في نطاق عريض من الميول الوجدانية، والقدرة على الضبط الوجداني والاندفاع، والقدرة على التسامي في العمل

والقـــيم، مـــع وجـــود أنا عليا ناضجة متكاملة، ممثلة لاستدخال أنظمة قيمية، تعتبر مستقرة، مجردة، تشخصية ومتفردة، ولا تعتمد على القمع الطفولي اللاشعوري.

وينعكس هذا التكوين الخاص بالأنا العليا، في الإحساس بالمسئولية الشخصية، والقدرة علـــى نقـــد ذاتي واقعي، والتكامل والمرونة في التعامل مع السمات الأخلاقية الخاصة باتخاذ القرار، مع الإدارة الملائمة والمقنعة، للاندفاعات الليبيدية والعدوانية.

❖ وعلى مستوى النمو النفسجنسي، نجح المفحوص في إدخال الجنس في إطار المشروعية ، إفتقار العدوان على المرأة بالقياس بمجموعة الأبناء غير الشرعيين كذلك إفتقار الخوف الإضطهادى من الأم.

❖ القدرة على الزواج والإنجاب دون الخوف والتوجس القهري من الخيانة فلم يتأثر لدى المفحوص بناء الشكل والخيانة بل ظهرت بصورة إحتياج لتكوين صورة أسرة سعيدة.

❖ وتعكس الإستجابة قدرة المفحوص على الحكم على الأشياء أو التصرفات أو الأحداث الـــتى تتفق مع الشبكة المعقدة من العلاقات والمواقف التى كونها المفحوص عبر حياته بحيث أصبح حكمه حكماً صائباً أو قريباً من الصائب ما يعكس القدرة على إختبار الواقع (فى إختبار الواقع هو لحظة يلتقى فيها الجانب الإنفعالى والجانب العقلي لإصدار حكماً صائباً).

❖ ويعكس اهتمام المفحوص –في اختبار .H.T.P– برسم العنـــق في اتساق مع حجـــم الـــرأس والجســـم، الضـــبط والتكامل والتسامي والتفكير وضبط النوازع، وخاصة في ثقافتنا المتشـــددة. وفـــي قامة الجسم المرسوم، نلمس الشعور بالأمن، واتجاه المفحوص نحو البيئة، وكذلـــك النشـــاط وتأكيد الذات، وحتى النشاط الجنسي ، حيث أن القامة تشمل الأرجل ، التي تتصـــل وظيفـــياً بكـــل تلك المشكلات ، بالإضافة إلى الاحتفاظ بالثبات المكاني للجسم ، وقد عكســـت كمية التفاصيل التي قام المفحوص برسمها ، مدى إدراكه ، واهتمامه بعناصر حياته اليومية ، ومدى الواقعية في نظرته.

❖ مع وجود مشاعر قلق ونوعاً من المزاج الإكتئابي ، مع محاولات شعورية للإحتفاظ بصلات إجتماعية.

❖ وفى قامة الجسم نلمس الشعور بالأمن وإتجاه المفحوص نحو البيئة وكذلك النشاط وتأكيد الذات مع صراع فى تأكيد الهوية الجنسية.

فلدى المفحوص مفهوم متكامل عن الذات، ومفهوم متكامل عن الآخرين ذوي الدلالة، مما يعكس هوية الأنا من خلال الإحساس الداخلي، والمظهر الخارجي، للتماسك الذاتي، وتعتبر شرطاً أساسياً لتقدير الذات الطبيعي، والتمتع الذاتي والاستمتاع بالحياة (هواية الموســـيقى)، فهـــو يـــدرك رغـــباته وقدراته والالتزامات نحو الواقع، والتعاطف والاستثمار

الوجدانـــي في الآخرين والذي ينطوي على القدرة على الاتكالية الناضجة، مع الاحتفاظ الدائم بالإحساس بالاستقلال الذاتي.

❖ ويتقبل المفحوص ذاته وإن كان هناك معنى فى حياته فإنه فى نطاق ذاته ، يدركه ويتبينـه ، وإن كان هناك قيم يتطلع إليها فهى فى نفسه يحتضنها ويعتز بها. وإتسمت علاقة المفحـــوص بالأسرة بالود والواقعية والقدوة الحسنة مع محاولات الإستقلال الذاتى وبناء هوية خاصة به.

❖ ميكانيزمات الدفاع لدى المفحوص كانت أقرب إلى الميكانيزمات العصبية.

ويتمتع المفحوص بميكانيزم الإعلاء الذى يتكون أبان مرحلة الأوديب ، كتتويج لها مع التعيين الذكري بالأب. أما تقمصه لشخصية مايكل جاكسون فهى سمة من سمات المراهقين فى إتخاذ المثل الأعلى أحياناً واحداً من المشاهير إلا أن المفحوص كان واعياً فى إختيار ما يتناسب مع طبيعته (حيث إختار فى مايكل طموحه، وإعتماديته على نفسه فى سن مبكرة) وهذا ما يفتقده المفحـــوص فـــى واقعـــه المعاش . أمنيات المفحوص فى مغادرة المنزل يدل على رغبة لا شـــعورية فـــى تحقيق الذات والتخفيف من وطئة التبعية البنوية فالسفر يعرب عن إرادة دفينة للتحرر من العلاقات الأدوبيبة وبالتالي سيرورة المفحوص رجلاً راشداً ومستقلاً.

❖ أما التخييلات فقد كانت تخيلات (الخصاء) وتخييلات مرتبطة لاقضيب الإخصابي جسر الكمال النرجسي.

الإفـــتقار إلى التخييلات البدائية المدمرة ، مما يشير إلى الإلتحام بالواقع والإنتقال من التبعية القهـــرية للموضـــوعات الداخلية البدائية المدمرة إلى العالم الخارجى والموضوعات الحقيقية الخارجية.

التقرير النهائي للحالة الرابعة*:-

يطـــرح المفحـــوص ذاتـــه، من خلال اسمه، واسم أبيه، أي من خلال نسب يعطيه الشرعية والمكانـــة، ويصبح انشغاله بصورة الجسد، ذلك الجسد النحيل "الذي يمثل النقصان" ويطالعنا بـــأمل بداخلـــه، فمـــع مـــرحلة المراهقة والتخبط في رسم الهوية المستقرة ، التى تتبدى فى الاســـتقرار الداخلي الذي يشكل الـــذات (الحب والـــزواج والعمل) مع أمنيات المفحوص أن يمثل القانون ويحقق المكانة والسلطة في الحياة الاجتماعية (ضابط شرطة).

---

* راجع ملحق الدراسة ٢٤٢:٢٦٧

ويطــرح المفحوص رؤيته بأن إثبات الأنا لوجوده، لا يستقيم بغير تغايره مع الموضوع بحثاً عن التمايز. كما لا يستقيم بغير ماسيرته والتعيين به في الأنا. وهي علاقة جدلية بين الأنا – والآخر.

فقد عكست الاستجابة في المقابلة، رؤية تنظيمية لتفكير المفحوص، ومع احتدام صراع الأجيال (الأب – الابــن) فالابن يرى والده يخصي طموحه وآماله، كما هدده في الصغر بالخصاء ، فالأب يأسره في كيانه هو.

ويطــرح المفحوص صورة الأب (صورة تعكس الأبوة فى مصر)وخلق 'عتمادية (لما أتخانق بابــا بيجيبلي حقي) فالمفحوص يرى أبوه يخصي أماله وطموحه عن طريق فرض السيطرة عليه.

أمــا مــن جهــة الــنمو الحسي الأخلاقي فلقد تكون لدى المفحوص الضمير الأخلاقى عبر الوكــالات الإجتماعية ومن جهة السلوك الإجتماعي فقد تميز بالتآلف مع من سبق المعرفة به والــنفور من الأغراب إلى أن يثق فيهم ويعتبر هذا مرتبط بمرحلة جد مبكرة وعدم بناء القة بينه وبين الأخر.

أما عن مستور النمو النفسجنسي يعترف المفحوص بطبيعة المرحلة وبغرائزه ممل يشير إلى التوافق الجنسي لديه.

ومــع محــاولات المفحوص لكسر قيوده (أنا عايز أكون نفسي) لتحرير ذاته من أسر العلاقة الانصهارية بالأم، وكسر قيود الاغتراب النرجسي بالعمل (التسامي) والعبور بالعلاقة الثنائية إلى العلاقات الثلاثية التعددية عبر الآخر (6 BM , 7 BM)

ومــن وقــت لآخــر تطفــو على حياة المفحوص، تخييلات أوديبية، للفوز بموضوع الحب والتضحية بالرغبة في مقابل مشروع إنساني أكبر (15 , 12 M , 10)

وتعكس الاستجابة، محاولة المفحوص توطيد أركان ذاته على مسرح الحياة الاجتماعية، وتميز هــذا الدور بالحماس لروح الجماعة وتقاليدها، وألفة الآخرين، ممن هم في مثل عمره. فالأنا تــدرك الحــس الاجتماعــي، حيث عكست الاستجابة، قدرة الذات على المشاركة في الحياة الاجتماعية، بين المجاراة للآخرين، والمبادرة الشخصية، لنيل التقدير والحب.

وتعكــس البطاقات أنا عليا قوية، نتيجة استدخال التحريمات الوالدية، والتي تتمثل في الأوامر المصــاغة كلامياً، وهو ما يخدم المؤسسة الرمزية داخل الذات، وحيث ينتصر البناء الثقافي الرمــزي على الرغبات المستهجنة، مكوناً قانوناً خاصاً بالروابط الاجتماعية، فبدون توحدات عقائدية، لن تكون هناك قوة لترسيخ قواعد الواجب والمباح والحرام (18 BM)

كمــا عكســت وجود نزعة اكتئابية، مع مشاعر الخوف من الانهجار، نتيجة للخوف من فقد الموضوع المحبوب في العالم الخارجي، وفي داخل نفسه، فيحرص على ضمه لصدره ليبقى

لصـيقاً بــه (15 , 14) و الاكتئاب لدى المفحوص هنا مزاج اكتئابي مرتبط بموقف ، فمن الممكن أن نعزي حالته هذه، إلى الإغراق في تأملات خيالية، أبعدته عن واقعه، تهرباً مما هو فيه، حيث يعتبر واقعه واقعاً صاغه الكبار، فاستحق منه الاحتجاج الذي تنطوي عليه جوانحه، وتعـتلج به نفسه. ومع طمأنة الذات بعلاقة حب أو عمل (وهما أساس الصحة النفسية) يكون الآخر ينبوع الحب ونهر الحياة الذي أعطى الأحقية.

أمـا علاقـته بأمــه، فجاءت في شكل تمجيد للعذراء، وبالتالي تمجيد لذاته، ابناً للعذراء. فهو إسقاط لصفات سيدنا عيسى على المفحوص. ومع إقصاء الأب يستحوذ على الأم.

وتكشـف الاسـتجابة عـن دراما الوجود الإنساني، حيث يكشف عن صراع في صورة قلق عصـابي، ذلك القلق المرتبط بالقدرة الجنسية لدى المفحوص، وتأثير الاستمناء على العضو الذكي بوصفه أداة للإخصاب. فلدى المفحوص مشاعر نقصان، فهو مازال ينكر خصاءه، ولم يتم انتزاعه من أحضان الطبيعة (الأم)، ولذلك نلتقي بمشكلات عصابية.

فالعصــاب هــو البناء الإكلينيكي الثاني في المنظومة اللاكانية الثلاثية (الذهاب –العصاب – الانحـراف) حيث لا يوجد موقع للصحة النفسية أو السوية بصفة عامة في المفهوم التحليلي، ســواء عند فرويد أو لاكان، ويعد خرافة بينما نجد السواد الأعظم من البشر يقعون في دائرة العصاب. أما السوية فهي أنموذج مثالي واهم نعتقده أحياناً. (عسكر ٢٠٠٠)

ومــع تخيــيلات عدوانــية، تطفو على البناء اللاشعوري، تحت غفلة من الكبت، ومع استدام ميكانــيزم التســامي، يصــعد بالرغبات المستهجنة (الجنسية والعدوانية) إلى مسارات مقبولة اجتماعــياً. فــالإعلاء ليس ميكانيزم نوعياً، بل جاء كإجراء دفاعي يتيح إفراغاً كاملاً للحفزة الأصليــة المكبــوتة، بالمعنى العام للكبت (أي باعتبار الكبت ناجحاً) عند اختفاء هدف الحفزة من الشعور.

وتعكس إستجابات المفحوص لإختبار H.T.P إحساس خفيف بالتميز السطحي ، وقدرة طيبة علي التفاعل المتزن مع البيئة .

اتصال المفحوص مع البيئة وعدم الشعور بالحاجة إلي إخفاء المشاعر وقدرة المفحوص على الحصول علي الإشباع من بيئتة ، مما يشير إلى وجود عدد كثير من الحوافز المشبعة مع عدم إنكار لنوازع الجسم أو شعور بالنقص.

أما من جهة النضج السيكولوجي الجنسي: فهناك توافقاً مع انشغال أو كفاح في سبيل الخصوبة أو كليهما (وقلق خصاء) الاتصال وأدراك الواقع . وعموما تعكس الاستجابات مشاعر الدفء والحنان لدى المفحوص.

ومــن خلال اختبار .H.T.P وفي قامة الجسم ، نلمس الشعور بالأمن واتجاه المفحوص نحو البيــئة، والنشاط وتأكيد الذات، وحتى النشاط الجنسي مع الاحتفاظ بالثبات المكاني، مع توافق طيب في مجال العلاقات الشخصية، والاتصال المباشر مع البيئة.

وعكست كمية التفاصيل في الوحدات الثلاثة، اهتمام المفحوص بعناصر حياته، ومدى الواقعية فــي نظــرته إليها. كما عكس الرسم التناسق وضبط النوازع، حيث رسم العنق، وهو العضو الذي يصل الرأس، وهي مركز الضبط والتكامل والتسامي والتفكير.

وجــاءت صــورة الــذات، تتسم بتقدير الذات، والنبل الأخلاقي ، والرضا النفسي ، والقانون الداخلي، كما عكست الاستجابات صورة الذات، وطموحا، مع قدرتها على التوفيق بين جانبي الصراع ، في تفاعلها مع الواقع المعاش وأظهرت استقلالية في التخطيط للمستقبل.

واتســمت العلاقــة بالموضوع ، برؤية متكاملة للآخرين ، والاستثمار الوجداني فيهم ، الذي ينطوي على القدرة الاتكالية الناضجة ، مع الاحتفاظ الدائم بالاستقلال الذاتي.

وإذا ما كنا بصدد سمة تكوينية للشخصية السوية، مشتقة أساساً من التعبير عن هوية الذات وهي وجود أنا قوى ، يتمثل في الضبط الوجداني، والاندفاع ، والقدرة على التسامي في العمل والقيم.

كمــا عكست الاستجابة محاولة المفحوص توطيد أركان ذاته على مسرح الحياة الاجتماعية . وتمــيز هذا الدور بالحماس لروح الجماعة وتقاليدها ، وألفة الاخرين ممن هم في مثل العمر الزمني الذي قرن المفحوص نفسه به .

كما تكشف الاستجابة قدرة الذات على المشاركة في الحياة الاجتماعية بين المجاراة للأخرين والمبادرة الشخصية بلوغاً إلي تقدير الأخرين.

تعكس الاستجابات قلقاً عصبياً يمثل خشية انبعاث الدوافع المستهجنة (العدوانية أو الجنسية الدفينة).

وكشفت الإستجابة عن مخاوف طفليه وعدوانية لدى المفحوص.

النمو النفسي جنسي: تكشف الاستجابات عن مشاعر القلق حيال القدرة الجنسية لدى المفحوص وتأثير الإستمناء على العضو الذكري بوصفه أداه للإخصاب وجسر الكمال النرجسي تنعكس سمات الشخصية السوية في بداية الأمر بمفهوم متكامل عن الذات ومفهوم متكامل عن الأخر ذوي الدلالة ، وهذا ما عكسه وجود أنا قوى تمثل في الإحساس الداخلي والمظهر الخارجي للتماسك وساعد في تقدير الذات الطبيعي التمتع الذاتي ، والاستمتاع بالحياة وذلك يمثل الأنا في القدرة علي الضبط الوجداني والاندفاع والقدرة على التسامي في العمل والقيم

والاداره الدائمة والمقنعة للأندفاعات الليبيدية والعدوانية تعكس الاستجابة وجود الأنا العليا المتكاملة ممثلة استدخال نظم قيمة تعتبر مستقرة. والقدرة على النقض الذاتي الواقعي والتكامل والمرونة في التعامل على الأخلاقيات.

ميكانيزمات الدفاع:-

❖ تندرج ميكانيزمات الدفاع لدى المفحوص تحت ميكانيزمات الدفاع من قبيل العصاب مـع اســتعمال الــيه التسامي المرتبطة بتجاوز المرحلة الاوديبية واستثمارها لتحقيق الاستقرار النفسي للذات.

❖ ويعكس الإتساق الداخلى للإستجابات تكوين وحدة عضوية (إتساق ، وحدة ، تسلسل ، منطق) وهذا وفر الموضوعية والمنطق فى القصص مما يشير إلى سلامة العمليات الفكرية ومدى السيطرة عليها ، وتحطم الأنا تحكماً واعياً فى المواد الا شعورية المكبوتة.

❖ فرض موضوعات تتصل بالإنجاز والنجاح والعلاقات الزوجيـة الناجحـة ، والدعـم والمساندة ، وغلبت موضوعات النجاح ، والتحصيل العلمي ، والإجتماعي الجيد مما يدعم الإرتباط بالواقع المادي.

الفصل السادس

مناقشة

النتائج العامة للدراسة

مناقشة النتائج العامة للدراسة

إذا ماكان المعيارالوحيد لصلاحية فرضية هو قيمتها التفسيرية ، فسوف تتناول الباحثة فى هذا الفصل مناقشة وتفسير النتائج التى حصلت عليها. فى محاولة لجمع الصورة وطرح بانوراما الوجود الإنساني ، والوصول إلى جوهر كينونته ، والوعي الكيفي به. ونفضل فى هذا الصدد مناقشة نتائج كل فرض من فروض الدراسة كل على حدة.

***الفرض الأول:* يضطرب إدراك الأبناء غير الشرعيين للصورة الوالدية مع وجود تعويض خيالى على هذه الصورة على خلاف الأبناء الشرعيين.**

يتضح من إستجابات الأبناء غير الشرعيين اضطراب الصور الوالدية مع وجود تعويض خيالى على هذه الصورة فلم يكن لديهم القدرة لتكوين صورة متطورة للأم... الأب (الرمزية). على خلاف الأبناء الشرعيين حيث نجد أن لصورة (الأب و الأم) الفعلية الهاربة لم تكن مؤهلة لتكوين صور ايجابية بل جاءت صور متناقضة للصور المتخيلة لكل من الأم والأب وإن كان على المستوى الشعورى طغت بعض الشئ على نحو دفاعى(لدى بعض الحالات) الجوانب الطيبة وبخاصة فى الحالة الرابعة إلا أنها قد طغت وبشراسة على المستوى اللاشعورى لدى جميع الحالات الجوانب الشريرة للصور الوالدية المتخيلة ، وكانت الغلبة لكل ما هو سلبى وندرة ما هو إيجابى .

وذلك من خلال الطرح لصور شبحية عزرائلية دراكيولية .

فجاءت الصور كالآتى :-

* صوراً أغتصبت من الذات مشروعيتها ، وكيانها ، والإعتراف بوجودها.
* صوراً تآمرية مضطهدة لصور الذات .
* صوراً حرمت الذات الأمن والاطمئنان والاستقرار .
* صوراً عجزت عن الحماية والدعم والمساندة فى مواجهة الواقع .
* صوراً حرمت الذات الوجود النفسى الأجتماعى .
* صوراً مزقت المكانة وأدوات الطموح .

---

* أحياناً تستخدم الباحثة كلمة "المفحوص" للدلالة على "مجموعة المفحوصين جميعاً".

* صوراً دراكيولية تختلف عن الأفتراسية ذلك أن دراكيولا يفعل أكثر من مجرد ادماج لغيرية الأخر فهو إضافة لذلك يصنع صوراً وأشباحا أو أنعكاسات له بتحويل ضحاياه دراكيولات شبيهة فالدراكيولية تمتد من خلال استدماج للأخر وإعادة لتقديم الذات .
* صور فى خدمة الرغبات المستهجنة محرضة على الجريمة .
* صور خلقت بنية مغتصبة تأصل بناء الشك والخيانة بداخلها .

📖 يرى Kernberg 1984 "أن الاستدماج" هو المستـوى الأساسـى الباكر ، والبدائى فى تنظيم عمليات الإستدخال فهو نتيجة للتفاعل مع البيئة عن طريق التجميع المنظم للاثار الذكراوية التى تتضمن ثلاث مكونات : صور الموضوع ، صور الذات فى تفاعلها مع الموضوع ، الوجدان الذى يلون صورة الموضوع ، وصورة الذات تحت تأثير الدافع الذى يسود وقت التفاعل. حيث تمثل هذه العملية الميكانيزم النمائى للجهاز النفسى ويستخدم من قبل الأنا لأهداف دفاعية ويعد الوجدان الذى يلون الاستدماج الجانب الأساسى فى الاستدماج ويحدده اندماج وتنظيم استدماج العناصر المتشابهة ، لذلك فإن الاستدماجات تحتل مكانها تحت العنصر الإيجابى للإشباع الليبيدى ، كما نجده فى الحب فى علاقات الأم – الطفل ، حيث تندمج وتصبح منتظمة فيما نطلق عليه " الموضوع الداخلى الجيد " أما الاستدماجات التى تحتل مكانها تحت العنصر السلبى لأشتقاقات الدافع العدوانى ، فإنها تميل إلى الاندماج مع استدماجات العناصر السلبية المماثلة وتصبح منتظمة فيما يطلق عليه " الموضوع الداخلى السئ " (Kernberg ١٩٨٤:٣٠)

وحيث كانت الذات مرهونة فى وجودها بوجود آخر والأعتراف المتبادل فإن عجز الأخر هو ما دفع المفحوصين إلى خلق منظومة صورية متخيلة ولذا طغى التبادل المرآوى للأدوار فى الجريمة والقتل والأغتصاب .

❖ ويمثل لنا التكرار الحوازى لجرائم الاغتصاب والجنس دال مدلوله تفكك القانون وانحرافه عن وظيفته الأساسية كما يشير إلى وجود قانوناً بدائياً هو أعتداء موجه لسلطة الأب . حيث نجد تخييل جامح بعد المفحوص تماماً عن الواقع وتعطل لوظائف الأنا الادراكية وبذلك تعطل القانون والعقل والمنطق .

❖ أما فكرة الثأر فكان دافعاً أساسياً لبزوغ جرح نرجسـى للذات ، والنقص الحـاد الذى يلازم المفحوص ولم يستطيع الفكاك منه ومعايشتة للثأر على المستوى الخيالى ، وهو فى كونه فعل مازوخياً.

والمازوخية كما قدمها لنا فرويد كانت أقرب إلى البعد البيولوجى ، ولكن يختلف الوضع عما هو عليه " لدى لاكان " .

🕮 "فلاكان" فى شرحه للمازوخية يبدأ من المتخييل أو اغتراب واستغراب الطفل فى الصورة ، ويستخدم العدوانية aggregsivity ليست على أنها تقل وإنما هى حالة ملازمة للنرجسية فطالما هناك نرجسية فلابد أن يكون هناك عدوانية ، فالنرجسية كما فهمها "لاكان" بالمعنى الهيجلى الشامل مرتبطة باغتراب الشخص فى صورته التى يشاهدها فى المرآة ، فهى صورته ولكن فى نفس الوقت هو غريب عنها فهذه الصورة تخلق لديه أملاً وكمالاً لا يمكن الوصول إليه ، فهى تريه صورة جسمية كلية ومتكاملة لا تسمح له إمكانياته القاصرة بالتحكم فيها ، فهى وهم ، وسراب ، وحلم، لا يمكن الوصول إليه لذلك فالنرجسية سوف تكون هى عشق المرء لصورته ، وكراهيتها أيضاً وهو ما يفسر لنا المازوخية بجميع أشكالها ومستوياتها .

❖ ونظراً للخلط بين الذات والموضوع أو بين صورة الذات وصورة الموضـــوع ممـــا يجعل العدوان (فى شكل فعل الاغتصاب) على صورة الموضوع هو عدوان بالتالى على صورة الذات ، وذلك نظراً للتعيين الذاتى بالموضوع المفقود وهذا قد يفسر الضراوة الحقيقية التى يعامل بها المفحوص موضوعاته "

❖ ونجد المفحوص أسير موقف ثلاثى. والعلاقة الجنسية السوية الناضجة بين أثنين فهو مازال متعلقاً بصور الأم تعلقاً ذو طابع شهوياً ، فهو يأخذ أى امرأة من آخر الا ويكون فى هذه الحالة قد أخذها من أبيه لاشعورياً ، فيأخذه لها من (الزوج) أو من العشيق ، أو الرفيق ، أو الخطيب ، الذين يمثلون رموز الأب يكون قد حقق نصراً ، ولكنه ينال العقاب وبتكرار الأمر مع غيرها فالرغبة هنا سرابية (والتى هى التقاء المتخيل بالفعلى).

❖ **وجود قدر من الغيرة المدمرة لدى الأبناء غير الشرعيين**

🕮 والغيـــرة كما يرى "مصطفى زيور" تدل على انطماس الحـــدود بيـــن الذات والآخر فشعور المرء بالغيرة هو فى أساسه إحساس بأن كيانه أصبح نهبا يغير عليه الأخرون إنه شعور بالمنافسة لدى من لا يقوى الا على أن يكون مشاهداً محروماً بفعل المنافس ، وهو حالة من لا يعرف لنفسه كياناً إلا بالظفر بما ظفر به الأخرون ، ولا تتحدد معالم ذاته إلا بالقياس إلى ما يملكه الآخرون فهو يرى شخصه مغتصباً أسيراً للآخرين ، ويود من جهته أن يغتصب ويأسر الآخرين فكأنه يلعب أدوار الموقف كله لا دوره هو لأن أبنيته يعوزها الاستقلال ، والتميز عن الآخرين. أنه يخاف الناس دائما ، وأنه يخافهم أكثر مما ينبغى ، هذا يؤكد أن ذاته لم تنفصل بعد ولم يعرف لها حدوداً وهذا الخوف من الناس أيضاً

يوجد لدى الأطفال فى المراحل المبكرة من حياتهم حينما يكونوا لم يصلوا إلى معرفة الحدود بين الذات والأخرين فيخاف المفحوص من الناس لأنه يجد ذاته ضائعة مع الأخرين . (مصطفى زيور ١٩٨٦ : ٦٧)

وهذا الإضطراب بين حدود الأنا الأخر – يعكس إضطراب في عملية الإنفصال – والتفرد (تبعاً لماهلر) كذلك إضطراباً فى إدراك الواقع.

صورة الأم لدى الأبناء غير الشرعيين :

مع وجود تعويض خيالي عن صورة الأم رسمت استجابات المفحوصين صورة خلطية للأم على المستوى الشعورى وكذلك على المستوى اللاشعورى وقد أسقطت من خلال بطاقات T.A.T كما يلي:-

❖ جاءت علاقة المفحوص بأمه* علاقة تعيين ذاتى ، خلطى ، نرجسى ، انصهارى ، اضطهادى ... علاقة اندماج ، وانصهار إلى حد الفناء. وتفجرت فيها كل مشاعر العدوانية فجاءت صور التهامية... إفتراسية... ودراكوالية ، تمثلت فى صور بدائية مضطربة وحيث أن الاضطراب الذى مس العلاقة (الأم – الطفل) السوية أدى إلى اضطراب دائم فى شخصية المفحوص وظل أسير الصورة المرأوية فلم يحدث انفصال بل كان هناك ألتحام خيالى يقتره المفحوص بشكل حوازى دائم حيث أصبح اسير الوجود غير الشرعى وأصبح المفحوص يرى فى ذلك الأخر سواء صورة مرأوية أو شبيهه هو. صورة يتعين بها وأصبح أسير هذا الوضع عاجزاً عن تحديد معالم شخصيته ويظل فى حالة اللاوجود فإثبات وجوده مرتهناً بالآخر ، وبالتالى أصبحت الذات تدور فى فلك اللامشروعية.

❖ تأصل بناء الشك ، والخيانة والعلاقات غير الشرعية . كما تمثلت موضوعاته فى صورة سرابية لا تلبس أن تتلاشى ويعيش معها الفقدان من جديد فى صورة قهرية فالأنا عاطل عن الحب فمازال يعيش مأساة وجود مجهول .

---

* وقد أوصى (لاكان) بأهمية التميز بين الأم الواقعية والأم المتخيلة والأم الرمزية ذلك إن الأم تدرك فى الواقع راعى للطفل غير قادر على إشباع حاجاته ومن ثم يعتمد بصورة مطلقة عليها كأخر يرعاه ولكن الأم فى المقام الأول أم رمزية Symbolic Mother .. فعندما تمد الأم يد العون للطفل جالبة له موضوعات إشباع حاجاته فإن تلك الموضاعات ستكتسب وظيفة رمزية تتفوق – بصورة مطلقة – على وظيفتها الواقعية... فالموضوعات سوف تدرك كهبات .. علاقة رمزية لحب الأم.. ومن ثم يعد وجود الأم هو الذى يثبت ذلك الحب حتى لو لم تكن تجلب إياه موضوعات واقعية فى حضرتها وهنا يُدرك بوصفه نبذ صارم.. وفقدان للحب وعلى ذلك تصبح الأم واقعية فقط حينما اجيب طلب الذات.. وتظهر الأم فى عالم المتخيل فى عدة صور أهمها الأم الملتهمة (المستبدة) Devouring Mother تليها صورة الأم القضيبية.. مالكة القضيب المتخيل (منال شحاته ٥١٧:١٩٩٧)

❖ وتتعثر الهوية إذا لا تجد الذات مكاناً ، فتعيش على المستوى الخيالى فى صورة مغتربة منقسمة على نفسها وعلى الأخر الذى لم يكن مهيئاً لإستيعاب الذات .

❖ وأصبح المفحوص أسير رغباته المستهجنة ومخاوفه الأوديبية والتخييلات الجامحة فى العلاقة بالأم وصورها الغفل من المنطق وجاء ابشع تصوير فى البطاقة رقم ١٦ للحالة الثالثة . والتشويه الرمزى لصورة جسدها عبر رسم المفحوص الأول للشخص (ب) فى أختبار H.T.P وسلبيتها فى رسم المفحوص الثانى والرابع .

❖ وبرغم التجريح والاتهام إلا أن المفحوص يحاول إلى حد ما ترميم وتحسين صورتها عبر إلتماس أعذار .

صورة الأب :-

مع وجود تعويض خيالي عن صورة الأب رسمت الإستجابات صور خلطية تجمع بين صورة أب فعلي مغتصب وصورة تخيلية تضيع ملامحها وقصور فى الصورة الرمزية. فجاءت صورة تمثل أقصى درجات الخير وأقصى درجات الشر وأقصى درجات القدرة وأقصى درجات الضعف فهروب الأب من أبوته ومن قبله هروبه من أمه ، قد أكسبه ملامح الشر والعدوان والإغتصاب . أباً محرض على الجريمة صورة أبوية فى خدمة الرغبات المستهجنة فالمفحوص عاش فى أزمة الأبوة الرمزية.

🕮 وفى هذا المعنى يرى عسكر بقوله "الأبوة هنا لا تعنى استئثار الدور الذكرى بهذه الوظيفة ، إنما تنشأ كنظام قائم تحمله اللغة عبر الأجيال ويتشكل كأب رمزى أو مجازى يسكن الوجود الإجتماعى وليس فى حاجة إلى أب ، وإنما هو وجود ثقافى يفرض نفسه على كل وجود فردى منذ البداية بفعل اللغة " .

(عبد الله عسكر ٢٠٠٠ :٨٣ ، ٨٤)

ونلاحظ غياب التشكيل الأوديبي السوى لدى الأبناء غير الشرعيين فهو دائماً أسير حلاً فاشلاً ، ولقد اشارت الاستجابات الاسقاطية على بطاقات اختبار T.A.T إلى أنه على الرغم من الحرمان الفعلى للأبوة وغياب النسب. إلا أن البناء اللاشعورى لدى الأبناء غير الشرعيين قد أسسوا بناءاً متخييلا لصورة الأب ، والأم ، والأخوة فى إطار الصنعة اللاشعورية المحكمة ، ولكنه بناء لا يقوم على أسس واقعية يستمد منه هذا البناء الخيالى قوته الرمزية لغياب التحقق الفعلى من الوجود الأسرى ، ولذا فهو ينتقل من مشروع إلى مشروع ، ويعايش الصورة المتخيلة للاسرة فى إطار ما قبل الموقف الأوديبى ، ويخلق نوعاً من الصراع الأوديبى الفظ وكأنه يحاكى الاطفال فيما قبل الخامسة ، ويقبع لاشعورياً فى هذه المنطقة مع نقص حاد فى الاستبصار والتفكير

فى المستقبل والقدرة على تخطى هذا الفراغ الرمزى الذى كان ينبغى أن يتوسط فى نقل المشروع الخيالى إلى العالم الإجتماعى كى تتحقق فعالية هذا البناء النفسى الذى حكم عليه بأن يظل مبتوراً ويتزايد نقصه الفعلى ويتوحش كماله الخيالى ويظل الواقع فارغاً من المضمون الذى ينعكس سلباً فينقلب لتدمير هذا الواقع أو لامحالة إذا ما فشل فى تدمير الواقع فلسوف يدمر نفسه.

كذلك لم يكن فقدان الاستبصار بقانون الواقع ومعاييره الا النتيجة الحتمية لقصور الدال الابوى بما هو ممثل لقانون الواقع ، وحامل له ولتشريعاته ، ثم غياب الأب كحامل للقانون.

وكسلطة رادعة فكان قانونه المنح ، والعطاء دون سلطة أو تحريم أى أنه قانون أمومى يدعم الطابع الطبيعى للعلاقات ، وانتصاراً لرغبات "الهو" المستهجنة. فأطلق الزمام للجنوح وللرغبات المستهجنة.

❖ **أما بالنسبة للأبناء الشرعيين** فقد كانت الغلبة لكل ما هو إيجابى ، وندرة لكل ما هو سلبى ، صوراً تختفى معها كل معاناه ... صوراً مليئة بالحب والأمان... رسمتها كلمات المفحوصين كما يلي :

* **صوراً نقية تتميز بالشفافية ، واضحة ، حازمة.**
* **صوراً منحت الأسم ، والنسب ، والوجود الإجتماعى الشرعى ، والمكانة الإجتماعية العفيفة.**
* **صوراً ساعدت على الأمتثال لمقتضيات الواقع ، ومغالبة النزعات العدوانية المستهجنة ضد عالمهم من خلال تدعيم قدرة الأبناء على التسامى .**
* **صوراً شيدت الكبرياء دون الغرور ، والأنانية ، كبرياء يؤدى إلى التفاخر بشرفه وحماية لكل من يستعين به.**
* **صوراً تفانت فى التضحية.**
* **صوراً وجهت الأبناء إلى الصفات الحميدة (الرجولة ... الشهامة ... الشجاعة).**
* **صوراً خلقت بنية عقائدية بنية لا تعرف الاغتصاب ولكن لها الحق المشروع.**
* **صوراً تدعم الطموح.**
* **صوراً حققت الأمان والاستقرار والمساندة والتأييد لصور الذات.**

ونلاحظ حلول موفقة للموقف الأوديبى تتفاوت فى مستويات النجاح عبر الحالات الأربعة ، وحيث أن الوظيفة الأساسية للعقدة الأوديبية هى وظيفة أبوية ... وظيفة الأب ذلك الطرف

الثالث الذى يحول العلاقة من طابعها الاثنى المتخيل إلى الطابع الرمزى التعددى بين الذاتى عبر دوره التحريمى والتشريعى بوصفه صورة للقانون ، وممثل للمعايير الثقافية والإجتماعية.

فقد كان للموقف الأوديبى تأثير على إنبناء شخصية المفحوصين وتكوين أركانها المختلفة وخصوصاً (الأنا الأعلى والمثل الأعلى للأنا) فوجود الأنا العليا الناضجة المتكاملة ممثلة استدخال لأنظمة قيمة تعتبر مستقرة ، ومجردة ، ومتفردة ، ولا تعتمد تماماً على القمع الطفولى اللاشعورى ، وانعكس هذا التكوين الخاص بالأنا العليا فى الإحساس بالمسئولية الشخصية ، والقدرة على نقد ذاتى واقعى ، والتكامل ، والمرونة فى التعامل مع السمات الأخلاقية الخاصة باتخاذ القرار ، والالتزام بالمعايير القياسية ، والقيم (المثاليات).

كما عكست الاستجابات القدرة على الضبط ، وعدم الأندفاع ، والتحكم فى الدفعات الغريزية المستهجنة ، وتحويلها عبر التسامى إلى مسارات يتقبلها المجتمع ، و تخضع لمقتضيات الواقع .

❖ وما يشير إلى تجاوز المفحوصين لمرحلة الأوديب بسلام مقبول وجود الآلية الدفاعية التى نطلق عليها التسامى* أنها آلية تتكون بعد المرحلة الأوديبية تبدو مظاهرها الأولى لدى الطفل مع تجاوز عقدة أوديب .

كذلك نلاحظ التعيين بالأب ، حيث لا يستطيع المفحوص أن يتجاوز الأوديب ويعبر إلى التعيين بالأب إلا إذا إجتاز أزمة الخصاء... أي حظر عليه استخدام عضوه الذكرى كأداة لرغبته فى أمه.

فتهديد الخصاء الذى يقرر منع إتيان المحارم وبذلك أسس النظام الإنسانى . حيث تصالح مع الأب وإستدخل قيمه ، ومثله العليا مكوناً الأنا الأعلى (الضمير).

❖ ولعقدة أوديب وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها هى أنها تكفل تطبيعاً ثقافياً فنجد أن المفحوصين من الأبناء الشرعيين مدركين لكونهم أعضاءاً فى عائلاتهم وفى نفس الوقت مازالوا فى مرحلة التكوين.

* ومن ثم فإنهم وجهوا ذاتهم إلى الصراع من أجل أن يحظوا بالإعتراف على أساس العمل حيث يقوم كل منهم باعلاء إفتقاره ونقص كينونته ويحول ذلك إلى بحث مطلق ومتزايد من الإنجاز.

* فنجد توحد كل مفحوص بسلسلة من التوحدات المختلفة من المثل العليا للطفولة (المقاتل ، البطل ، الفارس) إلى المثل العليا للشخص البالغ. فقد أصبح مدركاً لقيمته (كعضواً فى المجتمع) يخضع لقواعد السلوك الخاص بهذا المجتمع ، ولقيمه ، وقوانينه ، ومحرماته العليا. وهذا ما طرحه المفحوصون الأربعة عبر الاستجابات على بطاقات T.A.T .

إما كان (بطلاً مقاتلاً) يواجه الأعداء ، إما مكافح ضد الرغبات الجنسية ، والعدوانية المستهجنة وتحويلها إلى مسارات نمائية ارتقائية (طبيب جراح الاورام) ، (طبيب جراحة المخ والأعصاب).

الفرض الثانى :-

يتأثر البناء النفسى بغياب النماذج الأبوية الشرعية لدى الأبناء غير الشرعيين من حيث التخييل – إدراك الواقع – النمو النفسى الجنسى – صورة الذات.

أولاً التـــخيـــيـــل :

📖 "أن التفكير هو علاقة الشخص بواقعه إذا كان الواقع مشبعاً للرغبات أو إذا كانت رغباته قانعة بالإشباع المتاح لها فى الواقع ، أما التخييل فهو علاقة الشخص بنفسه كبديل عن الواقع إذ كان الواقع غير مشبع لرغباته أو إذا لم تقنع الرغبات بالإشباع المتاح لها أى أن التخييل هو استبدال الواقع الخارجى بالواقع الداخلى". (أحمد فائق ١٩٨٤ : ٣٤٦)

📖 وينتهى لابلانش وبونتاليس من عرضهما لتطور مفهوم ، التخييل لدى فرويد إلى القول بأن التخييلات ما هى إلا سناريوهات من المشاهد المنظمة القادرة على المسرحة عادة فى شكل مرئى والأخر أى (الموضوع) له وجود ثابت فى هذه المشاهد وحتى فى المشهد الأول Primal scene هذا الذى قد يظهر وكأن الموضوع مستثنى منه فاننا نجد فى الحقيقة تمثلاً له فى جانب منه ، ليمس فقط كملاحظ ولكنه ايضا معظم العمليات الدفاعية الاولية كتلك التى تدور حول الفرد ذاته ، القلب إلى الضد ، الإنكار ، الاسقاط.

(جان لابلانش و ج ب بونتاليس ١٩٨٥:٥٧٧)

التخييل لدى الأبناء غير الشرعيين :-

لقد أشارت الاستجابات الاسقاطية على بطاقات إختبار تفهم الموضوع إلى أنه على الرغم من الحرمان الفعلى للأبوة وغياب النسب إلا أن البناء اللاشعورى لدى الأبناء غير الشرعيين قد أسس بناءاً متخيلاً لصورة الأب والأم والأخوة فى إطار الصنعة اللاشعورية المحكمة ولكنه بناء لا يقوم على أسس واقعية يستمد منه هذا البناء الخيالى قوته الرمزية لغياب التحقق الفعلى من الوجود الأسرى ، ولذا فهو ينتقل من مشروع إلى مشروع ، ويعايش الصورة المتخيلة للأسرة فى إطار ما قبل الموقف الأوديبى.

وبذلك (تتفق الباحثة مع دراسة إدوارد جورج ١٩٨٥)

❖ ويخلق نوعاً من الصراع الاوديبى المسقط. وكأنه يحاكى الأطفال فيما قبل الخامسة ، ويقبع لاشعورياً فى هذه المنطقة مع نقص حاد فى الاستبصار ، والتفكير فى المستقبل ، والقدرة على تخطى هذا الفراغ الرمزى ، الذى كان ينبغى أن يتوسط فى نقل المشروع الخيالى إلى العالم الإجتماعى كى يتحقق فعالية هذا البناء النفسى الذى حكم عليه أن يظل مبتوراً ، ويتزايد نقصه الفعلى ، ويتوحش كماله الخيالى ، ويظل الواقع فارغاً من المضمون الذى ينعكس سلباً فينقلب لتدمير هذا الواقع أو لا محالة إذا ما فشل فى تدمير الواقع فلسوف يدمر نفسه.

طبيعة التخييلات لدى الأبناء غير الشرعيين:-

❖ ظهرت طبيعة التخييلات ذات طبيعة مرضية ، فهى من نوع التخييلات اللا شعورية التى تشكلت عبر الا شعور فلم يستطيع المفحوصين التمييز بين الخيال والواقع ، وكذلك نقص القدرة على إدراك متطلبات الواقع (وهو المحك الذى ميز بين السواء والمرض). ومن حيث الإستغراق الزمني فى التخييلات واجه المفحوصين صعوبة للعودة إلى الواقع بعد فترة من التخييل. فهى تخييلات ذات طبيعة غريزية عدوانية تدمرية وكانت الدفعات العدوانية شديدة بحيث أفسحت عن نفسها بشراسة فلم يفيد معها الكبت.

🕮 وهذا يتفق مع رأى فائق بأن التخييل المرضى يتحدد من خلال درجة الابتعاد عن الواقع إلا أنه كذلك يتحدد من خلال عدم وجود فرصة ملائمة للتخلص من التخييل وكذلك عدم سهولة العودة إلى الواقع بعد فترة تخييل. وكذلك أمتداد فترة التخييل زمنياً حيث يرى أن التخييل السوى هو لحظة مؤقتة من الابتعاد عن الواقع بدرجة ليست كبيرة ، وظروف قهرية مع سهولة الانتباه إلى الخطأ الذى قاد إليه هذا التخييل فى تقدير الشخص لواقعه.
(أحمد فائق ١٩٨٤: ٣٤٧)

ويستطرد بقوله ونسبية الأسوياء ، والمرضى فى التخييل إنما ترجع إلى توازن قوى وهى قوة الكبت ، وقوة التفكير ، وقوة الدفعات الليبيدية ، وظروف الواقع الخارجى ، فعندما يكون الكبت ضعيفاً بحيث تنطلق الدفعات الليبيدية تطلب الإشباع فإن التخييل يصبح ظاهرة مرضية لعدم قدرة التفكير على السيطرة على الدفعات ، وأحياناً ما يكون الواقع محبطاً أشد إحباطاً أو تكون الدفعات الليبيدية أو العدوانية شديدة جداً فلا يفيد معها الكبت أو الإشباع المباشر. مما يخلق حالة من الإشباع ذات طابع مرضى يستبدل فيها الشخص الواقع الخارجى بالواقع الداخلى . (أحمد فائق ١٩٨٤: ٣٤٧)

❖ وهذا التخييل التدميري للموضوعات أثار حصراً وشعوراً بالذنب وعقاب يقع على الذات فى صورة موت ، أو قتل للذات ، وللموضوعات.

❖ وقد كان التخييل منظم حيث إستشهد كل مفحوص بالموضوعات الرئيسية فى حياته والتى قد إمتدت راجعة فى شكل متخفى إلى المراحل المختلفة فى النمو.

❖ ومن التخييلات اللاشعورية (التخييل المنظم) وقد تناوله العديد من الكتاب مثل

(Kubie, 1963, Mahler 1966 , Blanck and Blanck 1974. Dawald 1977).

ويقصد به أن كل فرد لديه نسق تخييلى منظم عن نفسه وعن علاقاته بالأخرين الذين يسهمون فى وضع قاعدة تقدير الذات self-estemوكذلك القوالب التى تحدد طبيعة حياته الليبيدية وطرق تناوله لعدوانه وتحديد معنى خبراته .(آمال كمال١٩٩٢:١٢٣)

❖ فالمفحوصين يعيشون صراعاتهم من خلال التخييلات الخاصة بعلاقتهم بالآخرين والتى أسقطوها على البطاقات كما كانوا يسقطوها على " الأم " التى تمثلوها سادية وعدوانية ويدافعوا عن ذلك بأن يتخذوا لأنفسهم مآوى تخيلياً كتعويض .

❖ فالإستجابات تعتبر شكل من أشكال النكوص إلى الطفولة التى كان فيهـا العالـم مشوشـاً وغير متماسك وضائع المعالم حيث أن المفحوص عندما كان فى حالة الانفعال لا طاقة له بها ينهار أمامها ، وتندفع شحنته العدوانية ، وتقوم الأنا بتخييلاتها المدمرة. وهى تخييلات نكوصية تلك التخييلات اللاشعورية التى تبدأ مع بدايات الميلاد النفسى وحتى من قبل تكون الأنا وهى تتميز فى المراحل المبكرة بغلبة الدوافع الالتهامية الفمية الافتراسية العدوانية .

❖ حيث إنطلاق الدفعات الغريزية بشقيها (العدوانى والجنسي) وتدفق الخيال الجامـح الـذى يتجاوز حدوده فيصل بدايات الذهان فعناقيد الغضب ، والاضطراب الذي صاحبه التدفق الشديد للعدوانية تنشطر معها الأنا منقسمة على نفسها فتبادل الفتك ، والإنهاك ، والتمزق ، والتصدع (دراكوالية) ، ويبدو أن التكرار المتواصل لهذا العدوان الفج استسلام لتخييلات تدميرية ، قهرية ، نكوصية لم يستطيع السيطرة عليها انسحبت من بين أنامل أضعف ما تمسك بها فهو فى صراع حاد حتى الموت ويكاد يكون هذا الصراع غاية فى حد ذاته (الطرد...) الغد الطموح ، واستبقى الهزيمة ، والقهر النفسى .

❖ وتكرار تخييلات العدوان والقتل وضعف الذات والحاجة الملحة الشديدة للانتقـام وعـدم القدرة على اختبار الواقع ، وعمق النكوص فى التخييلات يعود إلى مرحلة مبكرة فالأنا نكصت إلى حالة اللاتمايز وأصبح الأمر كأن الموضوع الحقيقى الواقعى تحتله وجوه اخيولية تمثل موضوعات الطفولة الممزقة ، الشرسة.

❖ فقد خلقوا واقعا للإشباع الغريزى نظراً للنكوص الشديد وفق العمليات الأولية وانكار مبدأ الواقع وتنازل الذات عن اختبار الواقع إنما ينم عن أن الذات تفصم نفسها عن العالم الخارجى وتتوقف عن رصد المثيرات الخارجية .

❖ و إهدار طاقة عظيمة تلك الطاقة المستنفذة فى التخييلات ، أما تخييلات الإغتصاب والجنس.

دال مدلوله هو تفكك القانون وانحرافه عن وظيفته الأساسية كما تعبر عن أن هناك قانوناً بدائياً هو أعتداء موجه إلى سلطة الأب.

وعبر اختبار H.T.P فكانت الدلالات الخاصة بطبيعة التخييلات كالآتى :-

الحالة الأولى: سعى المفحوص إلى تحقيق الإشباع فى الخيال بدلاً من الواقـع مـع بـذل محاولات لوقاية الذات ضد العجز عن ضبط التخييل ويشيع ذلك فى مرحلة ما قبل الذهان .

الحالة الثانية: التثبيت على التفكير والخيال كمصدر من مصادر الإشباع مع شعور المفحوص بضعف ضبطه للتخييل . السعى إلى تحقيق الإشباع فى الخيال بدلاً من الواقع وتفضيل الخيال كمصدر من مصادر الإشباع .

الحالة الثالثة: يفصل المفحوص الخيال كمصدر من مصادر الإشباع السعى إلى تحقيق الإشباع فى الخيال بدلاً من الواقع .

الحالة الرابعة: التثبيت على الخيال كمصدر من مصادر الإشباع تحقيق الإشباع فى الخيال بدلاً من الواقع .

والإستغراق فى التخييل المرضى فى المقابلة الاكلينيكية. فقد كان هناك خلل بالمعنى الوجودى فى العلاقة بالزمان والمكان واستغراق التخييلى قد اقترب من الطرف الفصامى بشكل كبير فى

الحالة الأولى والثانية ولذلك شاعت عبر مجموع الرسوم الاستجابات الخلطية والاستجابات الباثولوجية الدالة على فصامية شديدة وعلى تباعد تخييلى عن الواقع .

وعجز فى إختبار الواقع صاحبه محاولات هروبية دفاعية قهرية . نتيجة شعور بالإنهيار وبضعف ضبط الأنا دون استخدام دفاعات تعويضية .

❖ لقد عجزت الذات أن ترسم صورة رمزية فالمفحوص يعايش " عالم متخيل "

🕮 ولقد استخدم " لاكان " " مصطلح المتخيل imaginary كمرحلة غائية اساسية

فى تنظيره قبل عام ١٩٣٦ ومنذ البداية والمصطلح ذا دلالات متعددة تتعلق بالصور الخادعة الإفتتان بالصورة Foscination ... الغواية seducation وهو يرتبط على نحو محدد بالعلاقة الإثنينية بين الأنا وصورة المرآة ويعد الأمر الأساسى فى النظام المتخيل هو تشكيل الأنا فى مرحلة المرأة ... ومنذ أن يتشكل الأنا عبر التعيين الذاتى بالشبيه Counterpart الصورة المنعكسة فى المرآة ويصبح التعيين الذاتى identification بعداً هاماً فى النظام المتخيل ..... فالأنا والشبيه يشكلان فى العلاقة الأثنينية الأنموذج قابلة للتبادل (تبادل المواقع) interchangable ..... وتعنى تلك العلاقة التى يتشكل فيها الأنا عبر التعيين الذاتى بالأخر أن الأنا والنظام المتخيل نفسه قد خبرا نوعا من الاغتراب ..... اغتراب أساسى يعد اساسيا لتشكيل النظام المتخيل .

والعلاقة الأثنينية بين الأنا والشبيه علاقة نرجسية بصفة أساسية فالنرجسية تعد السمة الأخرى المميزة للنظام المتخيل والنرجسية دوما تكون مصحوبة بالنزعة العدائية aggressivity ويرى " لاكان " أن هذه العلاقة الثنائية المرأوية تخلف تأزما دراميا دون مخرج منه – يشكل مصدراً لعدوانية الإنسان فى تواصله بالأخر ... وإذا كان هناك مخرج فلا يمكن إلا أن يكون عبر تدمير الأخر ...... (منال شحاتة ١٩٩ : ٢٠)

ولذلك كان على **الأبن غير الشرعى** أن يشحن معارك شرسة نتيجتها سكنت فى نفسه وكان التخلى وعزلة اليتم والحرمان من الحب ، والنبذ من الجميع ،وجعلته متوحشاً بدائياً يستجيب للقوانين السارية المفعول بوصفه موجوداً مضطرباً ساخطاً . أنه استثمر كل طاقاته فى تخييلات تدميرية ، قهرية ، حوازية صراع حتى الموت .... أنه يثأر من القوة الوالدية التى تخلت عنه وعن دورها ، والتى كانت من المفروض أن يستند إليها فى الطفولة الأولى ... وثمة ثأر قبل كل شئ من أن اباه تركه فى التعاسة بعد اغتصاب أمه وحولها إلى زانية عاهرة .... فحياته إحتجاج منذ طفولته على كل سلطة تدعى الحق بالمس بشخصيته .

❖ والخصومة مع الأب كان ينبغى لها أن تثير الرغبة على وجه أخص فى مساواته فى جميع صفاته (الإجرام والإغتصاب) أنها صفاته التى تمنحه تخييلات تدميرية فتكشف الاستجابات عن فعالية الأب المتخيل كدفاع رئيسى ضد غياب الأب الفعلى .... صورة الأب فى خدمة الرغبات المستهجنة.(حالة أولى بطاقة B.M. 7 حالة ثالثة بطاقة 16)

التخييل لدى الأبناء غير الشرعيين :

❖ **طبيعة التخييل :-**

كان تخييلاً مرضياً فالتخييل المرضى يتحدد من خلال الإبتعاد عن الواقع إلا أنه كذلك يتحدد من خلال عدم وجود فرصة ملائمة للتخلص من التخييل مع عدم سهولة العودة إلى الواقع بعد فترة تخييل . (استغراق)

فنلاحظ فى استجابات المفحوص عبر الاختبارات الاستغراق التخييلى والبعد عن الواقع على مدار بطاقات (T.A.T) اختبار تفهم الموضوع فقد ظهرت سيادة التدمير التخييلى للموضوعات الذى يثير حصراً ، وشعوراً بالذنب ، وعقاب يقع على الذات فى صورة موت أو قتل للذات وللموضوعات .

❖ لذلك تسيطر مشاعر الحزن والاكتئاب والرغبة فى استعادة الموضوعات ببدائل تعويضية أو بالتوحد والاستدماج بالموضوعات للإبقاء على العلاقة بالموضوع فالطابع القهرى للتخييلات العدوان الموجه (للأم) .

❖ كذلك أن هذا العالم الحامل بالجن والعفاريت (حالة أولى – حالة ثانية – حالة ثالثة – رابعة) يعبر أيضاً على نحو رمزى بارع عما يتصارع به حياته الداخلية من مخاوف طفلية – تستمد جذورها مما يتصارع فى أعماقها من رغبات ومخاوف لا قبل للذات بها بالسيطرة عليها بل ولا بالوعىْ المنطقى بها ، إنها رؤية سحرية لوجودها العاجز القاصر الطفلى فى هذا العالم.

❖ عايش العلاقة (الأم .. الأب) على المستوى المتخيل فكانت علاقته يتفجر فى رسمها أشد نزعاته الطفلية نحو كلاً منهما وكذلك رموزهما والتى تمثلت فى استجاباته على T.A.T صورة بدائية ذات طابع عدوانى التهامى افتراسى وذات قدرات سحرية فهو اسير رغباته ومخاوفه الأوديبية فبعدت عن الواقع وانهار المنطق فى وصفها .

التخييل لدى الأبناء الشرعيين :

❖ طبيعة التخييل:-

كانت تخييلات المفحوصين تخييلات في إطار سوية ، خلاقة تعد لفعل لاحق ، وكانت هناك أحلام يقظة لتفريغ الشحنة الليبيدية فى مسار يخضع لمقتضيات الواقع تبعا لفينخل حيث يرى فينخل ١٩٦٩ : أن التفكير الذي يعقبه فعل فهو يسمى تخييلاً وهناك

نمطان من التخييل : تخييل خلاق يعد لفعل لاحق ، وتخييل حلم اليقظة الملجأ للرغبات التى لا يمكن تحقيقها ...

فالأول ، وهو متأصل فى اللاشعور ، يبدأ أيضاً بكل تأكيد فى العملية الأولية وفى الخيال ، ولكنه ينمو متجاوزاً هذه المجال .

أما الثانى فيصبح بديلاً حقيقياً للفعل فى حالة " الأنقلاب للداخل " وذلك عندما تصبح الحركات " الصغيرة " المصاحبة للتخييل من الشدة بحيث تكفى لتحقيق إفراغ . (فينخل ١٩٦٩ : ١٣١)

❖ جاءت التخييلات مرتبطة بالطموح والإنجاز والنجاح مع إيمان أن الوصول الناجح (فى معظم البطاقات) يحتاج تدريب ومواصلة (فالتغير بالفعل من الواقع وليس بالتخييل).

❖ وعكست الإستجابات : التخييل المنظم المرتبط بالموضوعات الرئيسية فى حياة المفحوصين فكان الإنجاز والالتحاق بجامعة مناسبة والزواج وهى كلها تخييلات تتطلب فعل لإنجازها وهذا يؤدى إلى أنها تخييلات سوية بناءة بعيدة عن كل أشكال التدمير .

ونلاحظ طرح المفحوصين لتخييلات نرجسية والتى يشعر وفقاً لها بأنه قوى متفوق ، رياضى ، شجاع ، يمارس رجولته. وقد يمكن أن تشكل جزء من التخييلات الاستمنائية التى ينكب عليها الفرد خلاله فترات الإثارة الجنسية .

و قد يعبر عن الأنا المثالى عما يريد المفحوص أن يكون وهى لحظات وليدة النرجسية حيث يصبح تكوين مثالى نرجسى للأنا ضرورياً عندما تضغط بعض التهديدات فجأة على الكمال النرجسى .

أما وظيفة التخييل فتعرض لها نيفين زيور فى ضوء ما أتى به فرويد من حيث أن وظيفة التخييل هى حماية الأنا من الحصر الذى يتمخض عن ذلك التوتر الناتج عن عدم التفريغ للغرائز ، كما أن التخييل يقوم بمساعدة المرء لكي يكون مستقلاً عن العالم الخارجي وذلك

بالبحـث عـن الإشباع ، بواسطة العمليات النفسية الداخلية ، وهذا من شأنه أن يعطى الأنا فسحة من الوقت كي يغير الظروف الخارجية ، حتى يحصل على إفراغ غريزي.

(نيفين زيور ١٩٧٥:١١).

فقـد كانت وظيفة التخييل هى خلق موقف يشبع الرغبة من شأنه أن يسمح بقدر من الإفراغ الغريـزي ، إفراغ لم تسمح به ظروف الواقع المعاش للمفحوصين وهو يعدل من هذا الواقع ويصـبح مسـار المتخيل متحصناً بأنا قوي مسيطر على الموقف وآلية التسامى التى تدعم الموقف.

ثانياً: إدراك الواقع:

العلاقة بالواقع:

حيث ينغمث المفحوص ، ويعيش صراعاته من خلال التخييلات الخاصة بعلاقته بالأخريـن و التي تسببت في قصور إدراك الواقع لديـه ، فمع تكـرار التخييلات العدوانيـة المدمـرة و ضعف الأنا في السيطرة علي تدفقاتها و عمق النكوص الذى يعود الي المرحلة الجد مبكرة من حياة المفحوص ... حالة اللاتمايز بين الذات – الموضوع فالموضوع الحقيقي تحتل وجوه أخيولية تمثل موضوعات الطفولة العدوانية المضطهدة ... فكان التخييل بمثابة واقع للإشباع الغريزي. ومع هذا التخييل والميكانيزمات البدائية والنكوص وفق العمليات الاولية وإنكار مبدأ الواقع. والقلق الساحق لدى المفحوص وتنازل الذات عن دورهـا في إدراك الواقـع فصمت الذات عن العالم الخارجي واستنزفت الأنا معظم طاقتها أمام هذا الإعصار من التخييلات ... فتسبب فى قصور إدراك الواقع .

إدراك الواقع لدى الابناء غير الشرعيين :-

ويكشف لنا الإدراك للواقع لدى الأبناء غير الشرعيين كيف أن الصور الوالدية السيئة المحبطة الـتى حرمت الذات أمنها ومشروعيتها ووجودها ، خلقت عالماً شبحياً مظلماً فجاءت بانوراما الوجـود الشقـى منغمسا فى الجناح والجريمة ...أنـه عالم الأبناء غير الشرعييـن بئر من الحـرمان... علاقة سرابية بالواقع وتنعكس الدلالات الخاصة بنقص القدرة على إدراك الواقع فى خلال اختبار T.A.T كالآتى :-

الانغماس فى التخييل مما يشير إلى الانسحاب من عالم الواقع وقد ظهر من خلال الآتى : –

حالة أولى : 10 8BM 7BM 6BM 5 4 3BM 2 1

2 17BM 16 14 13MF 12M 11

الحالة الثانية : 1 3BM 5 8BM 10 6BM 14 15 16 12M 17 BM

الحالة الثالثة : 3BM 4 5 6BM 13MF 16

الحالة الرابعة : **1 2 3BM 4 5 6BM 7BM 8BM 13MF 15 18BM 19 BM**

❖ أولاً : الخلط فى رؤية ما بالبطاقة والبعد عن الإدراكات والاستجابات المألوفة :-

الحالة الأولى: (1 10 12M) الحالة الثانية (1 2)

الحالة الثالثة: (1 3Bm 5 6BM 7BM) ، الحالة الرابعة: (12)

❖ ثانياً : الخلط فى رؤية الجنس :

الحالة الأولى : (10-20)

الحالــة الثانــية : (10 3BM) مــع الخلط فى الضمائر حيث (لا تدرك الذات حدودها من الآخرين)

❖ ثالــثاً: الاستجابات المتكررة والخاصة بالتمركز حول الذات فهى تشير إلى البعد عن الواقع حيث الإغراق فى الذاتية يعنى البعد عن الموضوعية وعن إدراك الواقع:

الحالة الأولى : 1 9BM 16 20

الحالة الثانية : 7BM 13FM 17BM

الحالة الثالثة : 1 2 3BM 5 6BM 7BM 9BM

الحالة الرابعة : 1 2 4 7BM 8BM

❖ رابعاً : الخروج عن المألوف من الاستجابات كانت تدور حول العلاقات بين الرجل

والمــرأة على الرغم من أن بطاقة واحدة هى التى تشير الاستجابات الشائعة فيها إلى العلاقة بين الرجل والمرأة فأقتحام العلاقة بين الجنسين فى البطاقات رقم ...

الحالة الأولى: 1 5 6BM 7BM 12M 13MF 14

الحالة الثانية: 3BM 6BM 10 15

يشير إلى الانشغال بهذه العلاقات وأنها تجعل الحالة تبعد عن الواقع ، وإن كانت دائماً علاقات نهايتها مأسوية وتتسم بالإحباط والغرابة.

❖ خامساً: استعمال ميكانيزم الإسقاط ورؤية العالم مـن خلال الذات حتـى فى البطاقات التى كانت بعيدة عن الاستجابات الشائعة فهى أيضاً كانت تشير إلى توحده بأبطال هذه البطاقات مما يؤكد طغيان الذات على كل ما يرتبط بالواقع الخارجى مما يؤدى لتحريف هذا الواقع.

❖ سادساً: إعطاء صورة وصفية ، مع البعد عن إدراك مفردات كاملـة للواقـع فهو لا يدرك إلا بعض التفاصيل دون البعض الآخر ، وكذلك هو يبتعد عن ذكر أى مشاعر مما يشير إلى عدم القدرة على إدراك الواقع الداخلى .

النمو النفسجنسى لدى الأبناء غير الشرعيين : –

اضطراب النمو النفسي الجنسى للمفحوصين ..يمتد الإضطراب للنمو النفسي الجنسي ليكشف عن السلوك الجنسي البغائي علي نحو قهري (إجبار التكرار) و هو أمر يشير إلي إضطراب التعيين الذاتي (إختلاط الدور الجنسي الذكري بالدور الانثوي)

❖ تثبيتات ذهانية على الأم عبر عنها المفحوص على نحو حوازى فى رغبتـه فى الأم وكذلك من خلال الاستغراق فى النزعات النرجسية الدنجوانية ، والجنون الشبقى ، فهو أسير موقف ثلاثى ، (والعلاقة الجنسية السوية الناضجة بين اثنين) فهو مازال متعلقاً بالأم المتخيلة تعلقاً ذو طابع شهوى ، فهو ودائماً يغتصب إمرأة من أخر فهو فى هذه الحالة يكون قد أخذها من أبوه (نكوص للمرحلة قبل الأوديبية) لاشعورياً فيأخذها من أخوه ، أو الزوج ، أو ، من العشيق ، أو الحبيب الذين يمثلون رموز الأب وبذلك يكون قد حقق انتصاراً على الأب المتخيل .

❖ التعثر في تشكيل الاوديبي السوي حيث عايش المفحوصون الصورة المتخيلـة للأسرة فى إطار ما قبل الموقف الأوديبي مما خلق نوعاً من الصراع الأوديبي الفظ وكأنه يحاكي الأطفال فيما قبل الخامسة ، ويقبع لاشعورياً فى هذه المنطقة مع نقص حاد فى الإستبصار ، والتفكير فى المستقبل ، وعدم القدرة على تخطى هذا الفراغ الرمزي الذى كان ينبغي أن يتوسط فى نقل المشروع الخيالي إلى العالم الإجتماعى كي تتحقق هذا البناء النفسي الذى حكم عليه بأن يظل مبتوراً ومع إنتصار رغبات الهو المستهجنة

عايش المفحوص عالم الجنوح ، والجريمة ، وإنعكس مأزمه الأوديبي فى كل من (إختيار الموضوع النرجسي ، التعيينات الخلطية ، والتأثير على آلية التسامى)

هنا نتفق مع دراسة كل من :

1- Trocchio – Thomas – Michal 1981 &
2- Gorrigan – Edward – Gorge 1985

اضطراب الهوية الجنسية :-

❖ لغياب النموذج الوالدى ومع قصور البعد الرمزي لدى المفحوصون والإحساس بالعجز عن ممارسة الدور الذكرى (أنا حاسس أنى لسه مبلغتش أو أنى مش حعرف أعمل كده ....) حالة أولى (مقابلة). و نتفق هنا مع نتائج دراسة :

Washington – james – Dempsy . 1985

❖ إرتفاع المستوى المتخيل و العيش في أزمة رمزية في إطار العالم الإجتماعي و الإنقسام الحاد بين الصورة الطيبة و الصورة الشريرة للذات و ذلك ما يؤكده عدم تسمية الضمائر الانثوية و الذكرية فهي لديه خلطية مما يشير إلي اضطراب حدود الذات و إنطماس الحدود بين الذات و الأخر مما يتضمن اضطراباً في الهويه الجنسية .

❖ ومع وجود ملامح جنسية مثلية لدى الأبناء غير الشرعيين ولكنها ليست سمة متأصلة بينهم ولكنها نظام حياة ، حيث تلاحظ التوحد الخلطى للمفحوص أختلاط البعد الذكرى بالبعد الانثوى فالتعيينات مزجية أى تعيين بالطرفين ، ويبدو في البعد الأنثوى أنه يشارك الأم فيما تعرضت له من أغتصاب فهو مثبت على هذا الموقف

❖ و نظراً لطبيعة الإكتئاب لدى الأبناء غير الشرعيين فقد إتضح من خلال الإستجابات علي إختبار T.A.T الطبيعة المخنثة لصورة عينة الدراسة (إكتئاب ذهاني) حيث إن الطبيعة المخنثة لموضوع التوحد تؤدي بالضرورة إلي الطبيعة المخنثة لصورة الذات و بناءً علية فإن الميول الإستجناسية تعكس صورة مخنثة لموضوع التوحد ومن حيث إن التوحد الذكري ، والتوحد الانثوي لا يظلان في توازن إستاتيكي ، وإنما يبدو إن الامر بينهما في حالة من الجدل الدينامي يورث الطفل المعاناة ، وعدم الاستقرار في احواله النفسية ، ومن ثم علاقته وتصوره لطبيعة هذة العلاقة .

❖ و إتفاقاً مع (Covall & Turnbll 1982) ومع (أوتو فينكل ١٩٦٩) إن الوضع الإجتماعي يعتبر متغيراً هاماً في تعديل اثار في غياب الاب فإن كانت الخطوة الاولي في تجاه الذكورة قد تضطرب لغياب الاب ، لكن التعيين الذكري ممكن ان يتم

بشكل جيد وأن أي أثار ضارة ممكن أن تقهر في مرحلة البلوغ فتنمية الثقة بالذات في التفاعل الشخصي و الإجتماعي و تقدير الذات يعكس الدور الجنسي الإيجابي .

❖ و إذا كان تفضيل المفحوصين في الغالب أن يتجمعوا في تجمعات مثلية الجنسية مسألة ترجع إلي عوامل إجتماعية ، فهم بذلك يتجنبون المثول المثـير للجنـس الأخر، و يتجنبون الوحدة في نفس الوقت وهم بذلك قد يحققون مشاعر الطمانينة التي يبتغونها . ومع ذلك تتخذ الصداقات التي قامت بأمل استبعاد العلاقات الجنسية مع الموضوعات ، طبعا جنسيا واضحاً بدرجة أو أخرى ومن خبرات العارضة من الجنسية المثلية بين المراهقين لا ينبغي إعتبارها بأثولوجية. متى كانت ظواهر تكيف وقتي لا تتمخض عن تثبيتات قاطعة. إن التفضيل الشائع للموضوعات الجنسية المثلية في هذا السن ربما يرجع ليس فحسب إلي الحياء من الجنس الأخر ولا إلي التقاليد الثقافية المتشددة لواقعنا المعاش ، بل يرجع أيضا إلي النزعة النرجسية التي ما تزال غالبة علي معظم الحاجات الموضوعاتية في ذلك الوقت.

❖ ولما كان يفضل **الابناء غير الشرعيين** صحبة من زملائهم فى المؤسسات عن الخارج حيث يرى أن الايديولوجية " المساواتية " تحمى الفرد من حصر الخصاء الإجتماعى ويكون الوهم فى الجماعة إذن تحقيق الرغبة فى الشفاء من الجروح النرجسية والتوحد بالحضن الطيب (أو بالأم ذى القوة الكلية)

❖ وبالنسبة للرسم فى اختبار H.T.P فبالإضافة إلى القصور فى الرسم .غابت الرموز الذكرية من الرسوم بالإضافة إلى رسم أفراد عاجزين وإذا ما كان القضيب يحقق الكمال النرجسى فقد غاب هذا القضيب وغاب الشعور بالكمال . فقد كان النقصان مؤسساً الذات . ولذلك : غابت الفكرة الرجولة ، الصحة ، القوة الاستعراضية الجنسية وطفي علي السطح الجانب الأنثوى. وجاءت العلاقة بالجنس الأخر متأصل فيها بناء الشك ، والخيانة (صورة مسقطة لخطيئة الأم) فكانت معظم العلاقات الجنسية فى إطار غير مشروع ، حيث يعيش المفحوص علي المستوي اللاشعورى علاقة اضطهادية تأمرية يسودها الأغتصاب ، والتشويه، والعدوان المتبادل مما يعكس تأصل السادومازوخية مع ربط العلاقات الجنسية بالاغتصاب.

❖ وغابت رموز الصراع الأوديبى ففشل ولذلك غابت وظيفة الأب عن مسرح الحياة الدرامية للأبناء غير الشرعيين حيث يتضح إن الطبع المميز للبنية النفسية لهم تستمد خصائصه من المرحلة الديادية مع الام ... بما هي لحظات انصهـار وامتـزاج ولا تفاضـل ونفي الحدود بين الأنا الأخر ، مما يدفع المفحوص إلي النكوص ، وإتخاذ الأم منطقة مرجعية له. وما يعزز ذلك غياب وظيفة الأب ذلك الطرف الثالث الذى يحول العلاقة من طابعها

الإثنى المتخيل إلى الطابع الرمزى التعددى بين الذاتى عبر دوره التحريمى والتشريعى بوصفه صورة للقانون وممثل للمعايير الثقافية والإجتماعية ...

❖ وقد عانـــى المفحوصيــن من الارتداد النرجسى حيث كان يوجد تناقض كامل بيـــن العلاقـــات الحقيقــية بالموضوع والنرجسية ، وأدى الارتداد النرجسى إلى تخصيص المكان الملائـــم لعلاقات الموضوع الحقيقية عن طريق الاستدماج . حيث أدى انعدام الشحنة الليبيدية للموضوع إلى الشعور بفراغ العالم مع عدم وجود موضوعات ليرتبطوا بها .

ففى رأى الباحثه أن النرجسية لدى الأبناء غير الشرعيين نرجسية دفاعية التى قد تفضى إلى نفـــى الموضوع المفقود مع تعرض المفحوص إلى التخلى عن عالم واقعى وحث الخطى نحو الجنون.

🕮 وإتفاقاً مع ديديه : " أننا لم نستنتـــج أن الموجودات الانسانيـــة تنقســم إلى زمرتيـــن متمايزتيـــن بدقـــة حسب نموذج اختيار الموضوع ، الاختيار بالاستناد أو الأختيار النرجسى بل نحن على العكس نؤثر الأفتراض بأن الدربين الذين يقودان إلى اختيار الموضوع مفتوحان لكل موجود إنسانى بحيث أن الأفضلية يمكن أن تكون لأحدهما أو للآخر.

ونحـــن نقول أن للوجود الإنسانى موضوعيين جنسيين بدائيين : نفسه والمرأة التى تعنى به ، ونحـــن نفـــترض فى ذلك أفتراضاً مسبقاً تلك النرجسية الأولية لكل موجود إنسانى ، نرجسية يمكن لها على وجه الإحتمال أن تعبر عن نفسها على نحو غالب فى اختياره الموضوع .

(ديديه أنزيو : ترجمة وجيه أسعد ١٩٩٦ أ: ٢١)

النمو النفسجنسى لدى الأبناء الشرعيين (مرحلة بلوغ ونضج جنسى)

🕮 يقول فرج أحمد ..."البشر لهم ثلاث صفات صفة مشتركة وهى البشرية ، وصفتان متخصصتان وهما الصفة الذكرية ، والصفة الأنثوية ، فعندما يتواجد رجل وامرأة معاً تتواجد الثلاث صفات الصفة الإنسانية التى تجمع بينهما ، الصفة الذكرية ، والصفة الأنثوية ، وعـــندما يتحول الجنس من فعل إلى علاقة إنسانية فهو لقاء بين نقيضين وأيضاً بين أثنين من البشـــر. لقاء يستهدف الأنس والمؤانسة فالطفل على سبيل المثال علاقته بأمه علاقة مزدوجة فهـــى علاقـــة إنسان بإنسان وعلاقة ذكر بأنثى فالإنسان كما ذكرنا - unity and struggle oppsites ، فاللقاء الذى يتم بين رجل وإمرأة هو لقاءان ، فهو من جانب مواجهة بين ذكر وأنـــثى (struggle) ومن جانب آخر هو لقاء بين أثنين من البشر يمثلان وحدة . فالنرجسية هى مشروع يتطور عبر مراحل بالضرورة يجب أن يحدث عملية تفاضل أو تمفصل" .

(فرج أحمد ١٩٩٦).

❖ فالبنسبة للأبناء الشرعيين الجنس أنس ومؤانسة علاقة ناضجة بعيدة عن الإغتصاب والتدمير ، علاقة إنسانية شرعية أملها الأبناء وتكوين أسرة .

وأختـيار الموضوع بالإستناد ، على عكس الابناء غير الشرعيين الذى كان إختيار الموضوع النرجسى أقرب إليهم .

❖ وبالنسبة **للأبناء الشرعيين** فإن هناك تأكيد للجوانب الأكثر ذكورية فى الشخصية عبر عنها المفحوصين فى الاستجابة على اختبار .T.A.T برسم بانوراما الوجود الانسانى السوي مـن شـهامة ، ورجولة ، وصحة ، وقوة. كما إنعكس فى الرسم فى اختبار .H.T.P مفهوم المفحوص عن دوره الجنسى برسم رموز ذكرية فى شكل قضيب فى مواضع مختلفة من كلا من الشخص والشجرة (الذكر).

رسم الاشخاص (الأناث ، الذكور) فى أتساق ويرى فرانكل أن الاشخاص الاسوياء يرسمون أشخاص من نفس جنسهم. (مليكة ١٩٩٤ : ١٢٥)

❖ وفى رسم الشخص نلمس الشعور بالأمن والنشاط وتأكيد الذات عن النشاط الجنسى ، فبالإضافة إلى الثابت المكانى للجسم.

ونلاحـظ المـيل إلـى التعلق أو بالإهتمام بإحدى قريبات المفحوصين أو جيرانهم فميولهم واضـحة عامة نحو الجنس الآخر موزعة على أكثر من فرد واحد تمتاز بالروح الرومانتيكية Romantic life الخالية من أى أثارة جنسية جامحة.

فى الحالة الأولى والثانية : يشعر المفحوص أنه أكتمل من الناحية الجنسية وأنه يريد أن يعبر عـن تلك الدوافع الجامحة فى نفسه ألا أنه يصطدم بالواقع ويزداد لديه حدة التوتر الانفعالى ويجد بديلاً يعبر به عن الدافع الجنسى القوى .. الاحتلام .. وهو وسيلة من الوسائل الطبيعية للتعبير عن النشاط الجنسى.

❖ ونلاحظ في الحالة الاولي تعلق المفحوص الاوديبي بوالده تعلقا شديدا إلي حد أنه لايستطيع الحياه بدون الإعتماد علي المثال الأبوي الذى ينفحه بالقوة و الحنان حيث نرى المثال الأبوي الذي يتمناه في العمق قويا حنوناً في أن معاً.

❖ التخلى عن الأهداف الجنسية أو تطويرها على نحو أفضل من خلال أنشطة مقبولة أجتماعياً من خلال آلية دفاعية متأخرة مصدرها المرحلة التناسلية تتوطد خلال المراهقة بكل مداهـا وربمـا تكـون الآلـية الأخـيرة من آليات الدفاع التى عليها أن تتكون خلال النمو النفسجنسى.

أنهـا آلـية تتكون بعد المرحلة الأوديبية – تبدو مظاهرها الأولى لدى الطفل مع تجاوز عقدة أوديـب ووظيفـتها ناجمة بصورة منطقية كافية عن خصائص الاقتصاد التناسلى ، حيث تتم التسـوية بين الشهوانية والحنان بالنسبة لموضوع الحب ، وحيث اللذة التناسلية تتصدر اللذات قبل التناسلية إذ تتجاوزها ، تراقبها وتحتفظ بوصفها عرضية ." أنها آلية التسامى " .

(ديديه أنزيو : ترجمة وجيه أسعد ١٩٩٦ أ : ١٠)

فأولى محاولات التسامى عبر الانشطة الدراسية العلمية أو أنشطة الفنون (الحالة الثالثة) أو إلى افراغ فائض التوتر فى أنشطة تصعيدية رياضية (الحالة الرابعة) . أو عقائدية (الحالة الثانية).

❖ التخييلات النرجسية التى يشعر المفحوص بأنه عظيم ، قوى ، عبقرى ، ..... ألخ ، تختلف حسب درجة الأنتماء إلى الأنا حتى لا تكون فى بعض الأحيان سوى نمطية وقتية مستساغة ، ويمكن لها على سبيل المثال أن تشكل جزء من التخييلات الاستمنائية التى ينكب عليها الفرد خلال فترات الأثارة الجنسية.

وحيث أن القضيب جسر يحقق الكمال النرجسى الذى هو شعار ... وصورة فالواقع أن الخشية من الخصاء وتخييلات القضيب الاخصابى وردت أكثر من مرة فى كل حالة من حالات الأبناء الشرعيين . (عينة البحث) أى الخوف من أن يفقد المفحوص ضمان التحقق الممكن للكمال النرجسى ، ولا سيما أن الصورتين عضو الذكر الجنسى والقضيب ، يختلفان فى الواقع ويصبح عضو الذكر (القضيب) على هذا النحو هو الموضوع الوحيد الذى يضمن أمتلاكه وحده للمفحوص كماله النرجسى ...؟

وهنا يصبح تكوين مثال نرجسى للأنا كان أمراً ضرورياً عندما تضغط بعض التهديدات فجأة على الكمال النرجسى لدى المفحوصين ويثير على وجه الخصوص ضرب القوى من حصر الخصاء تراجع الجزء الأكبر من الليبيدو عن موضوعات الحب ، الذى يتركز على الأنا .

❖ وذلك يفضى إلى تكوين مثل عظيمة تمثل ما نتمنى أن تكون وتتميز المثل فى هذه الحالات بمظاهرها القضيبية ويبدو بالإضافة إلى ذلك أن العظمة الأكثر إفراطاً هى وحدها التى تكفى للإحتفاظ بالكمال القضيبى والتوحدات المبكرة التى ترى الأبوين رؤية عظيمة ، يتجدد نشاطها غالباً لهذه الغاية...

صورة الذات لدى الابناء غير الشرعيين:

❖ تتسم صورة الذات لدى الأبناء غير الشرعيين بسيادة المشاعر الإكتئابية من مشاعر فقدان تقدير الذات والإحساس بالعجز ، والضآلة ، والعجز ، والدونية مع فقدان الأمن والاستقرار والقلق الساحق (و هذا اتفق مع دراسات كلاً من مها الكردي ١٩٨٠ أملي صادق ١٩٩٠ وتيزرد ويس ١٩٧٥ و لورين الدون اندرسون١٩٩١) ومحاولات اتهام الذات وتحقيرها والاحساس بالاضطهاد والتآمر والتهديد ٠٠٠فهو يستشعر فقدان الموضوع لدية على أنة فقدان لذاته... شكاوى ونكران للذات والمآخذ والقسوةالحقيقيةالتى يتعامل بها كلاً منهم مع ذاته والتدمير والعد وان ا لمرتد نحو الذات فى شكل(الأنتحار) [وهذا يتفق مع كلاً من (Alexander , J. Botsis et,al 1995 & Laster,D. 1994) فنجدنا أمام أشخاص يعانون من اضطراب اكتئابى حاد وهذا يتفق مع (لورين الدون أندرسون سنة ١٩٩١ ، ونوران هورتاسو ، واخرون ١٩٩٣ ، وكاترين سكيلستاد ١٩٩٥ ، و هيروش كونجي ،

وأخرين ١٩٩٥ ، وجمال شحاته حبيب ١٩٩٥) يلازمهم درجات من اليأس والعجز٠٠وحيث ان الذين يعانون من الاضطراب الاكتئابى يغلب عليه الاحساس بانه موضع رفض ونبذ وبالتالى عندما يواجه مشكلة متماشية مع قدراته فإنه لايبذل اى محاولة ليعالجها ،حتى اذا ماحاول ونجح فانه يخفض من قيمة نجاحه بإنه يعتبرذلك مسألة حظ، وقد اطلقselig man على هذة الحالة العقلية اسم (العجز عن التعلم) (العجز عن المكتسب – عبدالله عسكر) ٠

و لقد تبين الانخفاض في التحصيل الدراسى وفي مستوى التعليم مع الإهمال المدرسي [او هذا إتفق مع دراسات كلاً من Musray , Asa , & Sandquist , Karin 1990 & Chattopadhyay , - Prabal- K.etal 1993 نادية عزيز بيبع ١٩٩٠ و عبدالمنعم حسيب ١٩٩٠ . Gorrigan- Edward - Gorge 1985 .

ويرجع بولبى Bowlby 1980 الاضطراب الاكتئابى الى عدة عوامل منها ما يتناسب مع الابناء غير الشرعيين وهى :تعرضهم لخبرت الفقدان الفعلى للوالدين خلال مرحلة الطفولـــة نوران هورتاســو ، واخرون ١٩٩٣ ، وكاتريـــن سكيلستاد ١٩٩٥ ، وهيروش كونجـــي ، وأخرين ١٩٩٥ وقد تربى على أنه غير محبوب أو أنه غير كفء أو أنه غـــير ملتزم ويـــؤدى ترسب هذه الخبرات داخلة الى نمو تصور عن نفسه أنه غير محبوب وغير مرغوب فيه. وكذلك قد تكون نماذج الصور المتعلق بها رافضة نابذة معاقبة قاسية ، وكلما عانى الشخص من العداوة فانه دائما ما يتوقع ان يكون الأخرون عدائيين رافضين له بدلا من ان يكونوا مساعدين له، وهذا الفقدان الذى عانى منه المفحوص منذ لحظاته الأولى أدى الى خبراته الخاصة الى نمو ميل قوى الى تفسير أى فقدان قد يخبره فيما بعد على أنه نتيجة لفشله فى عمله أو فى المحافظة على علاقة وجدانية مستقرة،

❖ ومن اصعب بل افزع الخبرات التىيكابدها الانسان هو فقدان الاب٠٠الام(الموضوع) بل يتابعه النميمة: التي يتبادلها القائمين علي رعاية الابناء غير الشرعيين٠٠٠ بوجودهم غير الشرعي وصمة عار تتبعهم كظلهم ٠٠٠ و لقد تبين في السنوات الاخيرة للمحلليين النفسايين والاطباء النفسايين والمشتغلين بالعلوم الانسانية وجود علاقة سببية بين المرض النفسي وفقدان الموضوع الحب وبخاصة الموضوع الا ول ..(الام..الاب)
(نوران هورتاسو وعبداللة عسكر سنة ١٩٨٨ و رشا الديدي ١٩٩٨).

🕮 ولقد عبر (فرويد) فى مقال Mourning & Melanclonia عن وجهة نظرالتحليل النفسى الكلاسيكى ... حيث رآى أن الفقدان هو السبب وراء الحداد ، والسواد ، والمقصود بالفقدان هنا هو فقدان موضوع محبوب.. ويعد الحداد هو الاستجابه السوية لهذا النوع من الفقدان ، بينما يمثل الميلانكوليا .. والذى يشبه العديد من الجوانب الاسواء .

وقد ميز فرويد بين الحالتين عن طريق التغير العميق الحادث فى مفهوم الذات والذى يميز الميلانكوليا عن الحداد حيث تعرف الميلانكوليا من خلال الانخفاض الشديد لتقدير الذات ، وان كانت الحالتين تطابق من حيث وجود اكتئاب مؤلم عميق مع قلة الاهتمام بالعالم الخارجى وفقد فى طاقته الحب وكف لكل الانشطة .

* ويعد توبيخ الذات مفتاح التفرقة بين الحداد والميلانكوليا حيث ان توبيخ الذات فى هذه الحالة هو توبيخاً لشخص اخر مفقود وقد مثل هذا الشخص داخل أنا المفحوص المكتئب .

* و تعكس الإستجابات علي إختبار T.A.T وجود أنا اعلى قاسي ، سادي حيـــث ظهر بشكل سافر في الحالة الأولي و الثانية وظهر الثالثة والرابعة متخفياً وراء اكتئاب المفحوصين فقد ظهرت هذاءات الانا الاعلي و ساديتها المتمثلة في قتل الموضوعات المتخيله الهاجرة المؤذية.

❖ فالفقدان لم يكن فقدانا للموضوع المحبوب بقدر ماكان الفقدان الحقيقي هـــو فقدانه لذاته فهو متوحد بالموضوع المنصهر بداخله لا يميز بينه و بينه.

فعودة العدوانية في شكل الدمير و الإنتحار تنجم لدية عن التعيين الذاتي بالموضوع المفقود وهي طريقة لكي يحل نفسه محل الموضوع داخله.

فهو يعتبر الموضوع صورة مرآويه فهو تعيين ذاتي نرجسي (و التعيين الذاتي النهمي الإفتراسي البدائي مع إستخدام الميكانيزمات البدائية (الإسقاط ، الإستدماج ، التفتيت ، الإنكار).

ونجد ايضاً لدى الابناء غير الشرعيين تعييناً ذاتيا بهذا الشخص المفقود (الأب..الأم).

🕮 ويرى (فرويد) ان هذا التعيين الذاتى يتم على نحو نكوصى حيث يرجع الـــى مرحلة تتميز بالثنائيه الوجدانية تجاه كل من الانا والشخص المفقود .

وقد لاحظ فرويد ان المريض يعيش مع الشخص المفقود فى احتكاك شديد مغلق ويخبر هذا الشخص بوصفه هاجراً للمريض او على انه مهجور من قبل المريض. ونجد الابناء غير الشرعيين يلعبون تبادل الادوار فهو القاتل والمقتول وهو المغتصب فهو فى علاقة تبادلية مع الاخر المفقود الذى سلبه شرعيته وذلك نتيجة للتعيين الذاتى القائم .

أما تأنيب الذات فهو تأنيباً للموضوع المفقود على رحيله ..

❖ فالأبناء غير الشرعيين يعانون من فقدان تقدير الذات للفكرة الراسخة انهم غير مستحقين.

وترى كلاين سبب اساسى للشعور بالالم نتيجة لفقدان شى ما وهو بلا وعى يمثل الفكرة المضادة اننا قد تم حرماننا باعتبارننا غير مستحقين للاشياء الجميلة وبالتالى يتم ادراك مخاوفنا العميقة .

🕮 وقد وجدت ماهلر ١٩٦١ وزملائها ان نقص القبول والفهم الوجدانى من قبل الام يبدو أنه يقلل من تقدير الذات لدي الطفل و يؤدي الي الثنائية الوجدانية (وخصوصاً) إجبار التكرار العدواني من قبل الوالدين تؤدى هذه الأتجاهات الى ارتداد العدوان الى الذات الى مشاعر العجز لدى الطفل مما يخلق الوجدان الاكتئابى الأساسي ، وتتفق كلا من ماهلر وجاكوبسون فى ان ما يسمى الاكتئاب الاساسى هو نتيجة لصراع عدوانى بسبب نقص الفهم والقبول من جانب الام مما يقلل من تقدير الذات لدى الطفل .

* وتتفق الباحثة مع كلاً من (إدوارد وليم ميردرك ١٩٨٢ ، ومها الكردي١٩٨٠ ، وإيمان القماح ١٩٨٣ ، وسميرة شندي ١٩٨٣ ، وتختلف الباحثة مع دراسة كارلوس دافيلا ١٩٨١ وربما يرجع لنقص في الثقافة و الاختلاف النوعي بين المجموعات كان بحاجة إلي منهج أكثر حساسية للأستخدام و هو ماقرره الباحث نفسه للبحوث القادمه له)

🕮 وترى"جاكوبسون"١٩٧١ فى ان القدرة على تحمل الاكتئاب والحصر مقياس هام لقوة الأنا ، تتفق جاكوبسون مع ماهلر ١٩٦٦ فى ان هناك صراع ضمنى أساسى فى كل الأوضاع الا كتئابية حيث يؤدى الاحباط الى إندلاع الغضب الذى يؤدى الى محاولات عدائية لاكتساب الإشباع المرغوب.

وعندما يكون الأنا لأسباب (داخلية) غير قادر على تحقيق هدفه يتحول العدوان الى صورة الذات مما يؤدى الى فقدان تقدير الذات كنتيجة للصراع بين صورة الذات المثالية (المرغوبة) والصورة الفارغة المنكمشة والفاشلة ، وتتعمد طبيعة الحالة المزاجية التى تنمو على شدة وقسوة و مدة الاحباط وخيبة الامل. لكن هذا مازال لا يجيب عن التساؤل الخاص لكيفية التميز بين الجماعات المختلفة من الاكتئاب بعضها عن البعض الاخر.

وبقدر النزعة الاكتئابية تكون النزعة العدوانية ، حيث يصبغ العدوان كلا من صورة الذات وصورة الموضوع. مها الكردي ١٩٨٢ و فاتن السيد علي ١٩٨٢ .

❖ وهذا ما نستدل عليه بمجرد قراءة اختبارات T.A.T قبل الخوض فى قراءة تفسيرها (قطع الرأس وشق البطن) ويبدو أن العدوانية تضمنه علاقة محددة على الصورة الخاصة بجسم المفحوص نفسه وبجسم الأخر، أن تلك الصورة التى رسمها الأبناء غير

الشرعيين من خلال الكلمات ، من صور التمزيق وشق البطن وفصل الرأس والتى تتبدى من بين الأشكال الخاصة بالايموجوات images البدائية التى تنتمى الى بنيان ٠ وهذا البنيان ما هو الا تخييل الجسد الممزق قبل مرحلة المرآة ٠

❖ طبيعة العدوان لدى الابناء غير الشرعيين عدوانا ً مرضياً فهو من النوع العدوان الشره النهم الأفتراسى الدراكوالى على الموضوعات المحبوبة وارتداده نحو الذات إلى حد مشاعر الانتحار. قد يرجع إلى عدم تفاضل الذات عن الموضوع بشكل سوى والثمن الذى تكبده المفحوص هو العجز عن إندماج المكونات الليبيدية والعدوانية الشبقية وتسبب هذا الخلل فى الإندماج أن الحفزات العدوانية لم تتقيد أو تكبل بالتحديد الجزئى فأنطلق العدوان بحثاً عن كل أشكال التدمير دون رفق أو هوادة ، وحيث أن المكتئب شخص لم يتم تفاضله تفاضلاً تاماً عن موضوعاته فلا يكاد يؤذى موضوعه أو يهم بإيذائه حتى ينصب الأذى على ذاته . من اشكال الانتحار و الحوادث الذى نطلق عليه بتعبير "جاك لاكان" العدوان النرجسي الإنتحاري .

📖ففى عام ١٩٦٤ (ذكر لاكان اصطلاح العدوان النرجسى الإنتحارى
(Norcissistic suicidel aggression)
يشير إلى حقيقة أن الطابع الشبقى – العدائى للإفتتان النرجسى بالصورة المرأوية يمكن أن يقود المرء إلى تدميز الذات – كما أوضحت أسطورة نرجسى . حيث يرى الطفل انعكاسه فى المرآة بمثابة كل – كامل يناقض عدم التآزر الذى يسم الجسد الواقعى ... ويميز الطفل هذا التناقض كتوتر عدائى aggressive بين الصورة المرأوية Tensio المنعكسة والجسد الواقعى بينما يبدو كمال الصورة مهدداً الجسد بالتمزيق Fragnemtation والتفسخ Disintegration ويشير التعيين الذاتى اللاحق بصورة المرأة إلى علاقة ثنائية الوجدان بالشبيه .. مشتملة على الشبق و العدوان يظل هذا العدوان الشبقى بوصفه ثنائية وجدانية أساسية تندرج تحتها كل أشكال التعيين الذاتى اللاحق وبوصفه طالع أساسى للنرجسية ... ومن ثم فالنرجسية يمكن أن تميز اتجاهها من حب الذات إلى الطرف العكسى تماماً العدوان النرجسى الإنتحارى .
(منال شحاتة ١٩٩٧ : ١٤٠ : ١٤١)

❖ كذلك فى حالات الإحباط والكراهيـــة المتتاليـــة فى حيـــاة الأبناء غـــير الشرعييـــن والإنفصال المتكرر فى حياتهم (الأم البديلة والنماذج الإشرافية) يبرز دور " الثدى" المكروه فى دفعات الطفل ذات الخصائص الفمية التدميرية ففى التخييلات التدميرية يقوم الوليد بعض ، وتقطيع ، وإبادة الثدى ، فهو لديه شعور بأنه سيهاجمه بنفس الطريقة... وبالتالى ينشأ حصر الإكتئاب ، ومشاعر الذنب أى أن مركز الثقل فى الإهتمام ، أو الخوف من الذات على

الموضوع ويصبح الوضع الإكتئابى حاسماً فى ظهور مشاعر الإثم بالإضافة إلى ميكانيزم الانكار .

❖ كذلك نتيجة غياب موضوعات الحب أو نقص الإستجابة الإنفعالية من الراشدين فى البيئة مما أدى إلى قصور فى التطور الإنفعالى .

❖ ويمكن إقرار العدوان من زاوية الصراع بين الأنا والموضوعات على النحو التالى :-

١- عدوان من الخارج (موضوع خارجى) على الذات ، يمثل تهديداً مولداً لحالة من القلق تتطلب دفاعاً . فإذا فشلت الدفعات تتكون مشاعر الإنهزام ، وإقرار العجز ، والشعور بحالات اليأس ، والمزاج المكتئب الحزين (حالة ثالثة) وما يتبعه من استثارة العدوان المتخيل ذو القدرة المطلقة ، ويعد هذا هو الأنموذج الأساسى فيما قبل انتقال العالم بوصفه موضوعاً من الخارج إلى الداخل .

٢- عدوان من الداخل (من الأنا العليا) بوصفها أنا آخر يضطلع بوظائف معينة شبيهة بوظائف الموضوعات الخارجية .

❖ فيكون الإكتئاب الداخلى مع مشاعر الإنمحاق ، والأعراض الإكتئابية الشديدة ويؤدى إستدماج المفحوص لهذا الموضوع المحبوب المكروه معاً إلى ارتداد العدوان إلى الذات كما ظهر فى النزعة إلى الانتحار (الحالات الاربعة) ويؤدى العدوان إلى مشاعر الحصر وفقدان الثقة بالآخر ومشاعر الدونية والضآلة والإنكسار والضياع والحيرة والحزن مشاعر الرفض والشعور بعدم الأمن والنقص ومشاعر الدونية وفقدان تقدير الذات وهى فى صميمها مشاعر إكتئابية.

وتتفق الباحثة مع كل من (مصطفى زيور وعبد الله عسكر) فى وجهة نظرهم للإكتئاب من حيث أنه كما يرى "عسكر" يكون الإكتئاب النفسي أول ما يكون الصرح التفسيري أو الأنموذج الهيكلي لفقدان الحب (وليس فقدان موضوع الحب) وإستشعار الإنهجار والذى ستتبعه حالة من فقدان إعتبار الذات أو تقديرها ، فطالما الإنسان أولاً وأخيراً فاقد على نحو مالهذا الحب ، ومجبر على التنازل أو التخلى عن موضوعات يحبها نتيجة لسنة التطور... فالطفل البشري يجوع أولاً إلى الحب ، وما يهدده هو فقدان الحب ويكون على الأخرين أن يحققوا له ما فقده وصولاً إلى الدفئ والأمن وخفض حدة التوتر وإستعادة تقدير الذات. وعليه يكون الإكتئاب فى المقام الأول عرض الوجود البشري ، يعبر عن حالة فقدان الحب وإنهجار الحب.
(مصفى زيور ١٩٧٥: ١٣ و عبد الله عسكر ١٩٨٨: ٤٨٩).

🕮 ويرى كيرنبرج أن حالات الأنا المنقسمة المنشطرة المفككة التى ترتبط بوحدات الذات – الموضوع غير المندمجة ، تمثل إحدى المقتضيات الأساسية لبناء الذات الزائفة . على حين أن الذات الحقيقية الأصيلة تنتظم فيها صور الذات المتعددة فى مفهوم الذات المتكامل والذى يرتبط بدوره بتمثلات الموضوع المتكامل .(Kernberg 1983 : 121)

ويعانى الأبناء غير الشرعيين من الذات الزائفة .....

ان المفهوم الأساسى لوينيكوت عن الذات الزائفة يبرز من أفكاره عما يحدث عند وجود فشل فى البيئة الحاضنة للطفل خلل فى الإمداد الأمومى الكافى . حيث أن السلوك الحاضن Holding يسهل المراحل الباكرة من الميول التكاملية للطفل كما تسهم فى بدايات تشييد منظمة الأنا . وقد ينزع الفرد إلى القول بأن الأم تحول الأنا البدائى الضعيف لطفلها إلى أنا قوى لأنها موجودة هناك بجواره تعضده وتؤازره فى كل احتياجاته .

ويقول وينيكوت أن خبرات التواصل الوجدانى أبان الطفولة المبكرة ضرورية وتطور الذات الزائفة تحدث فى الأسر التى تفتقر إلى هذا التواصل الوجدانى والمناخ السائد وحالات الإكتئاب .(Winnicott 1960 : 87)

ويرى وينيكوت أن وجود قدر من العدوانية هو الذى يؤدي إلى الشعور بالعلاقة بالموضوع ويجعل الموضوعات خارجة عن الذات وأن القدر الزائد من العدوان والذى يمكن أن يؤدى إلى السيكوباتية والقتل إنما هو نتيجة لفقد الأم أو الحرمان منها وهو ما أسماه Deprivation الحرمان الثانوى حيث يرى أن المجرمين أو القتلة هم أشخاص يبحثون عن أمهاتهم ويشعرون بالعدوان الشديد تجاه هذه البيئة وكذلك الأم .

فبالنسبة للوينيكوت فإن العدوان يعتبر ضرورى للرضيع ليحقق تفرده أو أنفصاله عن الأم . ففى البداية قد يأخذ هذا العدوان شكل عض ثدى الأم . وإن لم تستطيع الأم أن تتفهم ذلك ولديها القدرة على التسامح فقد يتعثر الطفل فى تكوينه لذاته وهناك مخاطرة أن يحول عداءه داخلياً مما يؤدى إلى مرض نفسجسمى أو أكتئاب فالأم المثالية " good enough " كما يراها وينيكوت لابد أن تتصرف كحاوية لحيوية الرضيع حتى عندما تأخذ تصرفات الوليد شكل العدوان أو عدم الطاعة . (Winnicoot 1960: 77).

وقد كتب وينيكوت يجب أن أقول ذلك " أنه بالنسبة لتربية طفل لكى يستطيع أن يكتشف الجزء الأعمق من طبيعته لابد من شخص ما ليتحداه وفى فترات ما يكرهه ، بدون وجود خطة من التفسخ الكامل فى العلاقة .(Rosalind Minsky 1996 : 116)

❖ **صورة الذات لدى الابناء الشرعيين :-**

فقد عكست قليل من الاستجابات عن وجود مشاعر اكتئابية ... ولكنها غير مقلقة ولا تدخل فى حيز الاضطراب أو الشكل المرضى حيث أن جميع الأفراد يمرون بلحظات من هذا القبيل ولكن هناك شروط لتجاوز هذه المعاناة وإعتبارها من علامات الوجود الإنسانى هى لحظات الحزن ، أو الضيق ، أو المعاناة ، أو الحداد ، ولا نستطيع أن نقرر أنه اكتئاب عصابى ولكن ما يميز الأبناء الشرعيين عن الأبناء غير الشرعيين هو أن لدى الأبناء غير الشرعيين عمق النكوص أكثر بكثير ، وهدم العالم الداخلى ، وعمليات الإنحلال ، والتفكك يفوق إلى مدى إطلاق العنان للميول التدميرية مع افتقار الأنا للقوة حيث أتسم الأنا بمشاعر الجدب والشعور بالنقص وعدم الكفاءة .

فعلينا أن نضع فى الإعتبار أن الشخص الحزين ، والمحتمل أن يكون مكتئباً لفترة يختلف سيكولوجياً عن الشخص الذى لديه اكتئاب مزمن ، أو المحتمل تشخيصه بوصفه يعانى من اضطراب اكتئابى. ويعد الحزن استجابة سوية ، وصحية لسوء الحظ يستثيره الفقدان ، أو توقع الفقدان لشخص محبوب ، أو لأماكن مألوفة ، أو محبوبة ، أو لأدوار إجتماعية ويعرف الشخص الحزين من ، أو يفتقد ويشتاق إلى عودته ، ومن المحتمل أن يلجأ إلى مساعدة وطمأنة بعض الأصدقاء المخلصين ، كما قد يلجأ إلى مكان فى نفسه يعتقد فى أنه مع الوقت والمساعدة سيكون قادراً على إعادة استقرار الذات وأن كان ذلك فى حدود ضيقة أنه من الصعب بل غاية فى الصعوبة مسألة إعادة الاستقرار الذاتى بالجهود والمساعدات الذاتية لكنه ليس من المستحيل . ويستمر لدى الشخص الحزين الإحساس بالالتزام والقيم الشخصية و أن كان هناك أوقات يستشعر فيها الشخص بأنه مكتئب. (J.Bowlby 1980 :80)

إن ما يميز الشخص السوى أنه يستطيع أن يتعامل مع هذه المرحلة من الإكتئاب ويخرج منها بعد فترة ليست جد طويلة بسلوك وتفكير وإحساس سوى شارعاً فى إعادة تنظيم نفسه من أجل تفاعلات ذات نوعية جديدة ، وبالطبع يكون لديه الإحساس بالإلتزام والقيم الشخصية سليماً .

❖ **فالأبناء الشرعيين** استطاعوا باستخدام آلية التسامى التصعيد للدفعات الجنسية الغريزية وتحويلها إلى مسارات مقبولة اجتماعية مما عزز وجود أنا قوى وأنا عليا ناضجة .

❖ **وانعكس لدى الأبناء الشرعيين " هوية الأنا " التى انعكست فى الإحساس الداخلى و المظهر الخارجى المتماسك للذات وتعتبر شرط أساسى لتقدير الذات الطبيعى أيضاً التمتع الذاتى والاستمتاع بالحياة . ومع رؤية متكاملة للأخرين ذوى الدلالة والقدرة على تقييم ملائم للأخرين والتعاطف والاستثمار الوجدانى فى الأخرين الذى انطوى على القدرة على الأتكالية الناضجة مع الاحتفاظ بإحساس دائم بالاستقلال الذاتى أيضاً . مع وجود قوى للأنا ، وبشكل خاص التى تتمثل فى نطاق عريض من الميول الوجدانية ، القدرة على الضبط الوجدانى والأندفاع والقدرة على التسامى فى العمل والقيم . مع الأنا العليا الناضجة**

المتكاملة ممثلة أستدخالا لأنظمة قيمة تعتبر مستقرة ، مجردة ومتفردة مع الالتزام بالمعايير والمثاليات . والإدارة الملائمة والمقنعة للإندفاعات الليبيدية والعدوانية . أنها ترتبط بالقدرة على التعبير الكامل عن الأحتياجات الجنسية والحسية ومدمجة مع الرقة والإلتزام الوجدانى بأخر محبوب.

🕮 ويرى "مصطفى زيور" إن البناء النفسي فى الصحة هو نجاح الأنا فى تسوية متناغمة مع مقتضيات الواقع بين رغبات "الهو" ومناهضات الأنا الأعلى. (مصطفى زيور ١٩٨٦:٢٩)

و فيما يتعلق بالعدوان فإن هيكل الشخصيه من الابناء الشرعيين في إطار ما نستطيع ان نقوله ونطلق عليه سواء فالقدرة علي التسامي في شكل تأكيد الذات ، و الرد علي الهجمات الشديده بدون رد فعل مفرط و القدره علي الإستجابه بشكل دفاعي ، و تجنب تحول العداء نحو الذات حيث يتمتع المفحوص بوظائف الأنا و الأنا الأعلى التي تساهم في هذا التوازن بشكل متوازن.

❖ صورة الجسم :-

إذا ما كنا بصدد صورة الذات فلا بد من التعرض لصورة الجسم لدى المفحوصين من حيث أن صورة الجسم هى نواة الأنا ، حيث تساعد صورة الجسم فى تكوين الأنا. (مها إسماعيل الهلباوى ١٩٨٨:٥٥)

١- مع انشطار في صورة الجسم يتبعه انشطار في الذات والثمن الذي تكبده المفحوص هو العجز عن اندماج المكونات الليبيدية والعدوانية التي تشحن تمثلات الذات في مفهوم متكامل الذات وبذا انطلق العدوان بدون قدرة للأنا للسيطرة على دفعاتها مما سبب أعراض تشتت الهوية وحري البيان إن اندماج تمثلات الذات المتناقضة (الليبيدية والعدوانية) أحدثت إتساعا وعمقا في الإمكانيات الوجدانية وتسببت في مشاعر الاثم التي استغلت فيما بعد في تطوير الأنا الأعلى السادي .

٢- بقدر ما كان الثدي مصدرا للإحباط كان مكروها وسيئاً وتتبع ذلك عدم تكامل الأنا نتيجة عملية (انشطار الموضوع في الأنا) مع الإحباط والرفض والكره للموضوع والتخييلات الفمية التدميرية من تقطيع وإبادة وعدم الشعور بالأمان. وفكرة أن الموضوع سيهاجمه ساعدت على تكوين صورة جسم على غرار صورة جسد الأخر مرفوضة وضئيلة وهذا يتفق مع رأي ماهر الهواري ١٩٧١ .

صورة الجسم تبدأ فى الظهور متأثرة بالشخص المهم فى الأسرة أو فى البيئة فالطفل يتعين بوالديه ويشمل هذا التعيين صورة الجسم ، واعتماداً على الخبرات الوالدية التى يكتسبها الطفل

فإن أجسامهم وأجزائها يمكن النظر إليها وإدراكها على أنها حسنة أو سيئة ، نظيفة أو قذرة محبوبة أو مكروهة . (ماهر محمود الهوارى ١٩٧١ : ٤٩)

❖ وتعرض المفحوص للرفض والنبذ مما أكد له أنه لايستحق الحب ، وأنه يعاقب على ذنب لم يقترفه مما أثر فى تطوير صورة الجسم وهذا يتفق مع Admson Afsham بأن اتجاهات الوالدين تجاه جسد أطفالهم لها تأثير هام على تكوين الطفل لصورة جسمه ، ويشير إلى أنه إذا كانت هذه الإتجاهات إيجابية تجاه جسم الطفل فسوف يمون صورة موجبة عن جسده ، أما إذا كانت تلك الإتجاهات السلبية فإن ذلك سيؤدى إلى تكوين صورة جسد سيئة وغير واقعية لدى الطفل . (مها إسماعيل الهلباوى ١٩٨٨ : ٥٩)

🕮 وإتفاقاً مع شيلدر Schilder بأن سيطرة الميول السادومازوخية أدى إلى تمزق صورة الجسم. حيث يذكرشيلدر (أن الألم النفسى المنشأ يعد أحد التعبيرات عن الميول السادومازوخية والتى تسبب تنقلات فى الأنتباه فيما بالعضو مركز الإتجاه السادومازوخى ، ولا يوجد مجالاً للشك فى أن الألم النفسى المنشأ له أساس عضوى وله أيضاً معنى كما أنه يستخدم جزء خاصاً من صورة الجسم للتعبير عن الميول الليبيدية) .
(إيناس حشاد ١٩٩٨ : ٦٣)

❖ وسيادة الدفعات السادية المدمرة من تفتيت وتمزيق ووحشية . تتفق الباحثة مع دراسة (محمود درويش ١٩٩٦)

ففى الحالة الأولى:بطاقة ١ (طير رأسه بالسيف فرد له نفس الحركة وطير رأسه ورماها)
2 (قتل أخته فى بطنها) 5 (الأم قتلت نفسها بالسكينة) 6 BM (قتل الواد بالمطوة فى بطنه) 7 BM (الواد دخل على أبوه والسكينة فى بطنه) الحالة الثانية (2)
(لو خنقته بالحزام طيب ... أضربه على دماغه ... أخذ السكينة وأضربه بها)
بطاقة 3MB الاغتصاب (4) (ضربه على راسها إلى أن هشمها)
الحالة الثالثة : البطاقة 16 وما تعكسه من وحشية وتمزيق وتجزئة لصورة الجسم ...
الحالة الرابعة بـــ 8BM (شاف الناس اشرار مساكين واحد مسالم ويفتحوا بطنه بمقص)
وهكذا الحال مع بقية البطاقات للمفحوصين الأربعة. ويعتبر أسلوب القتل المتخيل فى القصص شكل من أشكال العدوان "اللاكاني" الذى يستهدف الجسم وتشويهه تعبيراً عن نزعة عدوانية قهرية تجاه الآخر.

معايشة جرح قديم ، هو الجسد الممزق كامناً فى الأعماق يعاود الظهور ويسقطه فى لحظات لغضب (التقطيع ، والتمثيل بالجثث) فهو يعانى مخاوف الأشلاء المبعثرة لجسمه ، حيث وقف الأنا الجسمي عند حدود الشكل ، حدود الصورة المتخيلة أيضاً جسد لم يتجاوزه إلى

المضمون الذى لم ولن يكن موضوعاً للإعجاب فهو إهدار نرجسية الذات ، وموضوعاً للنقض ، والنبذ والإحتقار ، فكل ما هو متاح له هو إدراك الذات إدراكاً للصورة المتخيلة.

🕮 ويشير زكريا إبراهيم معلقاً على دراسة " لاكان " لمرحلة المرآة ان مرحلة المرآة هى التى تشكل وظيفة الأنا من حيث هو علاقة بالأخرين وعلاقة بالذات فعبر تلك المرحلة يتمكن الطفل من بلوغ أول تخطيط (سكيما) أولى للذاتية وآية ذلك أن الطفل يدرك فى صميم صورته المرئية أو فى الصورة المرئية للأخرين شكلاً يخلع عليه الوحدة الجسمية التى ما يزال مفتقراً إليها ومن ثم فهو يتعين بتلك الصورة ... معنى هذا أن الصلة بين الذاتية منذ البداية صلة متخيلة تكشف عن الطابع التخييلى الذى تتسم به الذات المتكونة بادئ ذى بدء باعتبارها ذاتاً مثالية أو نواة للتعينات الذاتية الثانوية اللاحقة. (زكريا إبراهيم ١٩٧٦: ٨٥).

ونجد نكوصاً لدى الأبناء غير الشرعيين إلى المرحلة المسماه لدى كلاين الاضطهادية ، فهى اضطهادية من حيث نوع المخاوف التى تستثار وفصامية من حيث نوع العمليات الدفاعية التى يستخدمها المفحوص (الأنا) فى مواجهة هذه الضروب من القلق الاضطهادى .

❖ ففى تخييلاته التدميرية destructive phantasies يقوم الوليد بعض وتقطيع وإبادة الثدى فهو لديه شعوراً بأنه سيهاجمه بنفس الطريقة ونجد أن التخييلات السادية لدى الطفل مرتبطة بمخاوفه من المضطهدين داخلياً وخارجياً مثل الثدى السيئ المنتقم.

وفى راى الباحثة إن إرتفاع نسبة الميول الفصامية أمراً يتوقع نظراً لرغبة المفحوص (فى مرحلة مبكرة من العمر) الدائمة فى المحافظة على العلاقة مع القائمين على الرعاية ، فهو دائماً يضحى بالحقوق المشروعة له للإحتفاظ بتلك العلاقة ، فمن الطبيعي أن يلجأ المفحوص للإنطواء على الذات عندما تسؤ هذه العلاقات ويخيب أمله فتسود الدنيا أمامه ويحس أن العالم بأسره كعامل يهدد طمأنينته فلا يجد أمامه سوى الإنعزال عن العالم المحبط والمثير لمشاعر خيبة الأمل فى داخلة..، والإنعزال الفصامى يشكل فى حد ذاته ، إشارة لا وعية ، ورد فعل دفاعياً إتجاه التهديدات ، والمخاطر الناجمة من العالم الخارجى من شأنها تمويه مشاعر الطفل الحقيقية.

وبما أن الهجمات التخيلة على الموضوع مرتبطة أساساً بالإحساس بالشره ، فيعد الخوف من شره الموضوع بأتباع عملية الاسقاط فى عامل أساس فى حصر الاضطهاد سيلتهمه الثدى السئ بنفس الطريقة الشرهة التى كان يرغب هو فى التهامه بها.

ولذا نجد صورة الجسم لدى الأبناء غير الشرعيين (عينة البحث) تعانى من الجسد المجزء الممزق Fragmented body متبعثر ونجدهم يلعبون لعبة تبادل الأدوار مع الموضوع

interchangable فهـو القاتل والمقتول وهو الظالم والمظلوم وهو الضائع (اختبار T.A.T).

❖ وأكثر ما يميز صورة الذات **لدى الأبناء غير الشرعيين** هو اضطراب حدود الذات والأخرين وكان لديهم عجزاً فى استخدام الضمائر فالمفحوص يشير على نحو نموذج إلى نفسه فى شخص أخر مع الخلط فى استخدام ضمائر الجمع مع تلاشى الحدود بين النماذج الذكرية والأنثوية فحدود الذات وامتدادتها النرجسية المتضخمة تحول دون تفاضل الذات عن موضوعاتها وتبقى الذات فى علاقتها بالموضوعات على نحو نرجسى فلا تستطيع الذات ان تتجاوز حدودها إلا نحو الداخل .

❖ وقد يكون استخدام الضمائر بخلطية شديدة فى الحالة الأولى والثانية راجع لفقدان الإحساس (بالأنا) وغياب التمييز بين الذات والآخرين.

وفى اختبار H.T.P الصورة المسقطة لصورة الجسم ضعيفة مفككة ، دونية عاجزة مبتورة الجسد و مبتورة الفكر صورة عاجزة عن الإبداع أو الطموح.

❖ فى الثلاث الحالات الأولى جاء الرسم لصورة متدنية صغيرة الحجم وكأن الذات توقفت عند هذا الحد من النمو الذى لا يتجاوز بضعة سنوات أما الصورة الرابعة للحالة الرابعة فقد جاءت صورة خلطية تحمل ملامح الأنثى والذكر فهى انعكاس لأزمة الهوية . حيث يعيش المفحوصون علاقة إنصهارية بدائية وكأنه لم يحدث تفاضل لتمثلات الجسد عن جسد الأخر.

❖ ولذلك فهم مثبتون فى تمثلاتهم عند المراحل البدائية فقد عجزوا عن التمييز النفسى الأولى للذات عن الموضوع . ويبدو الإهتمام بالملابس (الماركات العالمية التى يسقطها المفحوص على ملابس الشخص المرسوم) فهى من نوع الإستغراق الذاتي على صورة الجسم وكأن ما أصاب الذات من دونية وضآلة ونقص تكمله هذه الماركات كمحاولة ترميمية للجرح النرجسي عند صورة الذات لدى الأبناء غير الشرعيين.

ويرى وينيكوت فى الدور المرأوى للأم والأسرة فى تطور الطفل فالطفل يرى نفسه منعكسا فى نظرة الأم و صوتها ... فى طريقة ادراكها العقلى له .. فى إدراكها الصامت له nonverble فى مشاركتها الوجدانية له ... وأى إعاقة لهذا الكيف الخاص بعلاقة الأم – الطفل ... فإنها تفقد معناها بوصفها مشروع وجود فتحل مشاعر الموت محل مشاعر الحياة مؤدية إلى اضطرابات جد خطيرة فى الحياة اللاحقة .

(Rosalind Minsky 1996 : 114 –115)

وأهم شئ فى صورة الجسم Identity هو وحهه الإنساني. فالمفحوص (أبناء غير شرعيين) يرى بعينه فى الغير ما لا يستطيع رؤيته فى نفسه والتى لا يراها الا على هيئة اجزاء

فهو لم يرى لنفسه صورة جسم مكتملة ولم يرى أهم شئ وهو وجهه ولذلك فهو يرى فى الأخر دروباً من الكمال لا يمكن الوصول إليها وهذا ما يخلق الوجود فى الأخر (الإغتراب).

بنية صورة الجسم لدى الأبناء غير الشرعيين :-

تعكس الإستجابات بنية المتخيل لدى الأبناء غير الشرعيين فقد عاش الأبناء غير الشرعيين (عينة البحث) فى المتخيل فهم سجناء له ، حيث فى العلاقة الإثنينية وهى علاقة تبادل المواقع interchangeable وتعنى تلك العلاقة التى يتشكل فيها الأنا عبر التعيين الذاتى بالآخر أن الأنا والنظام الخيالي نفسه قد دبرا نوعاً من الاغتراب .... إغتراب أساسى يعد أساسياً لتشكيل النظام الخيالي .

والعلاقة الإثنينية بين الأنا ego والشبيه (counterpart) علاقة نرجسية بصفة أساسية ... فالنرجسية تعد السمة الأخرى المميزة للنظام الخيالي ... والنرجسية دوماً تكون مصحوبة بالنزعة العدائية (aggressivity) .

ويرى لاكان أن العلاقة الثنائية المرأوية تخلف تأزماً دراميا دون مخرج منه يشكل مصدراً لعدوانية الإنسان فى تواصله بالآخر ... وإذا كان هناك مخرج فلا يمكن إلا أن يكون عبر تدمير الآخر .... أى الدخول معه فى منافسة للفوز بموضوع الرغبة السرابية التى دواماً هم فى بحثاً عنها ولأن صورة الآخر افتراسية وحشية فالتعيين الذاتى بها جاء تعييناً ذاتياً دموياً عنيفاً وأطلق كل طاقات القدرة المطلقة أيضاً المتخيلة . فالنظام الخيالي يتصف بالنزوع نحو المطابقة والتشابه على عكس النظام الرمزى الذى يتصف بالإختلاف والازاحة .

وقد صرح (لاكان) بأن وظيفة الخيالي هى العمل على بزوغ الدافع الليبيدى فقد وجد فى النسيج الخيالي لصورة المرآة السبيل للطاقة الليبيدية التى سوف تؤثر فى كل التخييلات اللاحقة .... فصورة الجسم إنما تشيد بعدا أساسياً فى الوجود الإنسانى ... بعد يعمل على بناء الحياة التخييلية لدى الإنسان ذلك أن بنية المتخيل تتشكل طبيعتها عبر الجشطالت الخاص بصورة الجسم ، تلك التى اسماها " لاكان " بنية المتخيل .

(منال شحاتة ١٩٩٧ : ٢١- Richard Boothby)

الفرض الثالث :

يستخدم الأبناء غير الشرعيين ، ميكانيزمات دفاعية بدائية قوامها النكوص والإنكار والإنشطار ، مع فشل ميكانيزم الإعلاء والتسامى " التصعيـــــد "

ميكانيزمات الدفاع لدى الأبناء غير الشرعيين:-

فقد وجد من خلال المقابلة والإستجابات على إختبار T.A.T و H.T.P إستخدام المفحوصين إلى أنواع باكرة من التعيينات الذاتية حيث تسيطر الميكانيزمات الدفاعية البدائية من الاسقاط والاستدماج والانشطار والإنكار والنكوص على الحياة الإنفعالية لدى الأبناء غير

الشرعيين ، فى مقابل إنصهارات صور الذات وصور الموضوع وتجاهل الحدود بين الذات والموضوع مع إستخدام القدرة المطلقة والتخييلات الهلوسية الوهمية.

" عمليتى الإسقاط والإدماج " :-

أن المحور الذى تدور حوله جميع عمليات النمو دفاعية وإرتقائية لدى كلاين هو عمليتى الإسقاط والإدماج ، وقد أوضحت "كلاين" أن الإسقاط يستخدم أول ما يستخدم كدفاع ضد النزعات التدميرية الغريزية – غريزة الموت – لتحويل التدمير عن الذات إلى الموضوع " ثدى الأم الشرير " ثم لا تلبث هذه الميول التدميرية وقد أذكتها خبرة الميلاد ومختلف دروب الإحباط التالية أن ترتد إلى الذات من الخارج نتيجة إدماج الموضوع الخارجى الشرير .

" وإذا كان الهدف من الإسقاط هو حماية الذات من الدمار ، الأمر الذى لا يتحقق له النجاح لإرتداده إلى الذات بفعل الإدماج ،ألا أن الوظيفة الدفاعية الاساسية لهاتين العمليتين تظل كما هى (الدفاع عن الذات وحمايتها) ويتحقق هذا الهدف من خلال تعديل مواقف القلق المبكر ذات الطبيعة الذهانية خلال السنوات الاولى من الطفولة أما فى الوضعين الأولين الاضطهادى – الفصامى والاكتئابى ، فإن تعديل مواقف لا يتحقق غير أن هاتين العمليتين الدفاعيتين الاسقاط والادماج يستخدما بالرغم من ذلك ، فى اطار من الاساليب الدفاعية المميزة للمراحل المبكرة ، أى الاساليب الفصامية ، حيث الغلبة لعمليات التفتيتية . (فرج أحمد : ١٩٦٤ ، ٤١٩)

المرحلة المسماة لدى كلاين الاضطهادية فهى أضطهادية من حيث نوع المخاوف التى تستثار وأنفصامية من حيث نوع العمليات الدفاعية التى يستخدمها الانا فى مواجهة هذه الضروب من القلق الاضطهادى .

ففى تخييلات التدميرية (Destructive phantasies) يقوم الوليد بعض ، وتقطيع ، وإبادة الثدى ، فهو لديه شعوراً بأنه سيهاجمه بنفس الطريقة .

ونجد أن التخييلات السادية لدى المفحوص مرتبطة بمخاوفه من المضطهدين داخلياً ، وخارجياً مثل الثدى " السيئ " المنتقم .

وبما أن الهجمات التخييلية على الموضوع مرتبطة " أساسا " بالإحساس بالشره greed فبعد الخوف من شره الموضوع بأتباع عملية الاسقاط عامل أساسى فى حصر الاضطهاد سيلتهمه الثدى السيئ بنفس الطريقة الشرهة التى كان يرغب هو فى التهامه بها .

وأن الاساليب الدفاعية الغالبة فى الوضع الأول هى الاساليب التفتيتية والتفريغية والتى تؤدى إلى تفتيت الأنا والمشاعر والموضوع دون إحداث تعديل حقيقى فى المشاعر والتخييلات المستثارة.

أى أن المفحوص يبدأ فى الشعور بأنه لا يوجد إلا موضوع واحد يحس حياله بالحب كما يحس حياله بالكراهية ، وأن الدمار الذى كان يقصد به الجوانب السيئة من الموضوع يعيب كذلك الجوانب الطيبة .

أى أن الآخر الموضوع الكلى سيبدأ أحتلال مركز الثقل وبدا يصبح الوضع الاكتئابى حاسماً فى ظهور مشاعر الأثم . ومن ثم الرغبة فى التفكير والاصلاح وأستعادة الموضوع أى ظهور نوع جديد من العمليات الدفاعية تهدف جميعها إلى تجنب الموضوع وحمايته من خطر العدوانية .

الفئة الأولى: الأساليب الأنكارية : وهى أساليب هدفت إلى إنكار ما حدث للموضوع الداخلى الطيب من دمار دون حدوث محاولات جديدة لتعديل المشاعر التدميرية الموجهة إلى الموضوع كما أنها إرتدت الاساليب الدفاعية الانكارية إلى الجانب الطيب من الموضوع بقصد أنكار طيبته وهذه الاساليب الدفاعية وكشفت عن عدم قدرة الأنا على فعالية المشاعر التدميرية والعدوانية وتهدد بالنكوص إلى الوضع السابق وتدعيمه (شبه فصامى – بارانوى) والنكوص شكل من الإنكار ، فالنكوص إنكار للواقع وبالتالى إستخدم المفحوصين (الأبناء غير الشرعيين) ميكانيزم الإنكار. ولدى (الأبناء الشرعيين) كان المجال الوحيد للإنكار هو أحلام. مع قصور فىالأساليب الاصلاحية التعويضية والتى إشتملت على بعض المحاولات الخاصة بالمغالبة التدريجية لأثار العدوان ، ومحاولات تخليص الموضوع الطيب من آثار العدوان عن طريق إستعادته تخيلياً ، وحمايته من الأخطار الناجمة عن المشاعر العدوانية.

🕮 ويرى عسكر بقوله: " ... تمثل ميكانيزمات الدفـــاع الفرويديـــة أو الحيـــل النفسية للتغلب على قصور الاخر مثل ميكانيزم الانكار ، والتكوين العكس والاسقاط والتوحد ، وهذه الآليات النفسية هى ما تجعل من اللغة مكاناً نسيجياً للمجاز ، فالمرفوض يستطيع أن يقول لنفسه أنه محبوب ، وإن ثمة موضوع داخلى ينبغى أن يحبه ، لذا وجب عليه أن يتصور موضوع حبه ويسعى إلى بنائه وتأسيسه وفقاً لأهواء الرغبة بعيداً عن قانون الآخر الموضوعى أو الخارجى الذى لا يفى بمتطلبات الذات ، ولكن بناء الموضوع الداخلى لا يخرج عن كونه تشويهاً أو تحريفاً لصورة الموضوع الخارجى حيث تتيح الايديولوجية بدائل استراتيجية للموضوع أو الوكيل الاجتماعى." (عسكر: ١٩٩٤: ٧٦).

❖ يستجيب المفحوص للبطاقات عن طريق عرض القصة بضمير المتكلم وكأن القصة هى قصته مما يعطى أنطباعاً يخلط التعيينات لديه وكأن كل تعيين ذاتى – ببطل القصة أو بأنثى ... أنما يطرح من خلاله واقعاً متخيلاً ˚ يجسد رغبة أو طلب أو صراع الواقع المعاش أو رؤية لموضوع ما ... ولكن يلاحظ أن تعييناته ذاتية أنثوية .

النكوص لذلك الألتحام الهلوسى أو الهذائى ذو القدرة المطلقة " النفسجنسية " وكأنها لحظات أرتداد العلاقة الريادية للوحدة السيمبوزية (ومرحلة ما قبل الموضوع) تنتمى إلى مرحلة النرجسية الأولية .

ميكانيزم الإنشطار

❖ ***وقد نتج عن ميكانيزم الإنشطار نتيجتان :***

أولاً : قصور فى التكامل الليبيدي الذات في مفهوم متكامل للذات وهو ما يعكس الذات الواقعية .

ثانيا : قصور فى اندماج الشحنات الليبيدية والعدوانية لتمثلات الموضوع التي تتيح فهم اعمق للأشخاص وهاتان تمثلات زمله أعراض تشتت الهوية idenity diffusion وهذا ما نلاحظه لدى الأبناء غير الشرعيين (عينه البحث) حيث يتزايد ميكانيزم الانشطار الذي انعكس في النزعة العدوانية لدى المفحوصين حيث نقص الاندماج بين الميول العدوانية والحفزات الليبيدية، كذلك الانشطار في الأنا من حيث كان هناك تبادل الأدوار (القاتل والمقتول) (المغتصب والمغتصب) تلك الصور المر آوية (تعدد الصور الأنوية للمفحوصين حيث أيضا استخدام المفحوصين (الأبناء غير الشرعيين) الأساليب الدفاعية التفتيتية والتي أدت إلي تفتيت الأنا والمشاعر والموضوع دون إحداث تعديل حقيقي في المشاعر والتخيلات العدوانية المدمرة المثارة.

🕮 ويري كيرنبرج أن التثبيتات المرضية أو النكوص إلى هذه المرحلة من تطور العلاقات بالموضوع المستدخلة ، حيث تحتم تنظيم الشخصية البينية . ولقد أوضح كيرنبرج من خلاله عمله مع المرضى البينيين أن هؤلاء المرضى يكشفون عن عدم الترابط البدائي (الانشطار) باعتباره العملية الدفاعية الأساسية التي ترتبط بها عملية دفاعية أخرى مثل الأشكال البدائية من الإسقاط(التوحد الإسقاطي ، القدرة المطلقة ، الإنكار ، الأشكال البدائية من الأمثلة ، تخفيض القيمة) وأثناء هذه المرحلة فإن انفصال تمثلات الذات والموضوع المشحونة بالليبيدو والمشحونة بالعدوان الذي يقوى باستخدام ميكانيزم الانشطار والذي يحمي العلاقة المثالية Ideal بالأم من أن تلوث بتمثلات الذات السيئة بالأم .

وفي التطور السوي فإن ميكانيزم الانشطار يتناقص ولكن في ظل الظروف غير السوية يتزايد فالمهمة الأساسية لميكانيزم انشطار في الحالات البينية هو الحفاظ على انفصال

❖ فمع أي صدمه أو إحباط للمفحوص نجد لديه الميل الدائم إلى النكوص الدفاعي الذي يتمثل في إعادة انصهار واندماج صور الذات والموضوع الجيدة حيث في المراحل الجيدة المبكرة في الطفولة عاقت التخييلات النكوصية تكوين الأنا والأنا الأعلى وعملية التفرد لدى الأبناء غير الشرعيين .

التعيين الذاتي أو التماهي (identification)

عملية لاشعورية بحسب تحديد.صفوان يقصد منها غرضين

الأول : أن تعــبر عــن شيئن في شيء واحد أي تعرف عن الأول بالأخر بعد أن يحل محله.

الثانــي : أن تجعلهمــا في حكم هذا التعريف . وعملية التعيين في تكوين العارض لا تقتصر فقط علي الهستيريا بل تلعب دورا هاما في أمراض عدة منها السوادوية حيث يتعيين الأنا بالغرض المفقود ، وتصبح عرضة لهجمات الأنا الأعلى ، تتلقى منه التأنيب والــتجريح ، حــتى دفعه إلي الفناء أي الانتحار وكذلك دوراً في نشأه الشذوذ الجنسي المــثلى . ولكي ندرك عملية التعيين وأثرها في نشأه هذه الأعراض لابد من استعراض فاعليتها وأهميتها في تكون الذات منذ بدايتها حتى إكتمال إنبنائها ، والعوارض المرضية فــي حد ذاتها ليس إلا تحولات معبره على الصعيد الرمزي لهذه التركيبات البنوية التي خرج بها الفرد من العقدة الأودبية .

وإذا مــا نظــرنا إلــي الأبناء غير الشرعيين (عينه البحث) والكيف الذي ظهرت به التعيينات فنلاحظ عده أشكال :

أولاً التعيينات الذاتية الأنثوية

ولما كان الأنا يعد نتاج عملية تعيين الذاتي للأخرين والتي تبدأ منذ الشهور الأولى من الحياة... فإن بنية الأنا توضع لبناتها الأولى علي غرار مكونات الأنا لدى من قام على شئون الرضيع الأم – الأب وذلك من خلال حوار ديالكيتكى .

فالأبــناء غــير الشرعيين يخضعوا دائما تحت رعاية النساء (المربيات أو المشرفة) بمعــنى أن الأنا – أخر الأنثوي هو نموذج التعيين الذي تشكل الأنا على غراره فهم لم يتجاوزه العلاقة بالأنا – الأخر الأمومي .

وجــاء الأب عبر البطاقات أب بدائي ، أو رئيس عصابة ، فالمفحوص عاش فى كنف أب متخيل يتأرجح بين أقصى درجات الخير ، وأقصى درجات الشر ، ومن ثمة جاءت

وجاء الأب عبر البطاقات أب بدائي ، أو رئيس عصابة ، فالمفحوص عاش فى كنف أب متخيل يتأرجح بين أقصى درجات الخير ، وأقصى درجات الشر ، ومن ثمة جاءت العلاقة به عبر صور T.A.T علاقة تعين ذاتي خلطي ، وتبادل معه الأدوار ، وقام مقامه ، وإستغرق فى الجريمة بكل رموزها من جنوح ، وإغتصاب ، وفى النهاية كان العقاب الساديمازوخي المآساوي... تعيين خلطي يحمل كثير من الإدانة ، والتمرد، والخروج على مقتضيات الواقع والتجريح.

ثانيا التعيين الذاتي المرآوي الذي تشكل عبر أنا طفلي اعتمادي وهو رمز للعجز والقصور ، والنقصان والدونية . ونتيجة ليمكانيزم الانشطار فإن النماذج المتعبين بها تناظر إنشطارات الأنا كخبرة باكرة يخبرها المفحوص فكل من المفحوص والعالم الخارجي ينشطر سواء بسواء إلى جزء جيد و جزء سيئ مما ينتج عنه بنيه يتطابق فيها المفحوص مع كل ما هو لاذ ومع كل ما هو لا لاذ ... ويتم هذا من خلال إستدماج ذلك الجزء الذي يشكل مصدراً للذة من موضوعات العالم الخارجي ومن خلال إسقاط كل ما يشكل في الداخل مصدراً للتوتر على الخارج.

وحيث كان لدى الأبناء غير الشرعيين (عينه البحث) أنا متعيناً مع كل ما هو جيد وأنا متعيناً مع كل ما هو سيئ " القاتل والمقتول الظالم والمظلوم ، المحبوب والمكروه معاً " فالأنا لديهم قد تشكل عبر العديد من الكيانات فهي بمثابة أنا وات – أخرى أستمد من تعيينه بكل منهم شخصاً جديداً في محاولة لجعل وجوده اللاشرعي ذو دلاله وكأن التعيين الذاتي المتعدد إنما هو تعبير عن الوجود السرابي له والذي يلهث ورائه إلتماساً للأعتراف والشرعية .

ثالثاً : التعيين الذاتي الدراكولي

فقد ظهر وبشراسة خلال الحالات الثلاث الأولى وهو تعيين ذاتي معكوس فالدراكولية تختلف عن الإفتراسية ، الإلتهامية ذلك أن درا كولا يفعل أكثر من مجرد إدماج لغيريه الأخر فهو – إضافة – لذلك يصنع صوراً .. وأشباحاً أو انعكاسات له بتحويل ضحاياه إلي دراكيولات شبيهة فالدواكيولية إستدماج للأخر وإعادة لتقديم الذات ، " فقد تم استدخال الصورة عبر الإستدماج الإلتهامي "

وكان الأمر اللافت للنظر للظواهر الطبيعية الإلتهامية لصورة الأم ... الأب ... الأخر فالجميع كان بمثابة وحشاً . ومن ذلك كانت التثبيت على صورة الأم المتخيلة ذات الثدي

إلــي تعييــن إنــثوي بها والذي يرجع إلى انهيار الحاجز الفاصل بين الذات والأم في المرحلة المبكرة والاتحاد الإنصهاري بها واختلاط موضوع الرغبة

التعيين الذاتي لدى الأبناء الشرعيين

🕮 يقول فرويد فى مقاله المشار إليه Identification بإن عملية التماهى (التعيين) مرتبطة بتعلق حبي ، في الطفولة يرتبط في البداية بعلاقة حبية متساوية بين أمه وأبوه فيحب كلاهما دون أن يخلق له ذلك مشكلة ذاتية فيتماهى بالأم والأب على السواء ، ويتمنى أن يصبح رجلاً كأبيه ويتمتع بقوته وضخامته والمشكلة لا تبدأ بالنسبة له إلا بعد ما يخايبه شعور شبقي يستهدف والدته ويتمنى الحصول عليها وحده وعلى أثر هذه الرغبة يتبين أن هذا الأب الذي يحبه ويختمي به أصبح بحد ذاته عائق وحاجزاً يقف أمامه دون تحقيق هذه الرغبة وهذه تصبح الأم مسرح المنافسة بينه وبين الأب تؤدي به إلي صراع لاشعوري من حيث أنه أصبح مرتبط بهذا الأخير بشعور بين متنقاضتين

الأول : شعور بالحب والعطف يؤدي إلي أمنيه التعيين به لكي يصبح مثله أو على غراره .

الثاني : شعور بالكراهية والمنافسة : يدمر رغبة في إزاحته والحلول محله.

فالتماهي بالأب بالنسبة إلى الطفل الذي يمثل المخرج الوحيد السوي الذي يستطيع عن طريقه التخلص من عقدة أوديب.(عدنان حب الله ١٩٨٨ : ١٥٢)

فعملية التماهي تساهم في تأسيس الأنا وأبنائها على الشكل الذي يصبح دلالة تدل على الذات بالنسبة الى دال أخر .

وفرويد يسير في هذا الاتجاه عند ما يقول " إن الأنا مركبة من تعيينات ثانوية ففي كل مرة يواجه الأنا غرضا يتوجب عليه التخلي عنه يضطر لكي يعوض عن فقدانه بان يدمجه في تركيبه عن طريق التعيين بصفة من صفاته كي تصبح قسماً منه .

وهكذا عندما يضطر تحت ضغط الروادع الخارجية من أن يتخلى عن غرض معين

❖ **وقد تميز الأبناء الشرعيين** يتعين ذاتي ذكوري نتيجة حل الأدويب حلا سلميا بالتنازل عن الأم في مقابل الدخول الى عالم الثقافة والتحريمات وبما أن الأنا الأعلى وريث العقدة الأديبية فقد عكست الاستجابات انا عليا ناجحة متكاملة ممثلة استدخال لانظم قيمة مستقرة مجردة تشخيصية ومتفردة ولا تعتمد تماماً على القمع الطفولي

اللاشعوري وانعكس هذا التكوين الخاص بالأنا العليا في الإحساس بالمسئولية الشخصية القدرة على نقد ذاتي واقعي التكامل والمرونة في التعامل مع السمات الأخلاقية الخاصة بكل مفحوص منهم مع طرح تعيينات تحمل صفات ذكريه (الرجولة ... الشهامة ... الكبرياء ... الشجاعة ... العمل ...)

(راجع صورة الذات لدى الحالات الأربعة الأبناء الشرعيين)

❖ ومن خلال الإدارة الملائمة والمقنعة للأندفاعات الليبيدية والعدوانية التي ترتبط بالقدرة علي التعبير الكامل من الاحتياجات الجنسية والحسية . عكست وجود قوى للأنا وبشكل خاص التي تتمثل في نطاق عريض من الميول الوجدانية ، القدرة على الضبط الوجداني والاندفاع والقدرة على التسامي في العمل والقيم وبدلا من أن يصرف ويبدد الأنا طاقاته في الدافع العدواني نحو الاعتداء أو التدمير المرفوض اجتماعياً تسامي بهذه الطاقة المفحوص وخلق مجالات محبذة اجتماعياً لقد خلق قدرة من حرية ومرونة وابتكار للقصص والغزارة في المعلومات هذا التسامي جعل الذات تشق وجودها على مسرح الحياة الاجتماعية من خلال الانتماء والتضحية وإظهار حب الوطن فقد كان التسامي بالنسبة للمفحوصين مثل المادة الخام والتي يتمكن التعيين كنتيجة لعدم قدرته على اجتياز العلاقة الإنصهارية بالأم وطالما إننا علي يقين من أن التعيين الذاتي الإنصهاري النرجسي الخلطي بالأم كمرحلة قد تثبت عندها الآنا بنوع من القصور الذاتي ذلك أن عالمه عالم ثنائي لامتمايز أنه يرى نفسه في الأخر كما يري الأخر في نفسه لامتمايز حيث يضيع في الأخر والأخر يضيع أنه ضياع في الصورة السرابية .

القصور الذاتي ذلك أن عالمه عالم ثنائي لامتمايز أنه يري نفسه في الأخر كما يرى الأخر في نفسه لامتمايز حيث يضيع في الأخر والأخر يضيع فيه أنه ضياع في الصورة السرابية.

ميكانيزم الإعلاء (التسامي)

إن الصراعات بين الغريزة والقلق الأثم لاتولد بالضرورة مرضاً فهناك دائماً الاقتصاديات النفسية ونوعية الدفاع المستخدم ، هذا إلى أن المطالب الغريزية العادية حين يكون لها مكانها داخل إنتظام الأنا وتحظى بإشباع دوري تظل الصراعات قليلة الفاعلية ، فذلك ضمان الصحة النفسية شرط الإعلاء فالإعلاء ليس ميكانيزم نوعي ... أي إجراء دفاعي يتيح إفراغاً كاملاً للحافزة الأصلية المكبوتة بالمعني العام للكبت وعادة ما يتحقق ذلك بإختفاء الهدف الأصلي للحفزه أو الموضوع الأصلي ، وإحلال هدف جديداً ، وموضوعاً جديداً بهذا المعنى تتلاشى

هدف جديداً ، وموضوعاً جديداً بهذا المعنى تتلاشى الحفزه الأصلية اذا تنسحب طاقتها لصالح حفزه بديلة أو تتجه إلى هدف أخر أو موضوع أخر. (صلاح مخيمر ١٢٨:١٢٧:١٩٩٦)

📖ويعرض ديديه "أنزيو" لمساهمات فرويد في علم النفس كانت اكتشافه أن التصعيد نتيجة تخلّ ناجح عن هدف دفاعي من خلال سيروره الحداد. والتخليّ عن هدف دفاعي أو عن موضوع تكرار للتخلي عن الثدي وهو إنبعاث لهذا التخلي الإخير في الوقت نفسه. ويمكنه أن ينجح إذا كان ممكناً تمثل الموضوع الواجب إهماله في الأنا بفعل سيروره من الفقدان وإعاده التكوين الداخلي. وأعتقد أن هذا الموضوع المتمثل يصبح رمزاً داخل الأنا . فكل جانب من جوانب الموضوع ، وكل وضع ينبغي إهماله في سيروره النمو ، ينيح المجال لتكوين الرموز . وإذا كان الواقع النفسي يعاش ويتميز عن الواقع الخارجي فإن الرمز يتميز عن الموضوع يتميز عن الموضوع إنه محسوس بوصفه إن الذات أبدعته وأن بإمكانها أن تستخدمه إستخداماً حراً)

(ديديه أنزيو ١٩٩٦ :١٨)

📖فالتصعيد يأخذ الحسبان من الناحية السيكولوجية الانتقال من الدافع ذي المنشأ البيولوجي ، إلي الحضارة ونشاطاتها ونتاجاتها فكل ما هو إنساني ذو مصدر جنسي ، والحضارة ضرب من تحول الجنسية .يضاف إلى ذلك ، كيف تدلى بالبرهان ، . على حقائق التحليل النفسي إن لم نبينّ كم هى واضحة هذه الحقائق بالنسبة إلى حديّ الإنسانية الأقصيين ، تكونّ الأعراض العصابية وعمل الابداع ، الجنون العبقرية ؟ ، وبوسعنا الانستنتاج أن الكبت في رأي فرويد ، إنما هو وهم ضرب من التخلي ، والتسامي هو التخليّ دون زوال الوهم. (ديديه أنزيو ١٩٩٦ : ١٥)

❖ وإلى هنا نصل إلى أن التسامي آلية دفاعية متأخرة مصدرها المرحلة التناسلية تتوطد خلال المراهقة بكل مداها ، وربما الآلية الأخيرة ، من آليات الدفاع ، التي عليها أن تتكون خلال النمو النفسي الجنسي ، أنها آلية تتكون بعد المرحلة الأوديبية وتبدو مظاهرها الأولي لدى الطفل مع تجاوز عقدة أوديب – ووظيفتها ناجمة بصورة منطقية كافيه عن حصائص الاقتصاد التناسلي ، حيث تتم التسوية بين الشهوانية والحنان بالنسبة لموضوع الحب ، وحيث اللذة التناسلية تتصدر اللذات قبل التناسلية ، إذا تتجاوزها ، تراقبها . وتحتفظ بها بوصفها عرضية.

بتواسطتها تحقيق الإنجاز والانتقال من مرحله إلى أخرى بشكل متصاعد وكل مرحلة يجود فيها المفحوصين (الأبناء الشرعيين) أكثر من سابقتها ويختلف الأمر عن حالة الكف Inhibition والدفاعات التى كانت عتبة عثرة لدى الأبناء غير الشرعيين فكان المفحوص يهوي إلي أسفل او يدور حول نفسه في حلقة مفرغة.

- أما الإسنجابات للأبناء غير الشرعيين إحساس بالموثوقية (authenticity) الشخصية الذي ممكن إنجازه فقط من خلال نوع خاص من استمرارية ، وثبات ، وإمكانية الإنشغال بأمر الطفل ، والرعاية الأساسية بوصفه كائناً إنسانياً متفرداً الأمر الذي يؤدي إلى تشيد الذات (self).
- كما نلاحظ التوافقات الأصلية بمعنى ان التو فقات الصادرة من الفحوص إنما تتصف بالاصالة فإن كل شخص وإن كان من وجه كجميع الناس ومن وجه أخر كبعض الناس ولكنه يظل في ذلك فريداً مختلفاً عن جميع الناس فالانتظام البنيوي لكل مفحوص صار كلاً فريداً وإن إشتراك مع البعض ومع الجميع في بعض الأوجه.

تعليق علي استجابات الأبناء الشرعيين :

- يلاحظ تضاؤل الموضوعات التدميرية حيث لاتجد في استجابات هذه المجموعة ما نجده عاده في الأبناء غير الشرعيين من غلبة الموضوعات التدميرية العدوانية ولايعنى ذلك بالطبع عدم توادها واختفائها اختفاء تاماً ، إلا أن الغلبة لم تعد لهذه الخصائص كما أن هذه الخصائص لم تعد تحتل المركز الأول داخل الصورة العامه للاستجابات ، كذلك غياب الموضوعات البدائية التدميرية الخيالية كالوحوش والاغصاب والعنف السادي المدمر.
- تضاءل كذلك الموضوعات الاكتئابية ، وندرة تكرارها فلم تعد نجد الاسراف في الاحزان والموت والفقدان فعندما يصبح المراهق عرضه للاكتئاب النفسي الوقتي تمييزاً له عن الاكتئاب الذاتي الساحق وربما تعزى هذه حالته هذه الاغراق في تأملات خيالية ابعدته عن واقعه ، تهرباً مما هو فيه لأنه لايراه عالماً مليئا (بالألام) فهو يعتبر الواقع الذي يجد نفسه فيه واقعاً صاغه الكبار وضعه المجتمع لهذا فحينما يتحدث إليه أحد الراشدين يرد عليه المراهق قائلا له (غلط) وهي لفظه يكاد ينطلق بها معظم المراهقين دون التأمل في مغزى ما يذهبون إليه وما تعليل هذا السلوك اللفظي إلا أنه يمثل مظهراً من مظاهر الاحتجاج الذي تنطوي عليه جوانح المراهقين وتعتلج به نفوسهم.
- فالمهم هنا هو أننا لانجد شعوراً قانطاً بفقدان الموضوع الطيب ، أي أننا بإزاء شخص استطاع أن يحمي موضوعه الداخلي من الدمار أو أن يرد عنه عواقب هذا الدمار بإستخدام ميكانيزم الاصلاح تبعا لكلاين.

الإنجاز الانكاري الهوسي:

❖ وتختلف الباحثة مع وجهة نظر "فرج أحمد" فى مفهوم الإنكار الهوسى ويعني به الصور المختلفة من النجاح في مختلف المجالات والعلاقات الاجتماعية ، وبصفه خاصة ما تتسم به هذه الإنجازات من طبيعة إنكارية هوسيه (أي تتسم بالمبالغة في كثير من الأحيان ، أو لاتنتج دائماً عن جهد ايجابي أو وقدرة فعلية من جانب الابطال على مغالبة ما يواجههم من مصاعب مختلفة والأنكار هنا يهدف إلى انكار العناصر الاضطهادية ، أى ففي الخطر من الموضوع والعناصر الإكتئابية ، أي نفي الخطر عن الموضوع واحتمال الحرمان من حبه وبالرغم من أن الإنكار الهوسى سمه ذهانية ، بوصفها تدمير لجوانب من الواقع النفسي ، بالإضافة إلى أنها توصد في وجه المحاولات الاصلاحية التي تهدف إلى استعادة الموضوع وحمايته بالجهد الدائب الايجابي وبالمواجهة الفعلية لعواقب المشاعر العدوانية حيال الموضوع ، ألا أننا نجد في هذه المجموعة هذه المظاهر الانكارية الهوسية ، بجانب مظاهر عصابية وسواسية أخرى . على العكس ما نجد لدى الابناء غير الشرعيين حيث يكون المظاهر الإنكارية الهوسية في سياق تغلب عليه السمات " الاضطهادية والاكتئابية. (فرج أحمد فرج ١٩٦٧)

الا أن الباحثه ترى...

اذا ماكان الجنس ميكانيزم يستخدمه الأبناء غير الشرعيين كالميكانيزم الذى يستخدمه الفقراء كتعويض عن حالة العجز والنقص في المكانة الاجتماعية والنقص في المكانة الاجتماعية يستخدمه الفقراء كتعويض عن حالة العجز والنقص في المكانة الاجتماعية والاقتصادية فقد نستطيع نعتبر الصورة الإنجازية للأبناء الشرعيين كميكانيزم للإنخراط في العالم الإجتماعي وبخاصة إن في دينامية الصورة الإنجازية إنعكاس لآلية التسامي حتى يقدم المفحوص نفسه في إطار اجتماعي مقبولاً طبقا لمعايير وقيم المجتمع الذي نعيش فيه يتفق وطبيعة المرحلة (المراهقة) وتقديم نفسه في شكل مقبول تبعاً للأنا المثالي الذي يرنوا إليه.

❖ أما بالنسبة للأبناء غير الشرعيين فنجد أن المفحوص يمارس نوعا من لأنكار الهوسي للعالم وللواقعه المهدر القيمة بنوع من التعويض النرجسي متعينا بشخصية أولاد الكبار فالمركز والفلوس دال مدلولة السلطة والقدرة المطلقة والمكانة وكأنه يعبر عن نقصانه وفقدان الوجود الشرعي نتيجة لغياب الديلكتيل الأنا الاخر .

مراجع الدراسة

المراجع العربية

١- إبراهيم الدسوقي بدر (١٩٨٢) : دراسة امبريقية إكلينيكة مقارنة لأثر وفاة الأب على التوافق النفسي عند البنين والبنات من هم دون البلوغ ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة عين شمس.

٢- أحمد فائق السيد (١٩٧٠) : طبيعة الموضوعية فى التفسير التحليلى النفسي ، مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة ، العدد ٥٩ ، يناير.

٣- أحمد فائق السيد ، (١٩٨٤) : مدخل إلي علم النفس ط ٤ مطبعة كومت للطبع والنشر والتوزيع.

٤- أحمد فائق السيد (٢٠٠١) : الأمراض النفسية الاجتماعية نحو نظرية في اضطراب علاقة الفرد بالمجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٥- آمال كمال محمد (١٩٩٢) : التخييل لدى الأطفال المصابين بالأمراض السيكوسوماتية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٦- أملى صادق ميخائيل (١٩٩٠) : دراسة مقارنة للقلق لدى الطفل فى الأسرة البديلة والطفل فى الأسرة العادية "فى سن المدرسة الإبتدائية" ٩-١٢ سنة ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة بجامعة عين شمس.

٧- أندره هينال وآخرون (١٩٨٩) : النرجسية "حب الذات" ، ترجمة وجيه أسعد مجلة الدراسات النفسية ، عدد (٢٨) ، دمشق وزارة الثقافة ، سوريا.

٨- أوتو فينكل (١٩٦٩) : نظرية التحليل النفسي فى العصاب ، الجزء الأول ، ترجمة صلاح مخيمر ؛ عبده ميخائيل ، مكتبة الأنجلو المصرية ؛ القاهرة.

٩- إيمان فوزي شاهين (١٩٨٥) : دراسة إكلينيكية لأثر وفاة الأم على التوافق النفسي للأبناء من الجنسين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية جامعة عين شمس.
١٠- إيمان محمود القماح (١٩٨٣) : أثر الحرمان من الوالدين علي البناء النفسي للطفل ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.
١١- إيمان محمود القماح (١٩٨٦) : العلاقة بالموضوع في التطور السوى واللاسوى ضد الاطفال ، رسالة دكتوراة ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس .
١٢- إيناس عبد المنعم حشاد (١٩٩٨) : تأثير خروج الطفل للعمل على صورة الجسم ، رسالة الماجيستير ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس.
١٣- بدرينه محمد العربى (١٩٨٨) : أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل ، دراسة ميدانية بالجزائر ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.
١٤- برنار ميلدورف (١٩٧٢) : الأبوة ، ترجمة فرج أحمد فرج ، غير منشورة ، ورد في شادية علام ، ١٩٩٣.
١٥- جان لابلانش ، ج. ب. بونتاليس (١٩٨٥) : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان.
١٦- جان نعوم طنوس (١٩٩٩) : أساطير الجسد والتمرد ، دار الحداثة للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان.
١٧- جوزيت جورج عبد الله (١٩٨٨) : أثر تغيب الأب في مرحلة الطفولة المبكرة علي النمو العقلي والنفسي للطفل ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.
١٨- حامد عبد السلام زهران (١٩٧٧ أ) : علم نفس النمو والطفولة والمراهقة ط٤ ، الناشر عالم الكتب ، القاهرة.

١٩- حسين عبد القادر محمد ، (د. ت) : معجم علم النفس والتحليل النفسي ، دار النهضه العربية للطباعة والنشر ، بيروت.

٢٠- حسين عبد القادر محمد (١٩٧٤) : الفصام بحث في العلاقة بالموضوع كما تظهر في السيكودراما ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٢١- جمال شحاته حبيب (١٩٩٥) : مجلة بحوث مؤتمر الطفل المصري بين الخطر والأمان ، معهد الدراسات العليا للطفولة بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، أبريل ، القاهرة.

٢٢- ديديه انزيو (١٩٩٦ ب) : التصعيد دروب الإبداع ، ترجمة وجيه أسعد ، مجلة الدراسات النفسية ، العدد ٣٨ ، دمشق ، وزارة الثقافة ، سوريا.

٢٣- رشا عبد الفتاح الديدى (١٩٩٧) : صورة الموضوع وعلاقاتها بصورة الذات لدى مرضى الاكتئاب العصابي ومرضى الاكتئاب الذهانى ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٢٤- زكريا إبراهيم (١٩٧٦) : مشكلات فلسفية ، مشكلة البنية ، العدد الثامن ، مكتبة مصـــر ، بالفجالة.القاهرة

٢٥- سامية القطان ، مراجعة صلاح مخيمر (١٩٧٩) : كيف تقوم بالدراسة الإكلينكية ، الجزء أول ، مكتبة الانجلو المـــصرية ، القاهرة.

٢٦- سيجموند فرويد (١٩٢٠) : ثلاث مقالات في النظرية الجنسية ، ترجمة سامي محمود علي ، مراجعة مصطفي زيور (المؤلفات الاساسية فى التحليل النفسى) ، دارالمعارف ، القاهرة ، (١٩٨٠).

٢٧- سيجموند فرويد (١٩٤٦) : الموجز فى التحليل النفسي المؤلفات الأساسية في تحليل النفسى ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ترجمة سامي محمود على وعبد السلام القفاش ، القاهرة ١٩٨٧

٢٨- سميرة محمد شندى (١٩٨٣) : مفهوم الذات والتوافق النفسى لدى الأطفال اللقطاء ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة عين شمس.

٢٩- سيد محمد عثمان (١٩٧٨) : من مشكلات ما وراء المنهج – الموضوعية "و الذاتية" ، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس ، المجلد الخامس ، كلية التربية ، جامعة عين شمس.

٣٠- سيد محمد عبد العال (١٩٨٨) : "فى سيكولوجية الاغتراب" ، بعض المؤشرات النظرية والامبريقية الموجهة لبحوث الاغتراب ، مجلة علم النفس ، العدد الخامس ، مارس.

٣١- سيد محمد عبد العال (٢٠٠١) : محاضرات في علم النفس غير منشورة.

٣٢- سيد محمد غنيم ، هدى براده (١٩٧٥) : الاختيارات الاسقاطية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة.

٣٣- شادية يوسف علام (١٩٩٣) : صورة الأب لدى الأبناء المسجونين (غير الجانحين) وعلاقتها بالبناء النفسى لهم ، دراسة إكلينيكية متعمقة ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٣٤- صالح حزين ١٩٩١ : سيكوديناميات العلاقات الأسرية ، كلية الأداب جامعة عين شمس

٣٥- صلاح مخيمر (١٩٧٦) : رسالة في سيكولوجية الحب ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٣٦- صلاح مخيمر (١٩٨٦) : تناول جديد للمراهقة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.

٣٧- صلاح مخيمر (١٩٨٧) : عن العملية العلمية الحقة فى المنهج الإكلينيكى ، مجلة علم النفس ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، العدد ٢ ، القاهرة.

٣٨- صلاح مخيمر (١٩٩٦) : المدخل الى الصحة النفسية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.

٣٩- ضحى عبد الغفار المغازى (١٩٧٦) : المواليد غير الشرعيين والمجتمع ، دراسة اجتماعية للمواليد غير الشرعيين فى جمهورية مصر العربية ، رسـالة ماجـستير، كلية البنات ، جامعة عين شمس.

٤٠- عبد الرقيب البحيرى (١٩٩٠) : المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ ، دراسة تحليلية ، المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصري تنشئته ورعايته ، المجلد الأول ، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس.

٤١- عبد الستار إبراهيم ، عبد الله عسـكر (١٩٩٩) : علم النفس الإكلينيكي فى ميدان الطب النفسى ، مكتبة الأنجلو المصريه ، ط٢ ، القاهـــرة.

٤٢- عبد السلام الدويبى وآخرون (١٩٨٩) : رعاية الطفل المحروم ، الأسس الاجتماعية والنفسية للرعاية البديلة للطفولة ، معهد الإنماء العربي ، الدراسات الاجتماعية.

٤٣- عبد السلام الدويبى (١٩٩٢) : حقوق الطفل ورعايته ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، مصراته ، الجماهيريه العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.

٤٤- عبد الله السـيد عسـكر (١٩٨٨) : الاكتئاب النفسى بين النظرية والتشخيص ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤٥- عبد الله السـيد عسـكر (١٩٩٢) : الأوديبية بين الأسطورة والتحليل النفسي ، دراسة تحليليه ثقافية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤٦- عبد الله السـيد عسـكر (١٩٩٤) : الصدام الأيديولوجى وهوية الذات ، دراسة فى التحليل النفسى لمضمون رواية "قلب الليل" لنجيب محفوظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤٧- عبد الله السيد عسكر (١٩٩٧) : غياب الأب الرمزي ، دراسة في التحليل النفسي لرواية "الطريق" لنجيب محفوظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤٨- عبد الله السيد عسكر (٢٠٠٠) : مدخل إلى التحليل النفسى اللاكانى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

٤٩- عبد المنعم حسيب زكي (١٩٩٠) : الحرمان من الوالدين وعلاقته بالنمو اللفظي في مرحلة ما قبل المدرسة ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس.

٥٠- عدنان حب الله (١٩٨٨) : التحليل النفسي من فرويد إلى لاكان ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان.

٥١- عزة حسين زكي (١٩٨٥) : المشكلات السلوكية التي يعاني منها أطفال المرحلة الابتدائية المحرومين وغير المحرومين من الرعاية الوالدية ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس.

٥٢- عماد على مصطفى (١٩٩٢) : الخصائص النفسية للأبناء الذكور المتغيب آباؤهم وغير المتغيب ، دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق.

٥٣- فاتن السيد علي (١٩٩٢) : دراسة مقارنة للمشكلات السلوكية التي يتعرض لها أطفال المؤسسات وأطفال قرية الأطفال ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس.

٥٤- فايز قنطار (١٩٩٢) : الأمومة "نمو العلاقة بين الطفل والأم" ، عالم المعرفة ، العدد ١٩٦ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.

٥٥- فرج أحمد فرج (١٩٦٤) : الظواهر العدوانية لدى الجانحين ، دراسة فى التحليل النفسي باستخدام اختبارات تفهم الموضوع ، رسالة ماجستير فى الآداب ، جامعة عين شمس.

٥٦- فرج أحمد فرج (١٩٧٥) : علم النفس وقضايا المرأة المجلة الاجتماعية القومية ، العدد ٢- ٣/ ٢١٢.

٥٧- فرج أحمد فرج (١٩٨٣) : علم النفس والمنهج الجدلي ، ندوة مشكلة المنهج في بحوث العلوم الاجتماعية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة.

٥٨- فرج أحمد فرج (١٩٩٤) : محاضرات تمهيدي ماجستير في علم النفس غير منشورة

٥٩- فرج أحمد فرج (١٩٩٦) : مقالات منشورة بجريدة الأهرام .

٦٠- فرج أحمد فرج (د ت) : محاضرات في علم النفس ، دار النشر غير مبين ، تاريخ النشر غير مبين.

٦١- فرج عبد القادر طه (١٩٧٨) : قراءات فى علم النفس الصناعى والتنظيمى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، القاهرة.

٦٢- كريستين نصـــــار (١٩٩٣) : عد يا أبي ، مشاكل يطرحها غياب الأب عن الأسرة (حالة خاصة : الأب اللبناني) ، الجزء السابع ، الكتاب الأول ، ط١ ، جروس برس ، طرابلس.

٦٣- لويـــس كـــامل مليكـــه (١٩٨٥) : علم النفس الإكلينكي ، الجزء الأول ، التشخيص والتنبؤ في الطريقة الإكلينيكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣.

٦٤- لويـــس كـــامل مليكـــه (١٩٩٤) : دراســـة الشخصية عن طريق الرسم ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ط٧.

٦٥- ماهر محمود الهوارى (١٩٧١) : دراسة تجريبية "مقارنه فى التعيين الذاتى وصورة الجسم فى فئات إكلينيكية مختلفه" ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٦٦- محمود درويش (١٩٩٦) : المؤتمر العلمي الرابع ، الطفل بين الواقع والمأمول ، جامعة عين شمس ، معهد الدراسات العليا للطفولة بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية.

٦٧- محمد رشاد كفافى (١٩٧٣) : سيكولوجية اشتهاء المخدر لدى متعاطى الحشيش ، رسـالة ماجـستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٦٨- محمود الزيادى (١٩٨٨) : علم النفس الإكلينكى ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهـرة.

٦٩- مصطفي زيور (١٩٧٥) : محاضرة في الاكتئاب النفسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهـرة.

٧٠- مصطفي زيور (١٩٨٦) : في النفس ، بحوث مجمعة في التحليل النفسي ، الطب النفسي جسمي ، الطب النفسي ، الفلسفة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان.

٧١- مصطفي صفوان (١٩٥٨) : شخصية الجانح في ضوء النظريات التحليلية النفسية ، مجلة علم النفس ، عدد ٢١ ، القاهرة.

٧٢- منال أحمد شحاته (١٩٩٧) : الأبوة وعلاقتها بتعاطى الأبناء للمخدرات ، رسالة دكتوراه ، كلية الأدب ، جامعة عين شمس.

٧٣- مها اسـماعيـل الهلبـاوى (١٩٨٨) : الاكتئاب وصورة الجسم كما تظهر في الرسم الإسقاطي ، دراسة إكلينيكية متعمقة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس.

٧٤- مها الكردى (١٩٨٠) : التوافق والتكيف الشخصي والاجتماعي لدى أطفال الملاجئ اللقطاء ، المجلة الاجتماعية القومية ١-٣ المجلد (١٧).

٧٥- ميلانى كلاين (١٩٤٨) : التحليل النفسي للأطفال ، ترجمة عبد الغني الديدى ، ط١، دار الفكر اللبناني (١٩٩٤).

٧٦- ميلانى كلاين (١٩٩٦ب) : الأوديب عقدة كلية ، ترجمة وجيه أسعد ، مجلد الدراسات النفسية ، العدد (٣٩) ، دمشق ، وزارة الثقافة ، سوريـا.

٧٧- نادية بعيبع (١٩٩٠) : دراسة مقارنة لأثر تربية الملجأ وتربية الأسرة علي النمو اللغوي لعينة من الأطفال الجزائريين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية.

٧٨- نجوى محمد العدوى (١٩٨٢) : أثر الأسرة في نمو الحكم الخلقي عند الأطفال ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر.

٧٩- نيفين مصطفى زيور (١٩٧٥) التخييل لدى الاطفال ، رسالة ماجيستير ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس .

٨٠- نيفين مصطفى زيور (١٩٨٥) : سيكوديناميات النمو النفسى ، مكتبة التحليل النفسي للأطفال ، كلية الآدب ، جامعة عين شمس ، القاهرة.

٨١- نيفين مصطفى زيور (١٩٨٨) : الأمراض النفسيه لدى الطفل المراهق ، كلية الآدب، جامعة عين شمس.

٨٢- هـانـآسيجـال (١٩٩٦ب) : التصعيد دروب الإبداع ، ترجمة وجيه أسعد ، مجلة الدراسات النفسية ، العدد ٣٨ ، دمشق ، وزارة الثقافة ، سوريا.

٨٣- المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية (١٩٧٤) : الاستجابات الشائعة لاختبار تفهم الموضوع ، بحث ميداني ، تحت إشراف رشدي فام ، فرج أحمد فرج ، القاهرة.

المراجع الأجنبيــة

83- *Alexander, J. Botsis, Robert Plutchik, Moshe Kotler & Hermen M.* (1995) : **Parental loss and family violence as correlates of suicide and violence Risk.** Suicide and life – Threatening Behavior, Vol., 25(2), The American Association of Suicidology.

84- *Anastasi, Anne* (1988) : **Psychological Testing.** (Sixth Edition) Macmillan Publishing Co., New York.

85- *Bellak, L* (1954) : **The T. A. T. and C. A. T. in Clinical use.** Grune & Strattion, New York.

86- *Bowlby, J.* (1980) : **Attachment, Loss and Separation Vol.** III Basic Books. New York.

87- *Bubber, Cinny* (1994) : **Depression and its Relationship With Parental Loss, Parental Support, Stress, and Self-Concept.** Dissertation Abstracts International Vol.44-O5BP.743

88- *Chattopadhyay, Prabal, K. : De, Sonali; Biswas, Debabrata* (1993) : **Impact of parental deprivation on cognitive functioning** : an exploratory study. Indian – Journal of Clinical – Psychology. 1993 Sep. Vol. 20 (20) : 63-68 (Abstracts).

89- *Chodorow, Nancy* (1979) : **"The Reproduction of Mathering" Psychoanalysis and Sociology of Gender.** University of California Press Berkeley and Los Angeles, California.

90- *Corrigan, Edward, George* (1985) : **The Changing Representational World of a Young Adolescent : Father Loss, Developmental Arrest and The Therapeutic Process.** Dissertation Abstracts International Vol. 46-O3B P. 955.

91- **Covell, Katherine & Turnbull, William** (1982) : **The LongTerm Effects of Father Absence in Childhood on Male University Students sex-role Identity and Personal Adjustment.**. the Journal of Genetic Psychology, 141(2), PP. 271-276.

92- *Crain. William G.* (1992) **Theories of Development Concepts and Applications.** Prentice Hall – Englewood Chiffs New Jersey, U.S.A

93- *Davila, Carlos, Nicolas* (1981) : **The Effect of Father Absence on the Masculine Identification and Sellf Esteem of Hispanic Boys.** Dissertation Abstracts International Vol. 42-O9B PP. 3840.

94- *Degroot, J. Lampl* (1976) : **Ego Ideal And Superego**. The Psycho-analytic Study of the Chilid, Vol. Xvii, New York International Universities Press, inc., PP. 94-105.

95- *Evans, Dylan* (1996) : **An Introductory Dicitionary of "LACANIAN" Psychoanalysis.** Routledge. London and New york.

96- *Fairbairn, W., Ronald, D.* (1952) : **Psychoanalytic Studies of the Personaility.** London, Tavistock Publication Ons Limited.

97- *Freud, Sigmund* (1912) : **The Dynamics of the Transference.** C.p Vol. II London, Hogarth press and the Institute of Psychoanalysis (Fifth Impression) 1949).

98- *Freud, Sigmund* (1914) : **On Narcissism : An Introduction.** C.p Vol. Iv, London, Hogarth press and the Institute of Psychoanalysis (Fifth Impression) 1949.

99- *Freud, Sigmund* (1915) : **Instincts and Their Vicissitudes.** C.p Vol. iv, London, Horgarth Press and Institute of Psychoanalysis (Fifth Impression) 1945.

100- *Freud, Sigmund* (1917) : A **Mourning and Melanicholia.** C.p Vol. IV London, Hogarth Press and institute of Psychoanalysis (Fifth Impression) 1949.

101- *Freud, Sigmund* (1923) : **(The Ego and the Id.)** New York, Standard Edition. Hogarth Press. London.

102- *Fridman & Leonard J.* (1975) : **Current Psychoanalytic Object Relations. Theory and its Implication.** Int. J. Psycho-anal. Vol. 56, London, Baillier & Tindall for the Institute of Psychoanalysis. (Citied by Eman El-Kamah). (in this list)

103- *Goldstein, Edag G.* (1984) : **Ego Psychology and Social Work Practice. The Free Press A Division of Macmillan,** Inc. New York. Collier MacMillan Publishers. London.

104- *Greenberg, Jay R. & Mitchel, Stephen A.* (1983) : **Object Relations in Psychoanalytic Theory.** Harvard. University Press, U.S.A.

105- *Gulati, J. R.; Singn, M. B.* (1987) : **Effect of Father's absence on personality development of school age children.** Indian, Psychologyical, Review 1987; Vol. 32 (5-6); 20-27

106- *Hammer. E* (1958) : **The Clinical application of projective drawings spring field tllinois.** U.S.A chales. C, Thomas.

107- *Hartmann, H., & Loewenstein, R., M.* (1961) : **Notes on Superego. The Psychoanalytic Study of the child.** Vol. XVII, New York, International Universities Press, Inc., PP. 42-80.

108- *Henry, B. Biller* (1970) : **Father Absence and the Personality Development of the Male Child.** Annual Progress in Psychiatry and Development.

109- *Hortacsu, Nuran Cesur, sibel Oral, Atiye* (1992) : **Relation Between Deprssion and Attachment Style in Parent – and Institution – Reared Turkish Children.** The jurnal of Genetic psychology 154(3) 329-337.

110- *Jacobson, Edith* (1954) : **The self and object World : Vicissitudes of their Infantile Cathexes and their influence on ideational and affective development.** The psychoanalytic Study of the child Vol. IX PP. 75-127. Int'l – Univ., press inc. New York.

111- *Jacobson, Edith* (1980) : **The self and object World.** (Fifth Printing) Int'l – Univ., press inc. New York.

112- ***Jane, D. Mcleod*** (1991) : **"Childhood Parental Loss and Adult Depression"**. Journal of Health and Social Behavior Vol. 32 PP. 205-220.

113- ***Kernberg, Otto F.*** (1984) : **Object – Relations Theory and Clinical Psychoanalysis.** Jason Aronson Inc. Northvale, New Jersey, U.S.A & London.

114- ***Kernberg, Otto F.*** (1996) : **Major Theories of Personality Disorder**. the Guilford Press New York London. PP. 106-140.

115- ***Klein, M., Heimann, P., Isaacs, S. and Riviere, J.*** (1970) : **"Developments in psycho – analysis"** published by the Hogarth press Ltd. And institute of psycho – analysis London. Printed in Great Britain by Lewis Reprints Limited, Port Talbot, Glamorgan.

116- ***Klein, Melanie & Riviere Joan*** (1967) : **"Love, Hate and Reparation"** (fourth impression) the Hogarth Press and institute of psycho-analysis. London.

117- ***Klein, Melanie*** (1957) : **Envy and Gratitude.** Tavistock Publications Limited London.

118- ***Kline, Paul*** (1993) : **The Handbook of Psychological Testing.** Routledge London and New York.

119- ***Kunugi, hiroshi; sugawara, Noriko Aoki, Hiroko, Nanko, Shinichiro; et. al*** (1995) : **Early parental Loss and depressive disorder in Japan.** J. European – archives – of psychiatry – and clinical Neuroscience. Vol. 245(2) 109-113.

120- *L. A Pennington and Irwin A. berg* An introduction to clinical psychology second edition the Ronald press co, New Y.

121- *Langley, Joanne, Margaret* (1997) : **Parental Loss in Childhood and Vulnerability Toward Expectation of Interpersonal Loss (Loss).** Dissertation abstracts Int'l Vol. 58-11B PP. 6239.

122- *Laster, David* (1989) : **"Experience of Loss and Subsequent Suicide"** experience of Personal Loss and Later Suicide. Acta Psychiatrica Scandinavica

123- *Mahler, Margaret* (1960) : **Symposium on Psychotic Object Relationships Perceptual De-differntiation and psychotic object relationship.** Int. J. Psycho – anal., Vol. XII, part 45, Bailliere and Tindall and cox, Ltd., for the institute of psychoanalysis (London) PP. 548-553.

124- *Mahler, Margaret* (1972) : **Rapprochment Subphase of the separation –individuation process. The psychoanalytic.** Quarterly, inc. Vol. 41 New York, PP. 407-516.

125- Mahler, Margaret (1974) : **"Thoughts about development and individuation"** the psychoanalytic study of the child Vol. XVIII New York international. Of Univ. Press Inc., PP. 307-324.

126- *Mahler, Margaret S., Pine, Fred & Bergman Anni* (1975) : **'The psychological Birth of the Human infant"** symbiosis and individuation. Hutchinson and co (publishers) Ltd., London.

127-. *Minsky, Rosalind* (1996) : **"Psychoanalysis and Gender"** an introductory reader. Routledge. London.

128- *Moredock, William, Edward* (1982) : **The relationship of Father Absence to the Self - Esteem.** Dissertation abstracts – Int'L Vol. 43-o4B. PP. 1260.

129- *Munrose, Ruth, H.; Munroe, Robert, L.; Suppe, Ann; Muhm, Amy* (1993): **Effects of early Father absence on attentional Behavior.** A Follow-up analysis in four societies. Journal of social – psychology Vol. 133(6) 863-864.

130- *Murray, Asa; & Sandquist, Karin* (1990) : **Father Absence and Children's achievement from age 13 to 21. Scandinavian**-Journal-of-educational-Research Vol. 34(1) 3-28 Abstract.

131- *Ogden, Thomas H.* (1982) : **'The Concept of Internal Object Relation"** Int. J. Psycho – Anal., Vol. 64 Part 2. (Citied by Eman El-Kamah. 1986).

132- *Paul R., Amato* (1991) : **"Parental Absence during Childhood and Depression in later life"** the sociological Quarterly Vol. 32/No. 4/1991 PP. 543-556 U.S.A.

133- *Raphael, Beverlay; Cubis, Jeff; Dunne, Michael; Lewin, Therry. et al* (1990) : **The Impact of Parental Loss on Adolescents'** Psychosocial Characteristics. Adolescence, J. 1990 Fal; Vol. 25 (99) 689-200 (Abstract).

134- Samuel Juni (1992) : **The Role of the Object in Drive Cathexis and Psychosexual Development**. The Journal of *Psychology, 126(4), 429-442.*

135- *Skillestad, Katherine* (1995) : **Adolescent Parental Loss, meaning, and self : an existential and psychodynamic exploration (Death, Divorce)** Disseration Abstracts Int'L PP. 2887.

136- *Tizard,. Barbara & Rees, J.* (1975) : **The effect of Early institutional Rearing on the Behavior Problems and Offectional Relationships of four-year-old Children.** J. Child psychol psychiat., Vol. 16, PP. 61-73. Pergamon Press.

137- *Trocchio, Thomas, Michael* (1981) : **The effects of Father Absence on Male Adolescents.** Dissertation abstracts Int'L Vol. 42-O9A PP. 3925.

138- *Washington, James, Dempsy* (1985) : **Male Gender Role as A Function of Father Absence, Nurturance and Race Sex – Roles, Masculinity.** Dissertation abstracts Int'L Vol. 46-O8B. PP. 2828.

139- *Winnicott, D. W.* (1960) : **Theory of the Parent – Child Relationship Int. J. Psychoanalysis.** Vol. Xli part 6, London Bailliere and Tindall and cox Ltd. For the inisitutite of psychoanalysis PP. 585-600.

140- *Wolkind S. N.* (1974) : **The Components of 'Affectionless Psychopathy" in Institutionalized Children.** J. Child Psyohol. Psychiat Vol. 15 PP. 215-220 Pergamon press – printed in great Britain.

141- *Wyss, Dieter* (1966) : Translated by, Gerald Onn **Depth Psychology a critical history, Development, problems, crises.** London. George Allen and Unwin LTD.



كليـــة الآداب
قسم علم النفس

ديـنـاميـة العلاقة بيـن إدراك الصور الوالديـة والبـنـاء الـنـفـسي لدى الأبـنـاء غـيـر الشـرعيـيـن

دراسة إكلينيكية مقارنة

ملخص رسالة
مقدمة من الطالبة

كرمن محمد حسن سويلم

للحصول على درجة الماجستير
في الآداب (علم نفس)

تحت إشـراف

أ.د. / سيد محمد عبد العال
أستاذ علم النفس بكلية الآداب
جامعة عين شمس

٢٠٠١

الباب الأول

الإطـــار الـــنـــظـــرى

انقسم هذا الباب ، إلى ثلاثة فصول رئيسية :-

الفصل الأول : مدخل إلى الدراسة

بعد المقدمة ، توقفت الباحثة ، عند موضوعين رئيسيين :-

١- مشكلة الدراسة

وصاغتها الباحثة من خلال ثلاثة أسئلة :-

أ- هل يختلف إدراك الصورة الوالدية لدى الأبناء الشرعيين وغير الشرعيين ؟

ب- إلـــى أى مـــدى يـــتأثر البناء النفسى بغياب النماذج الأبوية الشرعية لدى الأبـــناء غـــير الشرعيين من حيث التخييل ، إدراك الواقع النمو النفسجنسى وصورة الذات .

ت- مـــا هى الميكانيزمات الدفاعية الغالبة لدى الأبناء غير الشرعيين ، وهل تختلف طبيعة الدفاع بينهم وبين الأبناء الشرعيين ؟

أهمية الدراسة :-

و ركزتها الباحثة فى ثلاث نقاط :-

١- ظاهرة الدراسة ومدى ما تعكسه من جدة وحداثة .

٢- الشريحة التى تتناولها الظاهرة موضوع الدراسة .

٣- حدود الدراسة والمنهج الذى يتم من خلاله التناول لظاهرة البحث .

الفصـــل الـــثانى :- المفاهـــيم والإســـهامات الأساسية النظرية بعد التعريف بالمفاهيم الأساسية عرضت الباحثة ، لإسهامات كل من :-

فرويد : الموضوع بمعناه " الفنى الكامل " يبدو أول الأمر فى كتابات فرويد فى الثلاث مقـــالات . وإدخـــال فرويد للتوحد ١٩١٧ ، ١٩٢٣أ ، وتطور الأنا والأنا الأعلـــى البنائـــية مـــن العلاقات المبكرة مع القائمين بالرعاية (١٩٢٣أ) والكشـــف البـــنائى لأنماط العلاقات مع الآخرين والروابط ما قبل الأوديبية بالموضـــوع ١٩٢٠أ ، ١٩٢٥أ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٣ ، وكل منهما يؤكد على الموضوع الذى يرى على أنه " كيان فى الواقع " وله دور هام فى الإقتصاد النفسى " .

كلاين : باعتبارها صورة وسط بين نظرية الغريزة / البناء ونظرية العلاقة / الأبناء .
فقد تركزت معظم إسهاماتها فى إعادة صياغة نظريتها حول طبيعة الغرائز ومصدر وطبيعة " الموضوعات " .

ماهلر : قدمت ماهلر لنظرية التحليل النفسى أسهامات نظرية وعملية عديدة فقد اهتمت بالعلاقات الباكرة بالموضوع .

وكانت تعتبر التطور السوى ليس تأسيس جنسية بدائية عقب حل " عقدة أوديب " وإنما هو حركة التطور من اللاتفاضل فى العلاقة السيموزية بين الطفل – الأم إلى تحقيق الهوية الفردية الثابتة . وقد استخدمت للتعبير عن هذه العملية مصطلح الانفصال – التفرد .

أو مصطلح " الميلاد النفسى " وهكذا فإن المبدأ الرئيسى فى نظرية ماهلر التطورية يعتمد على العلاقات بين الذات وموضوعاتها .

جاكوبسون : ترى جاكوبسون أن النمو السوى والمرضى يعتمد على الكيفية التى تتكون بها صور الذات وصور الأخرين .

جاكوبسون من أكثر الذين سبروا أغوار التحليل النفسى الميتاسيكولوجى ، من بين كل المنظرين لنظرية الغريزة / البناء بعد فرويد فكان هدفها خلال كتابتها هو إدماج وجهة النظر الإقتصادية مع الجانب المعرفى للخبرة الإنسانية بما أن هذه الخبرة هى التى تلقى الضوء على دور العلاقات مع الآخرين .

كيرنبرج: تعتبر نظرية العلاقة بالموضوع لدى كيرنبرج بمفهومها الواسع الدراسة التحليلية النفسية لأصل وطبيعة العلاقات الشخصية المتبادلة وأصل الأبنية النفسية الداخلية المشتقة من تثبيت وتعديل ، حيث أنها إعادة تنشيط للعلاقات السابقة المستدخلة مع الأخرين فى سياق العلاقات الشخصية المتبادلة فى الوقت الحاضر .

فمن أبرز ملامح التنظير الذى يقدمه " كيرنبرج " هو إلقاء الضوء على الأصول البنائية للعلاقات بالموضوع ، واهتمامه بمراحل التطور السوى لاستدخال العلاقات بالموضوع وآزماتها التى تؤدى إلى المظاهر الباثولوجية.

الفصل الثالث :- الدراسات السابقة

عرضـــت الباحـــثة ملخصـــاً للدراسات السابقة – عربية وأجنبية – التى تناولت آثار الحرمان الوالدى على جوانب الشخصية ، وخرجت بثلاثة فروض لدراستها :-

١-يضطرب إدراك الأبناء غير الشرعيين للصورة الوالدية ، مع وجود تعويض خيالى عن هذه الصورة ، على خلاف الأبناء الشرعيين .

٢-يـــتأثر البناء النفسى ، بغياب النماذج الأبوية الشرعية ، لدى الأبناء غير الشرعيين من حيث صورة الذات وإدراك الواقع والتخييل والنمو النفس جنسى .

٣-يستخدم الأبناء غير الشرعيين ، ميكانيزم دفاعية بدائية ، قوامها النكوص والإنكار والإنشطار ، مع فشل ميكانيزم التسامى أو الإعلاء .

الباب الثانى

الـــدراســـة الـــميـــدانـــيـــة و نتائجها

انقسم هذا الباب ، إلى ثلاثة فصول رئيسية :-

الفصل الرابع : منهج البحث ووسائله وأدواته والعينة

قدمـــت الباحـــثة عرضـــاً لمفاهـــيم الدراسة ثم حددت النهج : بأنه المنهج الإكلينيكى ، باعتباره البحث المنهجى للحالة الفردية و الذى يتخذ من الفهم ، وسيلة فى البحث ، لكى تتحقق رؤية متكاملة تضم جانبى التفسير الشعورى واللاشعورى .

الأدوات : المقابلة الإكلينيكية

اختـــيار تفهـــم الموضـــوع (T.A.T) واختـــبار رسم المنزل أو الشجرة والشخص H.T.P .

العيـــنة : أربعة أفراد ذكور من الأبناء غير الشرعيين المودعين بالمؤسسات ، وأربعة أفـــراد ذكور ، من الأبناء الشرعيين ، وانطبق على الثمانية متوسط العمر (١٦ سنة) ووجودهم بالتعليم المدرسى .

الفصل الخامس : الدراسة الميدانية ونتائجها

وفيه تم عرض تقرير نهائى لكل حالة

الفصل السادس :

وكـــان محاولة لجمع أطراف الصورة النهائية للنتائج والتفسير لها تلك التى تم عرضها فى الفصل السابق .

ولقــد استفاضـــت الباحثة فى عرض النتائج ، ومناقشتها ، وتحليلها وصولا إلى تحقيق الهدف من الدراسة .

Seconded part
The procedure

Chapter four :

1-concepts

2-The Method :

The approach in this study is the deeping clinical approach which accept its principle from the theory of the psychoanalysis in explaining and understanding the humanistic phenomena .

3-The sample : 4 male individuals of illegitimate birth sons who live in institutions and 4 male individuals of legal sons . The mean age of the 8 individuals is 16 years and they all receive educational caring .

4- Tools : Deeping clinical interview
The (T.A.T) thematic Apperceptions test .
The (H.T.p) house , tree , person test .

Chapter Five :

The applications of the practical study are presented through :
- Final report to the case as a whole to the 8 case .

Chapter six :

In this chapter , the conciliations to the result .
At the end of thesis the researcher expanded in showing the findings , discussing them , analyzing them to achieve the goal of this study .

definition may be narrowed down in three progressively more restricted ways .

Chapter three :

In it , the previous studies which concerned by the effect of the parental absence on the aspects of personality which classified as following :

1- the perception of the illegitimate birth sons disturbs about the parental image , with the presence of imaginative compensation of this image on contrast to the lea gal sons .
2- the psychological structure of the illegitimate birth sons affected by the absence of legal parental patterns from self – image imaginations sexual psychological development perception of reality .
3- The illegitimate birth sons use primitive mechanisms such as regression , denial and spilt and with the failure of sublimation mechanism .

Freud's introduction of identification (1917 a ' 1923 a) , the evolution of structures ego and superego out of early relationships with caretakers (1923 a) the development unfolding of modes of relating to others (1926 a) and preodipal object ties (1902 b 1925 a 1931, 1933) each endow the object , seen as a figure in reality , with the important role in the psychic economy .

2- Klein . M :

who served as a Key transitional figure between the drive / structure model and the relational / structure model , and her contributions in the refrmulations concerning the nature of the drives and the origin and nature of " objects "

3-Mahler :

For her , the benchmark of successful development is not the establishment of genital primacy following the resolution of the oedipus complex .instead , she points to a development movement from enbeddedness within a symbiotic matrix of child – Mother To achievement of a stable individual identity within a world of predictable and realistically perceived others . she terms this process separation – individuation " or in her most recent from ulation " psychological birth . thus , the organizing principle of Mahler's development map is based on the relations between the self and its objects .

4-Jacobson.E.:

in her view . " Both normal and pathological development are based on evolution of images of the self and others.

Jacobson's theory which is considered as the most satisfying drive/ structure model theory after freud's .

Jacobson's attempted to merge relational with classical met psychological explanations .

5-Kernberg :

In broadest terms, psychoanalytic object-relations theory represents the psychoanalytic study of nature and origin interpersonal relations, and of the nature and origin of intrepsychic structures deriving from , fixating , modifying and reactive past internalized relations with others in the context of present interpersonal relations . psychoanalytic object-relations theory focuses upon the internalization of interpersonal relations, their contribution to normal and pathological ego and superego developments, and the mutual influences of intrpsychic and interpersonal object relations this board

First Part
The Theoretical Frame Work

In this part three Main chapters were presented Following :

The First chapter :-

An entrance to the study After the introduction, the researcher stopped at Tow basic Topics :-

The problem of The study

The researcher Formulated it through three questions ?

1- The Perception of The parental image differ between legal (normal) and illegitimate birth sons ?
2- To what extert The psychological structure influenced by the absence of the legal parental patterns of the illegitimate birth son From : self–image–the sexual psychological growth – imagination –perception of reality .
3- What are the dominant defense mechanisms of the illegitimate birth sons ?
   Do they differ from those of the legal sons ?

The importance of the study :

The importance of this study is defined from three dimensions :
- What the phenomena of the study reflects from – recency and importance's .
- The sample which is selected according to the subject of the study .
- The definition of the study and the approach through it the phenomena of the study was handled .

Chapter Tow :

In it the concepts and the theoretical literature in which the research student dealt with the Framework direct and supporting the study was presented through object relation theory (freud , Kline , M. Mahler . jacobson. E and Kernberg . ott

1-Freud :

The object in its full technical sense first appears freud's writing in the three essays . (1905 a .)



Ain Shams University
Faculty of Arts
Department of
Psychology

Dynamic of relationship between the perception of the parental images and the psychological structure of illegilimate sons "Clinical Comparative Study"

Summarization Submitted

Presented by

Carmen Mohammed Hassan Swilam

To obtain
A master's degree

Supervised by

Prof. Dr./ Sayed Mohammed Abd El All
Prof. of Psychology Dep.
Faculty of Arts
Ain Shams University

2001

بسم الله الرحمن الرحيم

" والذين يقولون ربنا هب لنا من
أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا
للمتقين إماماً "

صدق الله العظيم

الآية ٧٤ الفرقان (مكّية)

إهداء

إلي من أحببتهم من كل قلبى أسرتى الغالية أمى الحبيبة كاميليا و أبى الحبيب عبد المنعم و أخواتى ثروت سويلم ، بهي الدين سويلم ، كريمان سويلم ، سراج الدين سويلم وهانى وسهى و أبنائي ....

إسلام ، أحمد ، سالي ، أسماء ، خديجة ، خلود و هدير .....

وإلي أصدقائى الأحباء عبلة ، لطيفة و هدى ..

و إلى من تتلمذت عليهم .. و إلى من نسير على دربهم

أ.د / سيد عبد العال ، أ.د / فرج أحمد فرج ، أ.د / نيفين مصطفى زيور ، أ.د / عبدالله عسكر

أ.د / عادل مدنى و أ.د / فاروق لطيف . أ.د / حسين عبد القادر و أساتذة و أعضاء هيئة تدريس جامعة عين شمس .

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين ... وأحمد الله كثيراً ساجدةً له على ما وفقني إليه وأستغفره على ما قصرت فيه ... وأحمد الله عز وجل على فضله بأن حظيت بأستاذية أصيلة تتحلى بتواضع الأنبياء وعطاء العلماء.

الأستاذ الدكتور/ سيد محمد عبد العال الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة وكانت توجيهاته البناءة تجسيداً لروح البحث العلمي.

فهو لم يبخل على لحظة بعلمه وأبوته ومساندته لى ، وتعجز كلماتى المتواضعة ان توفيه حقه على وواجبى نحوه

كمالا يسعن إلا أن أتوجه بالشكر والعرفان والتقدير إلى

الأستاذ الدكتور / فرج أحمد فرج الذى منحني شرف المناقشة بعدما شرفت بالتلمذة على يديه في دروب علم النفس لأتعمق فهماً كما اشكره بصفة خاصة على كلامه الحنون الذى يمنح الاطمئنان والثقه ويهدء من روع المحتار فى دروب العلم.

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذيه الحقة أستاذية تنقلنا فى لحظات الى عالم المثل والفضيلة انه الأستاذ الدكتور / عبد الله السيد عسكر الذى تعلمت منه الكثير وإن كان فهو القليل في بحر علمه وهو يزيد عطاءه وتفيض أستاذيته بقبول مناقشة هذا البحث فإنه فيض ثري من العطاء فلا املك حياله سوى الامتنان والوفاء والدعاء بأن يحفظه الله لنا أستاذاً وعالماً جليلاً.

كما أتوجه بالشكر الى كل العاملين بقرية S.O.S بطنطا وملجأ الأيتام بالزقازيق وفي النهاية أرجو أن يكون هذا العمل جديراً بمشرفيه ومناقشيه وشكر وعرفان إلى كل من وقف بجواري حتى يخرج هذا العمل إلى النور جزاه الله عني خير الجزاء وأحمد الله الذي وفقني إلي إنهاء هذا البحث كما ينبغي أن ينتهي في حدود إمكانياتي وأحمد الله على منحي هذا الصبر العظيم لكي أتغلب على الصعاب التي واجهتني في هذا البحث..

وجعلكم الله جميعاً عوناً وذخراً لي ،،،

الفهـــــــرس

الصفحة

الباب الأول

(الإطــــار النظـــري)

الباب الثاني

(الدراسة الميدانية ونتائجها)